المنظمة العربية للترجمة

ماريان لودورير - دانيكا سيليسكوفيتش

التأويل سبيلاً إلى الترجمة

ترجمة

د. فايزة القاسم

بدعم من مؤسّسة محمد بن راشد آل مكتوم

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

التـأويـل سـبـيـلاً

إلـى الـتـرجـمــة

لجنة اللسانيات والمعاجم:

بسّام بركة (منسقاً)
حسن حمزة
سعد مصلوح
الطيّب البكّوش
علي أزرياح
سامي عطرجي

المنظمة العربية للترجمة

ماريان لودورير ـ دانيكا سيليسكوفيتش

التأويل سبيلاً إلى الترجمة

ترجمة

د. فايزة القاسم

مراجعة

د. حسن حمزة

بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
لودورير، ماريان
التأويل سبيلاً إلى الترجمة/ماريان لودورير ودانيكا سيليسكوفيتش؛ ترجمة فايزة القاسم؛ مراجعة حسن حمزة.
288 ص. - (لسانيات ومعاجم)
بيبليوغرافيا: ص 281 - 284.
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-0-1362-6
1. الترجمة. 2. التأويل. أ. العنوان. ب. سيليسكوفيتش، دانيكا (مؤلف). ج. القاسم، فايزة (مترجم). د. حمزة، حسن (مراجع). هـ. السلسلة.
418.02

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة»

المنظمة العربية للترجمة
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 5996 - 113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً: «مرعربي» - بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، أيار (مايو) 2009

المحتويات

الفصل الأول:
ما هي الترجمة؟

الفصل الثاني:
الترجمة والكلام

مقدمة المترجمة

يتناول هذا الكتاب وصف نظرية المعنى للترجمة التي تم تطويرها في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بباريس (ESIT) خلال الأعوام الخمسة والثلاثين المنصرمة على أيدي دانيكا سيليسكوفيتش (Danica Seleskovitch) وماريان لودورير (Marianne Lederer)، مؤسستي مدرسة باريس.

تعرّف النظرية طبيعة الآليات الذهنية والمعرفية المستلزمة في الترجمة الشفهية والكتابية معاً: فهم النص، وتحرير معناه من ثوبه اللفظي وإعادة التعبير عن هذا المعنى. ومن هذا المنظور، تستخدم اللغة في الترجمة أداة لنقل المعنى ليس إلا، ولا ينبغي ترجمتها في حدّ ذاتها. ورغم أن الترجمة تتضمن أيضاً ترجمة التقابلات، فإن شغل المترجمين الشاغل هو إقامة التعادل بين أجزاء النص. وعليه، تبتعد النظرية عما كان سائداً حتى الآن من نظريات لسانية للترجمة تقحمها في دائرة المقارنة بين اللغات أو تستخدمها أداة لتعليم اللغة.

يتضمن الكتاب قسمين كبيرين. يعنى القسم الأول بشرح عملية الترجمة بينما يدرس القسم الثاني العلاقة بين آليات الترجمة وآليات اللغة. تتطرق هذه المقالات إلى منهجية لاستكشاف سمات التفكير الترجمي القائم على أمثلة ملموسة مستقاة من الحياة العملية. ومن هنا

طبيعة الأسلوب التعليمي البعيد عن التصنع والادعاء، فالكتاب موجه إلى أساتذة الترجمة والطلاب ولأهل الاختصاص عامة. وقد صيغ بطريقة تسمح بتناول كل مقال بمعزل عن الآخر.

تكتسي ترجمة الكتاب إلى العربية أهمية بالغة، إذ يمكن أن تشكل مرجعاً للعديد من الأساتذة لتدريس مادتهم وفق المنهجية التي تقترحها مدرسة باريس. كما قد تشكل نقطة انطلاق للقيام بأبحاث في الترجمية غدت ضرورية في العالم العربي. وأخيراً تكمن أهمية ترجمته أيضاً في تناول المبادئ المصطلحية الضرورية للتعبير عن أفكار مؤلفتي الكتاب. ولذا، أضفت في القسم الثالث مسرداً يحتوي على أهم المفاهيم ذات الصلة بنظرية المعنى.

لا مفر لمن يغامر بالخوض في ترجمة على هذه الدرجة من التخصص من أن يقع في إشكالات عديدة. وهو ما حدث لي بالفعل، فقد اعترضتني صعوبات في أثناء الترجمة تتناول بعض المصطلحات/ المفاتيح في النظرية. سأحاول في ما يلي شرحها حتى يتمكن القارئ من فهمها في سياق النظرية.

أبدأ بالمصطلح المفتاح وهو (Interpréter) وخلافاً لما ورد هنا وهناك، لا تعني الكلمة «التفسير» ولا تسمى النظرية بـ «النظرية التفسيرية للمعنى»، فالتفسير عند العرب هو تفسير المعنى المباشر، أي شرح الكلمة الغامضة من أجل التوضيح.

وفي إطار نظرية المعنى، يعني هذا المصطلح الفهم والاستيعاب. وهو قريب من معنى التأويل عند العرب أي البحث عن المعنى المتضمن وليس المعنى المباشر[1]. ولذا آثرت أن أترجم المصطلح بالفهم والاستيعاب والتأويل أحياناً. وكلها تؤكد ضرورة الفهم قبل

---

(1) محمود عزب، «ملامح التفسير علم مستقل: تفسير أم تأويل؟» في: محمود عزب، **ملامح التنوير في مناهج التفسير** (مصر: الهيئة العامّة للكتاب، 2006).

الترجمة. ومن هنا ترانا في درس الترجمة لا نطلب من الطالب أن يترجم، بل أن يقول لنا بداية ماذا فهم. والتعبير عن الفهم يتم في لغة الوصول، ويكمن دورنا في تدريب الطالب على الانعتاق من اللفظ والتركيز على المعنى في لغة تستجيب لعبقريّة لغة الوصول.

وثمة مصطلحان آخران تميز بينهما النظرية في إطار الترجمة هما (Langue/ Langage)، بمعنى أن اللغة هي نظام التعبير والتواصل الذي تتشاطره جماعة لغوية، أما الكلام فيتصف بوظيفة التعبير عن الفكر والتواصل بين البشر، إما عن طريق الدلائل الصوتية (الخطاب) أو الدلائل الخطية (النص).

ولذا، تؤكد النظرية أن الترجمة على مستوى اللغة تهتم بالكلمات والجمل بمعزل عن السياق فيما تراعي الترجمة الجديرة بهذا الاسم المكملات المعرفية إلى جانب الألفاظ الأصلية، وليس لها بالنتيجة إلا أن تقع على مستوى الكلام. والكلام هنا ليس بمعنى (Parole) الذي أتى به سوسور (Saussure) إنما الخطاب (Discours) وبواسطته يعبر المتكلم عن مقصد ما. والتعبير عن المقصد يفترض ضمناً إيناع الفكر غير اللفظي بكل تجلياته، ليسبك شيئاً فشيئاً ويتم إخراجه على شكل دلائل ألسنية يدرك المتكلم معها أثر خطابه في المستمعين. وتخصص النظرية كلمة (parole) لاستخدام الوسائل اللغوية خارج أي حال تواصلية حقيقية. وتقول د. سيليسكوفيتش في هذا الصدد إن المعنى هو عبارة عن مقصد خارج اللغة، يكون كامناً في ذهن المتكلم قبل التعبير عنه كلاماً، ومتى عُبّر عنه، يتلقفه ذهن المتلقي ويحوله إلى معنى.

أما الدلالة (Signification) فتشمل العلاقة بين الدال والمدلول الواردة عند سوسور، وبمقتضاها تؤثر اللغات بوجه عام التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ يتشابه أثرها في الآذان والأذهان.

لكن يطرأ تعديل على هذه العلاقة على مستوى الكلام (Parole) بتأثير من السياق اللفظي، وعلى مستوى الخطاب (Discours) بتأثير من المكملات المعرفية بحسب النظرية.

وتميّز د. سيليسكوفيتش بين الدلالة/ التعيين والمبررات (Motivations) الكامنة في الألفاظ التي تجعل اللغات تسمي الأشياء على هذا النحو أو ذاك. وتستبعدها النظرية في العملية الترجمية لأن المبررات مجردة من أي قدرة على التعبير في الخطاب، إلا إذا قصد المتكلم ذلك، ولا تساهم عادة في بلورة المعنى. والملاحظ أن المترجم الذي لا يتقن تماماً لغة النص الأصلي هو الذي ينقاد إلى نقل المبرر غير المحسوس به لدى المتكلم الفطري. وأسوق هنا مثالاً ملموساً نقله مترجم **عمارة يعقوبيان** إلى الفرنسية جيل غوتييه. يكشف لنا غوتييه أنه تضايق كثيراً من اختيار الكاتب لكلمة «شاذ» للدلالة على المثليين، فالكلمة في رأيه لها دلالات ضمنية أخلاقية تكفي لإدانة المعنيين بها فضلاً عن أنها تحمل مفهوم الانحراف والفساد واللامألوف عند نقلها إلى الفرنسية، فكان رد الكاتب علاء الأسواني أن كلمة «شاذ» هي المتداولة والمتعارف عليها لدى الجميع، على الرغم من استحداث مصطلح «المثليون الجنسيون» على نمط المصطلح الغربي.

هذا المثال كاف لتصوير المبرر الذي يعلل اختيار اللفظ في لغة ما، وكيف أن متكلمي هذه اللغة فقدوا الإحساس بخصائصه، فالمترجم الذي يفرق بين الدلالة والمبرر لا يقوم بترجمة حرفية لنقل المبرر إنما يكتفي بدلالة الكلمة في السياق فيختار هنا أن يترجم شاذ بـ (homosexuel)، وهو ما اعتمده غوتييه بعد أن تأكد من نيات الكاتب الحسنة.

ثمة مصطلح آخر تتفرد به النظرية ويحتاج برأينا إلى شيء من

التوضيح، وهو مفهوم المجاز المرسل (Synecdocque) الذي يفيد في علم البلاغة ظاهرة إطلاق الجزء للكل والخاص للعام، إذ تقرن المنظّرتان هذا المفهوم بالعلاقة القائمة بين الإدراكي والتصوري: فنحن لا ندرك بصرياً أو سمعياً سوى جزء من الكل الذي يتناهى إلى سمعنا أو يلتقطه بصرنا (الإدراكي). مثلاً حين نسمع محركاً أسفل العمارة نفهم أن سيارةً تنطلق (التصوري). ثم تلاحظ كل من سيليسكوفيتش ولودورير وجود هذه الظاهرة في اللغة، فالمجاز المرسل يتجسد في اللغة، كون المدلول لا يظهر سوى جزء من المفهوم الذي يشير إليه. وأهميته كبيرة في الترجمة، لأن اللغات تختار صوراً مختلفة للمجاز المرسل للإشارة إلى الشيء ذاته، وعليه نفهم بصورة أفضل لماذا لا نترجم المدلولات بصفتها مدلولات إنما نترجم المعنى الذي تتيح التعبير عنه. ومن هنا يبرز مفهوم الظاهر والمُضمر في الخطاب، ففي الخطاب لا يظهر المتكلم سوى جزء من مقصده، والمضمر منه يطابق المعرفة المفترض أن يتقاسمها مع محاوريه، وبالتالي المكملات المعرفيّة المتوفرة لديهم. والجدير ذكره أن ما تضمره لغة ما لا يتناسب بالضرورة مع ما تضمره لغة أخرى.

أما مفهوم التعادل (Equivalence) فتشرحه د. سيليسكوفيتش على أنه تطابق من حيث المعنى لخطابين وردا في لغتين مختلفتين، وذلك أياً كانت أوجه التباين في البنية النحوية والمفرداتية لهذا المعنى. المهم أن نعيد التعبير عن المقصد بواسطة خطاب يتقيد بشكل الخطاب الأصلي من حيث نوعه وسجله اللغوي ويحترم أصول اللغة المنقول إليها.

ننتقل الآن إلى مصطلح آخر هو نية القول (Intention) لنفرق بينه وبين مقصد القول (Vouloir-dire) وفقاً لنظرية المعنى، فإن نية القول غالباً ما تتجاوز المقصد الموضح في الخطاب. ولا بد

للمترجمين والتراجمة من الوقوف عليها ليكوّنوا صورة دقيقة عن الحالة التواصلية التي يتطرقون إليها، إلا أنه ليس من الضروري توضيحها، فالأمانة للكاتب/ المحاور تكمن في نقل مقصده الموضح في النص أو في الخطاب، بمعنى إفهام المضمر والظاهر عينهما الواردين في النص الأصلي، وليس المطلوب تأويل نية الكاتب، فهي ليست واضحة أحياناً وقد تستدعي تكهنات عديدة.

توخينا في ما سبق توضيح بعض المصطلحات حتى يتسنى لنا الوقوف على اللغة لنرى ما إذا كانت مجرد أداة وظيفتها التعبير عن المعنى فحسب، أو إذا كانت تستطيع أن تبلور جزءاً من المعنى وتوجه فكر متكلميها؟ تجيب د. سيليسكوفيتش في هذا الصدد أن الممارسة تبرهن على أن التواصل بين البشر يتم على الرغم من عقبة اللغات إذ إن موضوع التواصل يكمن خارج اللغة.

ولا تحصر اللغة والكلمات المشكلة لها الفكر في قالب من شأنه أن يجعل أي تواصل متعدد اللغات مستحيلاً، إنما تكمن مهمة اللغة والألفاظ في الإشارة إلى الأفكار. ولكي تتم الإشارة إلى فكرة بواسطة لفظ أو جملة فلابدَّ من أن يكون ذلك اللفظ أو تلك الجملة سابقين لوجودها. وإذا أقررنا بذلك، بدا بداهياً أن الألفاظ هي مجرد دعامة للأفكار وأن الترجمة تتم على مستوى الأفكار من دون الاكتراث بالألفاظ التي تجسدها.

وعليه، أصبح من السهل أن نقر بعدم تطابق لغة ما مع لغة أخرى في أسمائها وأفعالها وصروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعاراتها كما جاء عند أبي حيان التوحيدي، فالترجمة لا تعنى بنقل خواص كل لغة إنما تعنى بنقل المعنى. وهكذا تصبح الترجمة الحرفية مستحيلة باسم هذا المبدأ، لأن اللغات تختلف في النظام الذي تخضع له الجمل في تركيب كلماتها، وعلاقة كل كلمة

بالأخرى. وقد يضطر المترجم إلى التقديم أو التأخير وإلى عملية تنظيمية خاصة حتى تبدو ترجمته جارية على المنهج المألوف في اللغة المترجم إليها. ينطبق ما نقوله هنا على جميع اللغات، وما هو إلا دليل على أن العملية الترجمية لها طابع شامل أياً كانت اللغات المعنية، طالما أنها تقوم على تشخيص المعنى وإعادة التعبير عنه. ولذا، لا يصح أن نعتبر ضعف المترجم في اللغة التي يترجم منها أو التي يترجم إليها حجة للإقرار باستحالة الترجمة في بعض الأحيان، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بنقل دلالات الكلمات وحدود معانيها بين لغة وأخرى. ونحن نعلم أن هناك قدراً مشتركاً لدلالة الكلمات في كل بيئة، يتم على أساسه التعامل بالكلمات، وعلى مستواه يكون التفاهم بين الأفراد.

ومن النظرية ننتقل إلى التطبيق لنتحدث عن طريقة تعاملنا مع النص. وما ألاحظه بوصفي أستاذة في الترجمة وفي مدرسة باريس بالذات، أن ثمة ثغرات في المقاربة ينبغي تجاوزها عبر التذكير بماهية النص الخاضع إلى الترجمة.

يحتمل أي نص كان جانباً كبيراً من التناص، بمعنى أنه لا يتشكل من الألفاظ الواردة فيه فحسب، بل يتجاوزها ليشمل نصوصاً أخرى مختلفة سابقة أو متزامنة. ومع ذلك غالباً ما يكتفي الطالب بنقل ألفاظ النص الذي بين يديه إلى لغة الوصول فتبدو ترجمته مبتورة وركيكة، ينقصها ما سمته النظرية المكملات غير اللغوية المستقاة خارج لغة النص كي يكتمل المعنى، وتبدو لغة الترجمة لغة تتناسب مع أصول لغة الهدف.

ولذا، قد يكون من الضروري قبل الشروع في الترجمة تغيير مقاربتنا للنص، وتعليم الطالب القراءة النشيطة والمتفاعلة وليس القراءة السلبية التي لا تخرج من إطار النص، وتكتفي بمحاولة

تفسيره من خلال معاني ألفاظه، فيفهم الطالب عندئذٍ أهمية التناص وكيف أن روافده تستقي من مؤثرات خارجية تدخل معها في حوار دائم. ومن هنا أهمية أن يكون المترجم ذا ثقافة واسعة وفضول مستمر لكل ما يحدث حوله، مثله مثل القارئ يشارك في العملية التواصلية مشاركة فعالة.

ومن هذا المنطلق، فإن اختيار النص في حد ذاته لا يمكن أن يكون اعتباطياً، بل ينبغي اختيار نص غني بمفاهيم جديدة من حيث الثقافة المنقولة عبر الكلمات والمصطلحات المبتكرة، كيما يضطر الطالب إلى القيام ببحث توثيقي خارج النص ليزيل مواطن الغموض، وينفخ المعنى من جديد في النص. وهذا ينطبق على شتى أنواع النصوص، الأدبية منها والتقنية، فالنص مرتبط بالضرورة بواقع ما، ورد في زمان ومكان معينين، حاول الكاتب نقله إلينا، وهو الأمر الذي يعزز أهمية الدخول إلى النص عبر التأويل واستدعاء العوامل غير اللغوية لحصر معناه، ولولاه لأصبحت الترجمة تمريناً عقيماً يمكن اختزاله في عملية ببغائية نقيض الخلق والابتكار.

نتمنى في النهاية أن تسهم ترجمة هذا المؤلف الأساسي في تحسين طريقة تدريس الترجمة في المعاهد العربية وأن تساعد ممارسيها.

فايزة القاسم

تقديم الكتاب

«التأويل سبيلاً إلى الترجمة» يعني فهم ما وراء الألفاظ، ثم التعبير عن معنى منعتق من المادة اللغوية.

تستند المقالات المجمعة في هذا الكتاب إلى مبدأ رئيسي يقضي بأن عملية الترجمة تظل هي نفسها، أياً كانت اللغات أو نوع النصوص، فالانتقال من نص ما إلى فكر منعتق من اللفظ ومنه إلى نص آخر، هو عملية مستقلة في حد ذاتها من اللغات، وهي لا تختلف عن عملية القول أو فهم الكلام في فعل التواصل الأحادي اللغة.

بيد أن ملاحظة هذه الظاهرة تكون أسهل عبر إعادة التعبير عن المقصد في لغة أخرى مما هو عليه في اللغة نفسها، وذلك عند تلقي سلسلة الكلمات المتلاشية أو عند إدراك الوحدات الشكلية الراسخة في النص المكتوب.

تصدير

صدر هذا الكتاب لأول مرة عام 1984 وتم طبعه للمرة الثانية عام 1986. اليوم، وبعد انقضاء عشرين عاماً، صدرت الطبعة الجديدة للكتاب مؤكدةً نجاحه الكبير.

إن الفهم من أجل الترجمة يقتضي أن نفهم ما وراء الألفاظ ثم أن نعبّر عن معنى منعتق من غلافه اللفظي. إن نظرية المعنى التي هي أس للمقالات التي تم جمعها هنا هي نظرية بمعنى الكلمة لأنها تشرح ظاهرة الترجمة وتكشف عبرها عن المظاهر الأساسية لآلية عمل اللغة.

ولذا فليس من المستغرب امتناعنا عن اتخاذ أي موقف هنا تجاه النظريات السائدة في الترجمة، وهي تتمحور حول الترجمة الآلية أكثر منها حول الترجمة الإنسانية. وسعينا هنا إلى حصر واقع الترجمة ووصفه مستندين إلى وقائع بدلاً من الانغماس في نقاش أفكار مجردة، فبعد مرور عشرين عاماً على صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب، مازلنا مقتنعين بأنه يستحيل التنظير حول الترجمة إلا إذا ارتكزنا على الممارسة الناجحة للعملية.

إن المبدأ الأساسي الذي تستوحي منه مقالات هذا الكتاب قائم

على فكرة أن آلية الترجمة هي نفسها، أياً كانت اللغات وأنواع النصوص، فالانتقال من النص إلى فكر غير لفظي ومنه إلى نص آخر انتقال مستقل عن اللغات. ولا يختلف عن ذلك السائد في عملية القول أو الفهم للكلام في التواصل الأحادي اللغة، لكن مراقبته عبر إعادة التعبير عن المقصد في لغة أخرى أسهل من مراقبته في اللغة نفسها عند تلقي السلسلة الصوتية المتلاشية أو كلمات النص المثبتة بصفة دائمة.

ثمة كتب أخرى صدرت بعد هذا المؤلف الذي نقدمه مجدداً للجمهور سوف نجد عناوينها في الفهرس. وفي الأساس، حافظنا فيها على وجهة النظر الأولية المعروضة هنا.

المقدمة

تقليدياً، كان يجري تطبيق الترجمة على دراسة اللغات الكلاسيكية ولذا لطالما استخدمت الترجمة لاكتساب هذه اللغات، على شكل تمارين تقضي بنقل نصوص من اللغة الأم إلى لغة أجنبية والعكس ثم بعد ذلك، انزلقت الترجمة على نحو طبيعي إلى تمرين مقارنة واستبدال كل مكوّن من مكوّنات لغة الانطلاق، مثل حرف الكتابة والسمة النحوية والوحدات البنيوية المفرداتية والتركيب النظمي والجملة الصغرى أو الجملة التي لابدَّ من إيجاد تقابل لها في لغة الوصول. وهكذا أدرجت تحت مسمى «ترجمة» تمارين لاكتساب لغات أجنبية، ومقارنة بنى لغوية واستبدال الواحدة بالأخرى.

تزودنا دراسة اللغات ومقارنتها بالأداة الضرورية لإقامة التقابلات، فالقواميس ثنائية اللغة وكتب النحو المقارنة هي أيضاً ترجمات، نجد فيها تقابلات بين الوحدات البنيوية المفرداتية أو السمات النحوية:

(E) Dam - barrage - سدّ
(E) he is reading - il est en train de lire - يقرأ
(D) Des vaters - du père - للوالد

تتيح المقارنة بين اللغات كذلك اكتشاف معانيها الافتراضية ومختلف الدلالات التي يمكن للكلمات أو أجزاء الجمل أن تتضمنها

والتي يتم توظيف واحدة منها على حساب الدلالات الأخرى في سياق يتجاوز الكلمة الواحدة:

من/ جئت من باريس ـ (F) de - (It) da (J'arrive de Paris)
من/ قطعة من الخبز (F) de - (It) di (un morceau de pain)

،(E) he may not come. - il n'a pas la permission de venir
وفي حالات أخرى:

ممكن ألا يأتي. أو: لم يؤذن له بالمجيء il se peut qu'il ne vienne pas.

يمكن لهذه التقابلات أن تطال العبارات الجامدة:
(D) sein Leben hängt am seidenen Faden - sa vie ne tient qu'à un fil

(كانت حياته معرضة للخطر)

(E) to bring coal to New Castle - (D) Eulen nach Athen bringen, etc...

(جلب الماء في حارة السقائين)

مع أن المرامزة ليست سوى جانب من الترجمة وليست الترجمة في حد ذاتها. لا يمكن تطبيق المرامزة في النصوص أو الخطابات إلا على المصطلحات أو العبارات التي لا تتغيّر دلالاتها، أكان على صعيد اللغة أو عند توظيفها في خطاب. ولهذه المصطلحات تقابلات ثابتة، نذكر على سبيل المثال الأرقام حين تدل على الكميات:

(F): cinq-(E) five - خمسة

أو أسماء العلم:

(E) London - (F) Londres - لندن

أو المصطلحات التقنية: فالمترجم لابدَّ من أن يثبت أن (gravity dam) هي (barrage poids)، سد ثقالي.

وأن الـ (waterproofing) الذي يستفيد منه يقابل بالفرنسية (revêtement de parement)، التصميد للماء.

كذلك سيتمكن المترجم من ترجمة عبارة في الاقتصاد هي (a balanced growth) بـ (croissance diversifiée) نمو متوازن وفي مجال البصريات (absorption path length) بـ (épaisseur optique) امتصاص الكثافة البصرية.

ثمة عدد لا يحصى من العناصر القابلة للمرامزة، ولكن نوع المرامزة الذي تستحضرها هي مرامزات محصورة دوماً، إذ كي تتم إعادة التعبير بوضوح عن النص الذي وردت فيه، لابدَّ من أن يجري تأويله بفضل معلومات غير لغوية. وإذا ما قارنا الذخيرة اللغوية المشتركة لجماعة لغوية ما بعدد المصطلحات التقنية التي يمكن نقلها بالمرامزة، فسوف نتحقق من أنها فقيرة جداً، فمن أصل مليون مصطلح سيدرج قريباً في القواميس الموسوعية أو بنوك المعلومات المصطلحية، عشرات الآلاف فقط من الكلمات تنتمي إلى الألفاظ المشتركة بين الناطقين بلغة واحدة. ومع ذلك، فإن هذه الكلمات الدارجة هي الغالبة في الأدلة والبراهين ضمن الخطابات والنصوص مقارنةً بالمصطلحات التقنية، بمعنى أن المقاطع الجوهرية في النص ومجموع الأدلة والبراهين والأحداث والأفكار التي يتضمنها النص ينبغي تأويلها وفهمها. وقد نخطىء فهم النصوص التقنية والعلمية إذا اعتقدنا أنه يكفي أن نعرف ما هي التقابلات القائمة بين المصطلحات التقنية المتضمنة فيها لترجمة هذه النصوص التي تتطلب ـ أسوةً بالنصوص الفلسفية ـ إعمال الفكر، وأحياناً تنطوي على جانب من الإحساس والرقة على غرار النصوص الشعرية حيث التعبير البليغ مهم بمقدار أهمية المرامزة الصائبة.

هذا والتقابلات القائمة بين اللغات لا يجري تطبيقها من دون تمييز على ترجمة النصوص والخطابات، فالأخيرة تتضمن أفكاراً تنجلي بفضل تكامل المعلومات اللغوية وغير اللغوية المتوفرة لدى

الزوج الكاتب ـ القارئ والتي لا تتضمنها اللغات فنحن لا نعيد التعبير عن الأفكار كما نترجم اللغات، إذ لتحقيق التعادل بين النصوص لابدَّ من المرور بعملية ذهنية استيعابية تركز على الأفكار التي تعبر عنها الأقوال بدلاً من التركيز على الأقوال في حد ذاتها.

والمرامزة الصالحة تجريداً بالنسبة إلى كل العناصر اللغوية لم تعد كذلك إلا بصفة محدودة في النصوص والخطابات جلها. ومحاولة تطبيق التقابلات اللغوية تطبيقاً كاملاً قد يصد القارئ ويثير اشمئزازه لأن مقروئية ترجمة ما تستدعي فهم النص تختلف تماماً عن مقروئية ترجمة لا تستدعي إلا معرفة اللغات.

إليكم عنوان مداخلة قدمت بالألمانية في ندوة نظمتها المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بباريس (ESIT) تحت عنوان:

(Darf mehrsprachige Kommunikation am Missverständnis über das Wesen der übersetzung scheitern?)

وقد ترجم العنوان بالفرنسية على النحو الآتي:

(L'échec de la communication est souvent dû à une méprise sur la nature de la traduction. Faut-il s'y résigner?)

فشل التواصل غالباً ما يُعزى إلى سوء تفاهم حول طبيعة الترجمة، فهل نسلم بذلك؟

والجدير ذكره أن (se résigner) و(dürfen) سلِّم بـ، لا يتعادلان على مستوى اللغات، و(mehrsprachig) متعدد اللغات توضح بالألمانية مفهوماً يظل مضمراً في الترجمة الفرنسية ولكنه واضح وبين، إذ إن أي تواصل يقتضي ترجمة هو تحديداً (mehrsprachig).

تحمل هذه الترجمة علامة مقصد صاحب المداخلة ومنطق لغة الوصول في آن معاً ـ وهما العاملان الأساسيان اللذان يميزان الترجمة عن المرامزة التامة، وهي تبتعد تمام الابتعاد عن تلك التي سنعطيها

في ما يلي، والصحيحة أساساً على مستوى التقابلات اللغوية، ولكنها مشوشة وعسيرة الهضم:

«Les plaintes au sujet du bruit des avions traduisent en réalité une protestation contre les bruits persistants qui assaillent constamment les tympans dans une société caractérisée par une haute densité de population urbaine et assistée par une grande puissance mécanique»[*]

«إن الشكاوى بخصوص ضجيج الطائرات تعني في الواقع احتجاجاً على الضجيج الدائم الذي يطرق طبلات الآذان في مجتمع يتميّز بكثافة سكانيّة حضرية ومدعوم بقوة آلية».

يبقى أن رداءة بعض الترجمات المكتوبة ليس منفّراً دوماً، فالقارئ المهتم يمكنه أن يتمهل ويعمل فكره ليعوض عن نقص الوضوح، لكن الأمر لا ينطبق على السامع: فمن يستمع إلى ترجمة فورية لا يمكنه أن يتوقف عند هذا المقطع أو ذاك، من دون أن يضطرب عليه مجرى الحديث. هذا والخطأ المنهجي يساهم في تعتيم الترجمة الكتابية وجعل الترجمة الشفهية غير مجدية.

إنها من دون شك دراسة اللغة المكتوبة التي أكدت مصداقية الفكرة القائلة إنه ينبغي للقيام بالترجمة أن نقارن بين مختلف مستويات البنى اللغوية ونقيم تقابلات في ما بينها، فكل ما هو كتابي يتيح تقسيم لغة إلى عناصرها المكونة لها. هذا ليس شأن الشفهي حيث تقدّم الخطاب لا يسمح باستخلاص اللغة من تسلسل الأقوال.

(*) مقتطف من الترجمة الرسمية لعرض السيد آلان س. بويد، الوزير السابق للنقل الأمريكي، ورد تحت عنوان الأوجه العامة للطيران المدني *(General Aspects of The Impact of Civil Aviation)*. نعطي في ما يلي الأصل: «Complaints about Aircraft Noise Really Reflect an Outcry Against the Pervasive Sounds that Constantly Assail Eardrums in a society characterized by High Density Urban Population Supported by Mechanical Power».

إن الطابع المثبّت، الراسخ للنص المكتوب يحث كل من يقوم بتحليله على تحويل المعنى الحي إلى معنى جامد للألفاظ وإلى تعميم المرامزة بدلاً من الترجمة عبر بلورة المعنى الذي قصده الكاتب ونقله بشكل طبيعي إلى لغته.

على العكس، فالخطاب الشفهي في تلاشيه، لا يرهن عند السامع سوى عناصر معرفية والترجمان الجيد - ولاسيما في الترجمة التعاقبية - يسلك مسلكاً طبيعياً للتعبير عن «الأفكار».

تساءلت مؤلفتا هذا الكتاب عن أسباب قصور بعض الترجمات فوجدتاها في التطبيق المعمم للتقابلات القائمة بين اللغات على النصوص والخطابات، فلا غرابة أن تقوما بإدانة الترجمات «اللغوية» وأن تسعيا إلى تحديد عوامل النجاح في الترجمات القائمة على الفهم التي ينجزها المترجمون والتراجمة الجيدون.

قادتنا مراقبة الترجمة الفورية إلى تحديد عملية الترجمة التي تتناول النصوص والخطابات. وبعد أن تحققنا من الدور الذي يقوم به معرفة الموضوع وفهم مقصد الكاتب، أقمنا كمسلمة وأبرزنا وجود مرحلة لتحصيل المعنى بين مرحلة إدراك الرنات الصوتية في خطاب ما وإعادة التعبير عنها في اللغة الأخرى. وفي هذه المرحلة بالتحديد، تمتزج العناصر الحسية بالعناصر المعرفية الحاضرة معاً.

وبفضل توفر المسجل والشرائط الممغنطة، أتيح لنا تحليل الترجمات المتعاقبة والفورية تحليلاً دقيقاً، فضاعفنا من عدد التجارب والمراقبة وأجرينا دراسة دقيقة جداً لعملية الترجمة، فأخرجناها من دائرة المقارنة بين اللغات التي كانت قابعة فيها.

إننا نرى في الترجمة الفورية النموذج الأساسي، والشكل الأصلي لكل ترجمة تتناول النصوص، إذ لا وجود لنص من دون

مؤلف ومنطلقات فرضية، ومن دون عناصر معرفية لا يتم التعبير عنها بوضوح ولكن ينبغي أخذها بالاعتبار.

للمترجمين والتراجمة الهدف نفسه: إيصال فكر الآخر، فترجماتهم لا تستند إلى أساليب مختلفة، المرامزة من جانب ونقل الأفكار من جانب آخر، فحتى الترجمة التي تتسم بجانب كبير من الآلية تتضمن دوماً جانباً من التأويل لفهم المعنى. والترجمة الحرة المتغاضية عن الشكل الأصلي تتضمن بدورها جانباً من المرامزة.

إن مفهوم الترجمة كما تمت بلورته في مدرستنا (ESIT) هو ثمرة التأمل والتفكيراللذين قام بهما متمرسون حول خبرتهم. وسمح شرح عملية الترجمة بإعداد مناهج تعليم تجعل من خريجي المدرسة، مترجمين كانوا أو تراجمة، مهنيين يقدرون حق التقدير في العالم أجمع.

ونظراً إلى أن اللغة الفرنسية بدأت تفقد تدريجياً صفة اللغة الكونية، يقوم هؤلاء المحترفون بمهمة تعنى بالسلامة العامة في بلد من طابعه ألا يعير الترجمة حق قدرها، من جراء هيمنته اللغوية الطويلة الماضية. إن الدفاع اليوم عن اللغة الفرنسية هو الاتكال على وسطاء ذوي ثقة في المجالين الناقلين للفكر وهما الترجمة الكتابية والترجمة الفورية.

يجمع هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم مداخلات ومقالات صدرت في مجلات عديدة، في فرنسا والخارج ونفد اليوم بعضها. إنه الكتاب الأول في المجموعة التي ستكرس للترجمية.

ويضاف هذا الكتاب إلى الكتب الثلاثة الأخرى التي نشرت في

دار نشر مينار في مجموعة شامبوليون. وملؤنا أمل في أن يكون كتابنا ذا فائدة لطلاب مدارس الترجمة الكتابية والفورية التي يتضاعف عددها في العالم، ولأساتذتهم وكل من يهتم بالترجمة واستعمال اللغة.

د. سيليسكوفيتش

م. لودورير

نيسان/ أبريل 1983

الفصل الأول

ما هي الترجمة؟

مرامزة أم إعادة تعبير

سنجول في الطرقات الأسبوع القادم، وقد جاء الزبائن ليروا في المعرض قبل أن يروا تشكيلات الأزياء عندهم.

إنها لتجربة مريعة أن تقدم، عارياً، ابنك للجمهور.

هل يمكن ترجمة هاتين الجملتين؟ إذا كنا نعتقد أن الترجمة مرامزة، أي انتقال من لغة إلى أخرى بتحويل دلائل إلى أخرى، فسيكون الجواب بالإيجاب، لكن هذا الجواب لن يكون إلا جواب جاهل بأصول الترجمة. أما إذا كنا نعتقد على العكس أن الترجمة ليست فقط نقل دلائل إلى أخرى، وأنه ينبغي أولاً تحديد الدلالة السديدة من بين هذه الدلائل من أجل إيجاد مقابلها في اللغة الأخرى، فسيكون الجواب بالسلب، لأن هاتين الجملتين ليستا واضحتين، وقبل ترجمتهما يجب رفع تعدّد معاني الكلمات وغموض الجمل. هذا إذاً ما سيجيب به بعض اللسانيين. أما المترجم، فسيجيب بأن السؤال ليس في محله، إذ لا يمكن الإجابة عنه قبل طرح سؤال آخر: هل يمكن فهم هاتين الجملتين؟ الأمر بالنسبة إليه يتعلق باستحالة الترجمة طالما بقيت الدلائل الألسنيّة غير منتظمة في مرسلة لها مغزى. هنا فقط تفقد غموضها، وتنقل معنى يمكن ترجمته. فماذا عن الجملتين أعلاه؟

سنجول في الطرقات الأسبوع القادم، وقد جاء الزبائن ليروا في المعرض قبل أن يروا تشكيلات الأزياء عندهم: للوهلة الأولى، تبدو هذه الجملة وكأنها لا رأس لها ولا ذنب، ومع ذلك، كان يمكن فهمها تمام الفهم عندما قالها صانع أزياء فرنسي كان يعرض أزياءه في معرض للألبسة الجاهزة. وماذا كانت تعني هذه الجملة؟ إن صناع الألبسة الجاهزة يعرضون تشكيلاتهم في معرض يأتي إليه البائعون بالتجزئة ليروها، وليقارنوا ما بينها، وليكوّنوا انطباعاً عن موضة الموسم القادم. بعد ذلك، يزور الصناع المحلات، ويقدمون موديلاتهم لبائعي التجزئة الذين ينتقون منها ما يقع عليه اختيارهم. كان صانع الأزياء ذاك يعلن ببساطة أنه بعد انتهاء فترة المعرض، سيقوم بجولة في البلد، وكان سعيداً بالاهتمام الذي أبداه هذا العدد من المشترين المحتملين. وبالتالي، فعندما قيلت تلك الجملة في هذا السياق، كانت واضحة تماماً حتى أن جاري الذي نبهته إلى بنيتها المضطربة لم يلاحظ حتى ذلك.

إنها لتجربة مريعة أن تقدم ـ عارياً ـ ، ابنك للجمهور. من يعتقد أن الترجمة هي رفع الغموض، سيقول: «المشكل هو أن نعرف علام تعود كلمة عارياً إذ إنه ليس في الجملة ما يشير إلى هذا المرجع فهل هو الطفل أم مقدم الطفل؟»، فعلى صعيد اللغة، أي على صعيد الجملة المنعزلة التي هي تنظيم نحوي وليست تبليغ رسالة، فإن الكلمات لها معان متعددة والأقوال غامضة، وإذا كانت الألسنية تعتبر هذا الأمر عقبةً تعيق عمل الترجمة فهذا لأنها تتصور الترجمة على الصعيد اللغوي. أما المترجم فيلاحظ أنه لا يترجم لغة وإنما يترجم مرسلة (قصيدة أو رواية، أو كتاباً مدرسياً أو طريقة استعمال، محاضرة علمية أو براءة اختراع)، وأنه عندما يفهم ما يترجم لن يصطدم بمشاكل غموض أو تعدد معانٍ، أي باشتراك لفظي. الآن وقد

أوضحنا هذه النقطة يمكن أن نذكر الفقرة التي تقدم لجملتنا في مقال من جريدة **لوموند** (*Le Monde*) الصادرة بتاريخ 1 آب/ أغسطس 1973 بعنوان «الحاجة إلى خطاب مفهوم» بقلم م. مازوايّيه (M. Mazoyer): «لا يمكن لنتائج البحث أن تستعمل على الصعيد الاجتماعي إلا بالقدر الذي تستخرج فيه من غطائها النظري، أي المنهجي، أو التجريبي. بالنسبة إلى المجتمع، إذ لا يحظى بحث بالاهتمام إلا إذا كانت الظواهر، والحالات، والتحولات الاقتصادية والاجتماعية المدروسة قد تم توضيحها من خلال خطاب علمي مفهوم... كل هذا يتطلب من طرف الباحثين نضجاً كبيراً. إنها لتجربة مريعة أن تقدم، عارياً، ابنك للجمهور»، فبعد قراءة هذا المقطع، لم يعد بنا حاجة لنتساءل عن مرجعية كلمة عارياً، لأن الجملة، وقد صارت كلاماً، فقدت كل غموض.

الكلام

إذاً ما هو الكلام الذي يتجلى من خلاله معنى، على عكس اللغة؟ ما هو العنصر الجديد الذي جعل هاتين الجملتين اللتين ذكرناهما قابلتين للفهم، وذلك من دون أي تعديل في اللغة المستخدمة في التعبير؟ هذا العنصر هو العلاقة التي تربط بين جمل منفردة، الأولى مع المناسبة التي قيلت فيها، والثانية ضمن النص الذي اقتطعت منه. لقد أعاد هذا التقارب للجمل معناها الذي فقدته عند اقتطاعها.

وكما أنه ليس للألفاظ المقتطعة إلا دلالات افتراضية، فليس للجمل المعزولة عن سياقها إلا معانٍ افتراضية أيضاً. لو أخذنا من جرار اللغة كلمات بشكل عشوائي، وفحصناها الواحدة تلو الأخرى، لتوصلنا إلى رصف عدد من الدلالات لكل منها، لأن تعدد المعاني

من طبيعة الكلمات، فهي ليست مجرد عناوين أو أسماء تطلق على الأشياء أو مفاهيم فريدة، إنها تغطي مجموعات كاملة من الدلالات. ويمكننا التسلي بتجميع كلمات ندعي أن لها معنى واحداً : لا أدري أين قرأت أن الجملة الفرنسية (Il a un cousin au front) التي تعني «له ابن عم في الجبهة» يمكن أن تكون مرادفة للجملة «له ناموسة على الواجهة». لم لا، إذ تفتقد هذه الجملة أي مقصد! وعليه، فإن تعدد المعاني والغموض يميزان كل تركيب لفظي خارج السياق، ويزولان عندما توضع الجملة في مجرى الخطاب. إن نية الإبلاغ التي يبنى الكلام على أساسها هي وحدها التي تحرر الكلمات من تعدد المعاني والجمل من غموضها، وتشحنها بمعنى ما.

ما تدعوه معنى ليس ما تشير إليه الدراسات الدلالية أو المعجمية التي تعرّف الحدود التصورية للكلمات أو للبنى النحوية، ذلك المعنى الذي سندعوه هنا «الدلالة اللغوية»، يقابل معنى الكلمات خارج استعمالها في الكلام. إن معنى الكلام الذي تنقله المرسلة لا يوجد بطريقة خفية في الكلمات المنفردة ولا في الجمل المنفردة إنه يعتمد على دلالات لغوية، ولكنه لا يقف عند حدودها، إنه النص في مجمله الذي يدور شيئاً فشيئاً مع دائرة القراءة هو الذي يسمح بفهم مقصد المؤلف. وقبل أن يرتدي شكلاً لفظياً، كان هذا المقصد في وضع أقرب إلى التشتت، ولكن عندما تبدأ الفكرة في التبلور شيئاً فشيئاً فإنها تتحدد، وتتشعب مع الكتابة، إذ إن كل جملة تبني على الجمل التي سبقتها بقية العرض. وهكذا فالكلمات التي تشكل مجموعات من الدلالات المحتملة على صعيد اللغة لا توظف على صعيد الكلام إلا جزءاً منها، لكنها تتكفل مقابل ذلك بالمعنى الذي تضفيه عليها الأقوال التي لاتزال راسخة في ذهن المتلقي. عودةً إلى جملتنا: «إنها لتجربة مريعة أن تقدم، عارياً، ابنك للجمهور»،

نرى أنها إذا ما قرئت في سياقها اكتسبت كل كلمة مدداً معزواً للكلمات التي سبقتها. وهكذا، فإن كلمة «طفل» التي وظفت جزءاً من الافتراض الدلالي المسموح به لغوياً أي مفهوم «نتاج للإنسان» تتلوّن بكل ما تغنيها به الكلمات السابقة وعلى وجه الخصوص «نتائج البحث». والشيء نفسه ينطبق على كلمة «عارياً» التي تعني «غير مكسو» على صعيد اللغة، ولكنها هنا تعني «تستخرج من غطائها النظري، أي المنهجي، أو التجريبي»، وعلى صعيد الكلام، تأخذ معنى «واضح».

نستنتج إذاً أنه لخطأ جسيم أن نخلط بين اللغة والكلام في إطار حديثنا عن الترجمة، فعلى صعيد اللغة لا يوجد أي تقابل بين «طفل» و«نتائج البحث»، ولا يظهر هذا المعنى إلا على صعيد الكلام. المعنى عابر متلاش، مثله مثل التركيب اللفظي الذي أولده، وهو من صنع الكلام، يتمايز من اللغة وإن كان يعتمد عليها في تبلوره، فاللغة تنسب دلالة للكلمات، ولكن الكلام يغنيها بمفاهيم لا يمكن تصورها على الصعيد المعجمي وحده. والحال هذه، فإن هذه المفاهيم التي تبني المعنى ينبغي أن يفهمها قارئ الكتاب المترجَم مثلما فهمها قارئ الكتاب الأصلي. وهكذا نرى أن المعنى، بعيداً عن أن يكون جامداً ومعطى موضوعياً، إنما هو عبارة عن عملية في تقدم دائم تبنى على مدار الخطاب.

المعنى، موضوع الترجمة

إن المعنى هو غائية اللغة، وهو العنصر المركزي للعلاقات بين الناس والمعنى، مبتذلاً كان أو معقداً، هو أيضاً موضوع الترجمة. لقد شاع أن الترجمة هي تمرين يتناول لغتين، ويشتمل هذا التمرين على إيجاد الكلمات والبنى النحوية التي تقابل في لغة ما الكلمات والبنى في لغة أخرى. كما أدت الأبحاث المتعلقة بآلة الترجمة إلى

دراسة المقابلات بحسب النظائر اللغوية، وإلى ظهور ما يدعى «النحو المقارن» وهي كلمة تتسم في الفرنسية برنة إنجليزية واضحة. ويعود الفشل النسبي لهذه الأعمال من دون شك إلى واقع أن الترجمة الآلية لا تستلهم من طريقة الإنسان في العمل، فهو لا ينقل رمزاً إلى آخر، وإنما يدرك معنى، ويعيد التعبير عنه. إذا ما محورنا الأبحاث عن الإنسان والطريقة التي يتبعها في عمله، فلن يعود مهماً أن نعرف ما هي النظائر اللغوية التي نتصدى لها من أجل نظرية للترجمة، بينما يستعيد المعنى فيها أهمية من الدرجة الأولى.

وعلينا ألا ننسى أن الحاجة إلى الترجمة تنتج مباشرة من الحاجة إلى التواصل، وتوجد هذه الحاجة بالقدر نفسه داخل اللغة نفسها حيث يستغني التواصل عن الوسيط، وبين لغتين حيث تغدو وساطة المترجم ضرورية. أليس من الشرعي بعد ذلك أن نرى أن عملية التواصل كما تجري داخل لغة واحدة هي ذاتها التي تربط المترجم بنصه الأصلي، ثم ترجمته بالقارئ الذي يقف عليها، بحيث يبدو واضحاً أن الترجمة تتعلق بعمليات الفهم والتعبير أكثر مما تتعلق بالمقارنات بين اللغات. وعند الراشد، فإن التعبير والفهم يتعلقان بالكلام وليس بتنظيم مقاطع لغوية صغيرة في جمل غير مفيدة، لا معنى لها، فنحن لا نتكلم أبداً، من دون هدف، أو من دون نية منا للإبلاغ، تماماً كما لا يمكننا أن نسمع أو نقرأ من دون أن نفهم شيئاً، أي من دون أن نبحث عن المعنى المتضمن. ويعلم المترجم جيداً، بوصفه قارئاً من أجل أن يَفهم تارةً وكاتباً من أجل أن يُفهم المعنى الأصلي تارة أخرى، إنه إذاً لا يترجم لغة إلى أخرى، وإنما يفهم كلاماً، وينقله بدوره معبراً بطريقة مفهومة، فجمال الترجمة وفائدتها أن تدور دوماً حول نقطة الوصل هذه حيث يلتقي مقصد المؤلف بما يفهمه القارئ.

في التواصل، يستخلص المعنى من تسلسل الكلمات والجمل، كل كلمة وكل جملة تضيف ما لديها للأخرى، ولكنها تنتفع منها أيضاً. ويبنى المعنى شيئاً فشيئاً طالما بقيت سلسلة الكلام دائرة، وإذا ما جمّدنا كل شيء فجأة من أجل أن نقتطع جزءاً كيفما اتفق - يمكننا أن نستخرج فقرةً وأن نحلل صوابها - فسيكون من المستحيل، في الوقت ذاته، أن نستخلص المعنى الذي سيبقى سجيناً في خبايا النص.

معرفة الموضوع، معرفة اللغة

إذا لم تكن الترجمة مرامزة بل فهماً وتعبيراً، وإذا كان ما نفهمه ونعبر عنه هو المعنى، فمن الجدير أن نتريّث حول هذا المفهوم الأساسي الذي جعلنا منه موضوعاً للترجمة، وأن نحدده بدقة. لنأخذ الجملة الآتية: «نسمي استبدالاً مطابقة المجموعة (E) على نفسها، بمعنى تحويل مبادلة عناصرها الأربعة إلى مبادلة أخرى». بما أنني لم أدرس الرياضيات الحديثة فأنا لا أفهم هذه الجملة، أي إنني لا أقف على المعنى. ماذا يمكنني القول بعد أن قرأتها وأعدت قراءتها؟ يمكنني الافتراض أن الأمر يتعلق بالرياضيات، فالكلمات المستعملة تشير إلى ذلك، ومن ناحية أخرى، إن تركيب الجملة يجعلني أفهم أن ثمة مجموعة تتكون من أربعة عناصر. معرفتي بالنحو والمعاني الدارجة للمصطلحات المستعملة لا تسمح لي إطلاقاً بأن أفهم أكثر من ذلك. أما طالب الرياضيات فسيلجأ ليفهم هذه الجملة إلى مفاهيم تقنية مألوفة لديه، وهي مفاهيم من المستحيل أن أتخيلها.

الانطباع الأول هو أن عدم معرفة المفاهيم التقنية للمصطلحات يمكن أن يحول دون فهم جملة ما، وفي الواقع، يمتزج هذا الجهل بنوع آخر من الجهل يتعلق بالموضوع.

وعند التطرق لمسألة معرفة الموضوع، ومعرفة اللغة، نلمس أحد وجوه المعرفة التي تكتسي أهمية كبيرة لمفهوم المعنى نفسه. واللغة هي وسيلة تعبير عن الأشياء والمفاهيم، وعندما يتعلم الطفل الكلام، فإن أول دلالة يربط بها الكلمات هي أول معرفة مجردة يمتلكها عن الأشياء. وإذا تقاطعت معرفته للأشياء والمفاهيم كلياً مع دلالة بعض الكلمات، فسوف تبقى معرفته جد محدودة. ولكن كلما قرأ وعاش أكثر، اغتنت الدلالة التي يربط بها الأشياء بالنسبة إلى تلك التي يربطها في البداية بأسمائها. وهكذا يغدو قادراً على التعبير عنها، بحسب الضرورة، بكلمة واحدة أو بكتاب بأسره.

إذا حددنا المعرفة اللغوية على أنها فهم دقيق للدلالات اللفظية، والمعرفة البحتة على أنها مجموعة من الشروحات المسهبة والتأويلات التي يمكن أن نحصر بها مفهوماً ما (وهذه التفسيرات والشروحات يمكن في بعض الحالات أن تملأ عدة مجلدات)، سنرى أنه لا يوجد انقطاع بين المعرفة اللغوية والمعرفة، وأن اللغة لا تمدنا إلا ببداية المعرفة. ولكن إذا كنا نتقدم حقاً وفق حركة مستمرة تنطلق من معرفة اللغة نحو معرفة معمقة وأكثر دقةً دوماً، فسنجد أن هذه الحركة لا تتطور بشكل متجانس إذ يمكن أن نمتلك في بعض الميادين معارف متعددة، بينما لا نتجاوز أبداً في أخرى المعرفة التي تمدنا بها اللغة وحدها، وهذا ما يفسر الملاحظة التي غالباً ما تجري في الترجمة ومفادها أنه لا يكفي أن نعرف لغةً لنفهم ما يقال بها، ونكون قادرين على ترجمته. وفي الواقع، تقوم عملية فهم القول اللغوي على درجتين من المعرفة، المعرفة في حد ذاتها، بمعنى المعارف السديدة، وثيقة الصلة بالموضوع، التي يستحضرها القول في كل مرة، ومعرفة اللغة. وبالتالي، يتوقف إدراك المعنى على التطابق بين هاتين الدرجتين من المعرفة بالنسبة إلى كل المستحدث الذي يأتي به الواقع اللغوي.

تسمح لنا الجملة التي ذكرناها آنفاً «نسمي استبدالاً مطابقة المجموعة (E) على نفسها، بمعنى تحويل مبادلة بعناصرها الأربعة إلى مبادلة أخرى» بالوقوف على العلاقة بين اللغة والمعرفة: اللغة، كما هو عهدها في التواصل معروفة، والمعرفة والحال هذه ناقصة، أو غائبة.

في هذا المثل، يدرك القارئ غير المتخصص في الرياضيات تماماً أنه يعرف اللغة، ولكنه يجهل الموضوع. غير أنه، في معظم الحالات، لا يبدو الاختلاف بشكل واضح، وبالتالي نميل إلى الخلط بين معرفة اللغة والمعرفة، من دون أن ننتبه إلى أن اللغة وحدها لا تسمح بالوقوف على المعنى، وأننا نستحضر دوماً معارف غير لغوية لفهم قول لغوي. وهكذا نظن أننا نفهم ما يعنيه الخبر: «تم اكتشاف بلوتونيوم 239 طبيعي»، بينما إذا كنا نجهل أن العناصر ما وراء ـ اليورانيوم لم تكن توجد حتى الآن سوى كمنتج لفعل الإنسان أو كمنتج ثانوي لفعله في الفيزياء النووية، لا نفهم في الواقع معنى هذا الخبر إلا بشكل جزئي. يفيد إذاً كل ما نملك من معارف غير لغوية لفهم دلالة الكلمات الواردة في الجمل، بغية استخراج معناها، وكلما اتسعت المعارف توضح معنى القول بشكل أكبر.

نماذج الفهم

ولكن مهما كان اهتمامنا بقراءاتنا جد سطحي، ومهما كانت المعرفة التي نواجه بها دلالات الجمل التي نراها على الورق جد محصورة، فنحن نصل دوماً إلى معنى، وإن كان هذا المعنى جد محدود، وجد غامض، بل جد خاطئ أحياناً. يروي ج. بياجيه (Jean Piaget) (1967) أن الطفل الصغير لا يعرف بعد إن كان هناك قمر واحد في السماء، أو إن كان القمر الذي يراه على مسافة عدة ليالٍ

ليس في الحقيقة تعاقب عدة أقمار، وعلى العكس، إذا ما التقى عدة بزاقات خلال نزهة يقوم بها، فهو لا يعرف أنها ليست هي ذاتها دوماً. ولكنه يبدأ عما قليل يفهم، أن البزاق لا ينتقل بالسرعة التي ينتقل هو فيها، فلا يمكنه أن يلتقي البزاق ذاته عدة مرات خلال النزهة، وباختصار ينتقل الطفل إلى حال المنطق والاستدلال. وعندما يكبر بالتدريج، تغتني ملكة الاستدلال عنده بالمكتسبات المتعددة التي تبني معرفته، وتفهمه هذه المعرفة بدورها ما يدرك. ونجد الشيء ذاته في ما يخص اللغة كالقمر أو بزاقات طفولتنا: ونحن لا نفهم الكلمات المدركة إلا لأننا نربطها بمعرفة غير لغوية.

وتختلف معرفة كل واحد من حيث الاتساع والعمق، وهي لا تغطي دوماً ميادين المعارف نفسها. هذا ولا ندرك شيئاً مما لا نفهمه، أي مما لا نستوعبه بشكل أو بآخر. إن ما لا يصلح بشكل عفوي لأي فهم، لا يدرَك بشكل واع، وهذه ظاهرة تتجلى يومياً في كل التفاعلات بين العالم الخارجي والإدراكات. هكذا خُلق عقل الإنسان، بحيث لا يدرك إلا من خلال الاستدلال (مهما كان ذلك بشكل غير واع، ومهما كانت السرعة الخاطفة التي يتم بها هذا الاستدلال)، إلى حد أن الملاحظات والاكتشافات التي تبدو الأكثر بساطة عند الراشد والأكثر بداهةً في عينيه، قائمة على أساس مسبق من الرصد والاستنباط والاستدلال، وهي عمليات معقدة بقدر ما هي غير واضحة أغلب الوقت. ويسمح له هذا الأساس الجوهري أن ينسق كل واحد من أفعاله، بما فيها فعل الكلام، وفق طرق توجيهية يتعذر عليه تصويرها تصويراً واعياً لدرجة أنه جرى الاعتقاد بأن الإدراكات هي عبارة عن مجرد تدوينات، واختزال بعض السلوكات في الاستجابة للمثيرات. كان لابدّ من أن ننتظر بياجيه للتحقق من وجود تصور يقوم على الفهم يقع بين المثير والاستجابة.

المعنى إذاً هو التقاء الصياغة اللغوية التي نراها على الورق والمعارف التي تتوفر لدينا عند القراءة.

العثور على مقصد المؤلف

إن الاستيعاب، بوصفه عملية لاواعية على مستوى الإدراك الحسي بصفة عامة، يغدو للمترجم الخائض في غمار مرحلة تلمس المعنى، جهداً واعياً للفهم. إذا جعل من المعنى موضوع عملية الترجمة التي يقوم بها، غدا المشكل الذي يطرح عليه أن يجد عبر القول الماثل أمام عينيه، مقصد المؤلف، وبوجه آخر أن يقف عبر الدلالات اللغوية على المعنى وهو المرسلة التي يريد إبلاغها. لقد درج القول إنه لا يوجد معنى واحد أبداً، وعليه فإن لا أحد، سواء أكان ذلك المؤلف أو قرّاؤه، يمكن أن يتصوره بالطريقة نفسها قطعاً. وينوه بذلك فاليري[1] (Valéry) عندما يفحص العلاقة بين المؤلف وأعماله إذ يقول: «لا يوجد معنى حقيقي لنص، ولا سلطة للمؤلف، ومهما كان يريد أن يكتب، فقد كتب ما كتب. وعند نشره، فإن النص مثل جهاز يمكن لكل واحد استخدامه كما يشاء وبحسب إمكانياته، وبالتالي فليس أكيداً أن يستعمله مصممه أفضل من غيره».

إن عدم التطابق بين كل كلام والمعنى ليس هو ما يبعث على اليأس، فالإنسان ليس آلة، وفكره لا يتوافق نقطة نقطة مع البنى اللغوية. إذا كان المؤلف «يعلم جيداً ما أراد القيام به»، فهو لا يمكنه في الواقع أن يحكم «على ما فعله» إلا عبر رد فعل أولئك القرّاء الذين يقيمون له علاقة بين قوله ومعرفتهم.

---

(1) *Variétés III*.

من أجل أن يكون معنى القول هو ما أراد قصده المؤلف، ينبغي لهذا المؤلف أن يحكم بدقة على معرفة أولئك الذين يتوجه إليهم، وأن يتناسب من ثمّ ظاهر قوله مع ما أراد إضماره. وعلى القارئ أيضاً أن يعلم أن إظهار المُضمر اللغوي لا يغطي إلا جزءاً من المرسلة. وسواء أكان المقروء خبراً في جريدة أم دراسة فلسفية، فيمكن للمعرفة التي نقرنها بالإدراك أن تكون تقريبية أو حتى خاطئة (إذا كانت المعرفة التي نؤسس عليها فهمنا ليست كافية)، تماماً مثل قول المؤلف الغامض أحياناً (إذا لم يحلل فكره بما فيه الكفاية أو أساء في الحكم على الذين يتوجه إليهم). ومع ذلك، ففي معظم حالات التواصل العادي، يتحقق المعنى عفوياً، فيتوافق القول مع المقصد والمفهوم أيضاً. نحن نفهم الجريدة التي نقرأها (وينبغي القول إننا نختار قراءة هذا المقال أو ذاك لأننا نملك المعرفة التي تسمح لنا بفهمه بمجرد القراءة...)، نحن نفهم الأدلة والبراهين التي يقدمها المرشحون للانتخابات التشريعية على شاشة التلفزة : قد لا نتفق معهم، وقد نشك في الواحد أو الآخر، ونتهمه بالمناورة أو النفاق، ولكننا نفهم ما يقولون. ولذا سيتفق معي البعض للقول إن المعنى ينتقل في حالات جد بسيطة ويتم إدراكه. وعلى العكس، لنفترض أن قروناً أو ببساطة بضعة أسابيع مضت بين اللحظة التي حررت فيها معلومة وتلك التي قرئت فيها، أو لنفترض أن قارئ معلومة ينتمي إلى ثقافة مختلفة تمام الاختلاف عن ثقافة المؤلف. ما الذي سيجري؟ يمكننا في هذه الحال بالذات استنتاج عدة معانٍ يقر التحليل الدلالي بأنها كلها محتملة، بينما لا نجد صعوبة في فهم مقصد المتكلم أو الكاتب بصورة عامة. لنفترض أن إرادة متعمدة للتأويل وفق معنى معين قد تدخلت في نص قانوني من هذا النوع، فنحن نجازف، مهما كانت العناية التي تمت بها موازنة كل مصطلح، بالوصول إلى خلافات ودعاوى لا نهاية لها.

من بين هذه المعاني التي لا نحتج على ادعاء وجودها، ومن بين كل هذه الاحتمالات، فإن ما يهم الترجمة هو الأمانة تجاه مقصد المؤلف، أي رفض أن نحل محله مقصداً آخر يعزى لقلة معارفنا أو أن نحيده عن اتجاهه قصداً خضوعاً لهذه المصلحة أو تلك. تفرض طريقة المترجم في الترجمة إبعاد التأويلات السهلة وتلك التي تبدو مغرضة.

من المعنى الافتراضي إلى المعنى الحقيقي في اللغة

يبحث المترجم عن مقصد المؤلف، ومنهجه في ذلك تفسير النصوص لا التحليل اللغوي. إذاً، فالمعنى المراد نقله في لغة أخرى هو نفسه المبلغ عنه ضمن اللغة ذاتها التي يتحدث بها هؤلاء الذين لهم المعرفة اللازمة للفهم. المشاكل هي إذاً ذاتها : ضمن اللغة الواحدة، يغدو الاستشهاد بالجمل المنتزعة من سياقها مغرضة لأن السياق الجديد الذي ندمجها فيه قد يعطيها إضاءة مختلفة عن تلك التي كان يريدها مؤلفها، وكذلك تنطوي ترجمة جمل منفردة على مخاطر الالتباس ذاتها. إذا ترجمنا نصاً جملة جملة مستلهمين اللغة الأصلية أكثر من سلسلة الأفكار التي كانت توقد ذهن الكاتب، فسنقوم بتجميع عناصر لغوية منعزلة تتطابق بشكل فردي من لغة لأخرى، لكنها تشبه مجتمعةً لعبة تراكيب لا تتوافق جيداً مع الشكل الطبيعي الذي يرتديه الفكر في اللغة الأخرى. هذا لأن كل كلمة منعزلة، وكل جملة خارج السياق، وكل قول غير كامل، كلها تنطوي على عدد من الدلالات الافتراضية، ولكن من دون أي معنى حقيقي. إن اللفظ الخارج عن السياق، الباقي على صعيد اللغة التي لم تتحول إلى مرسلة، هو مثل عملة لم تتجسد في مشتريات. وطالما لم تنفق ورقة الخمسين فرنكاً، فيمكنها أن تصلح لمشتريات من البقالة أو كتب أو تذكرة سفر في القطار. إنها مجرد افتراضات،

وعلى العكس، فإن صرفها لن يحقق سوى واحد من هذه الافتراضات. يمكن أن نذهب بعيداً جداً في تحليل قيمة الخمسين فرنكاً، ولكن ذلك لن يسمح بالتنبؤ بما سنصنع بها. ونجد الشيء نفسه في ما يخص اللغة بالمقارنة بالنصوص، فمعرفة اللغة شرط مسبق لا غنى إلى الترجمة عنه، ولكن معرفة اللغة لا تؤدي إلى تحقيق الترجمة، إذاً فما نصنعه باللغة هو وحده ما يهم الترجمة. سآخذ مثلاً صفحة من كتاب فيناي (Vinay) وداربلنيه (Darbelnet) (1966) تثبت أن التحليل اللغوي يبرز افتراضيات اللغة، بينما لا تكفي ألفاظ اللغة لإجلاء المعنى. يقول لنا المؤلفان إنهما «يترددان في ترجمة» (hospital) (مستشفى بالإنجليزية) بـ (hôpital) الفرنسية لأن المصطلح الفرنسي يعيد إلى الأذهان، في بعض العصور على الأقل، العسر إن لم يكن العوز اللذين كانا يميّزانه. وبالتالي، فإن الجملة (I went to see him at the hospital) تستحق في بعض الحالات أن تترجم بـ (Je suis allé le voir à sa clinique).

يشدد التحليل اللغوي والحال هذه على أنه لا يوجد توافق آلي بين الكلمتين المتماثلتين (hospital) و(hôpital)، لكن ليس هذا ما يهمنا هنا. المهم هو أن القول الذي نستشهد به كمثال يستحضر أفكاراً تقترن ببعضها فيحقق بالتالي معنى مفترضاً. وعندما قرأت الجملة الإنجليزية، تخيلت نفسي ذاهبةً لزيارة صديق مريض، وعلى العكس عندما قرأت بالفرنسية (Je suis allé le voir à sa clinique)، تعثرت بـ (sa) (الضمير الدال على الملكية)، وغيرت منظوري: المقصود هنا أننا سنذهب لمقابلة طبيب في مشفاه، لا لمقابلة مريض بالتأكيد، كان الأمر يتعلق بطبيب إذ لا نذهب لزيارة مريض في مشفاه، بل طبيب، أو ربما الممرض الذي يحمل الجرحى؟ أو المدير، أو البواب، ومن أيضاً؟ لو كنا نعرف القصة التي اقتطعت

منها هذه الجملة لفوجئنا بالتأكيد بمدى بعد معناها الحقيقي عن كل هذه الافتراضات. هذا يعني أن سلسلة التأويلات المحتملة تتقلص حالما يعاد وضع الجملة في سياقها (ويمكن أن يكون هذا السياق كتاباً بأكمله) لأن المقصد بصفة عامة لا لبس فيه، ويرمي إلى التجلي بشكل يجعله مفهوماً.

العقبات التي تواجه الترجمة

إن المعارف التي ندرجها عند القراءة تكون إما واسعة وإما طفيفة وهي تختلف من قارئ إلى آخر، ولذلك فإن عملية التقاء ظاهر القول بالمعرفة لن يفضي إلى نتائج مماثلة دوماً، في حين أنه من المؤكد أننا سواء اكتفينا بحد أدنى من المعرفة نستمدها من مدلولات اللغة أو امتلكنا معرفة موسوعية، فإنه ينبغي علينا، بغية استخلاص المعنى، إضافة معرفة إلى ظاهر الكلام، كما ينبغي، على العكس، أن يفترض المتكلم وجود معرفة مشتركة بينه وبين المتلقي حتى يؤدي قوله المعلومة التي يرغب في إيصالها. ينقل المؤلف مقصده بإدراج قوله في إطار معرفة يشاطره قراؤه إياها، من دون أن يرى في ذلك أبداً تطابقاً كلياً بين مقصده والمعنى الذي استوقف القارئ. كل فهم هو إذاً ذاتي على التحديد، ولا يمكن للمعنى إلا أن يكون تخميناً لمقصد المؤلف. وهذا المعنى الذي ينبغي إدراكه وإعادة التعبير عنه ليس قابلاً للتقعيد، ولا لتحديد كميته: إنه في طور الصيرورة، وليس فعلاً. يمكننا عند اللزوم قياس فعل الفهم وذلك بقياس نشاط الخلايا العصبية للدماغ، إلا أنه لن يكون بإمكاننا قياس ما نفهمه.

ونحن في هذا الصدد لا نحرض الناس على المترجم، ومن حظنا الكبير أن الإنسان ليس آلة، ففكره لا يتمفصل في عناصر يقابل

كلاً منها دليل ألسني، هذا الفكر يمكن تحليله تقريباً بشكل دقيق بحسب حاجات التواصل، ويتجسد في كلمات وفق طرائق أقرب إلى الطرائق التوجيهية (السيبرنطيقا) منها إلى طرائق البيانو الميكانيكي. وبناءً على ذلك، فبدلاً من الاستمرار في طريق مسدود بحثاً عن تقابلات بين اللغات، ينبغي الابتعاد في الترجمة عن التحليل اللغوي، والاجتهاد في إعادة التعبير عن المعنى في اللغة الأخرى. هذا وضمن اللغة الواحدة، يتم التواصل في معظم الأحيان بشكل أكيد لا جدال فيه، والمقصد المعبّر عنه بواسطة قول ما مفهوم بصفة عامة، فلماذا يختلف الأمر مع النص الذي يراد ترجمته؟ لماذا لا يمكنه أن يكون مفهوماً ومعبّراً عنه ثانيةً؟

يعود تفحص حدود المعنى والممكن تبليغه إلى الفلسفة والفن، وعلى الألسنية تحديد الخاصيات الشكلية للقول، أما المترجم الذي يتوجب عليه القيام بعملية التواصل، فينبغي أن يحدّد موضوعه على أنه المعنى، والمعنى على أنه مقصد المؤلف.

والمعنى الذي يهم الترجمة ليس نفسه الذي يشغل بال الفيلسوف، ونادراً ما يستحوذ عليه الفنان. ولا هو نفسه الذي يدرسه علم الدلالة، فهذا العلم لا يهتم إلا بدلالات اللغة، وهذا مسعى جد شرعي للساني، ولكنه مسعى مخالف لما هو معهود بالنسبة إلى المترجم الذي لا ترتكز مهمته على نقل الوقائع اللغوية التي يمكن رصدها، ولا ضبط مفاتيح التحويل بين اللغات، وإنما نقل مضمون المرسلة. إذا استبعدنا المعنى في الترجمة، كما فعل بلومفيلد أو هاريس في الألسنية، فإننا نستبعد الكلام، بمعنى الخطاب وغائيته. وإذا اكتفينا بنظام الرموز فإننا نتخلى عن النَّفَس الذي يبثه الإنسان في اللغة عندما يستخدمها للتواصل مع أشباهه.

لقد رأينا أن كل إدراك لغوياً كان أم لا، يمر عبر مخطط تأويلي، لأنه تمثيل لحقيقة المدرك وفهمه، وقد ماثلنا فهم الفعل اللغوي من طرف المترجم بفهم القارئ أياً كان. ومع ذلك، فالترجمة تختلف بهذا عن التواصل بشكل عام، إذ لا يختار المترجم المحترف أو نادراً ما يختار النصوص التي يترجمها (بينما يختار القارئ العادي قراءاته)، وفضلاً عن ذلك، يتعامل المترجم مع لغتين، مما يتطلب منه معرفة إضافية. نتيجة لهذه الاختلافات، فإن المترجمين، عدا مزدوجي اللغة بكل معنى الكلمة وهم نادرون، والمترجمين الفوريين، يلتقطون المعنى في لغة ليست لغتهم كلياً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن غياب الدافع الطبيعي القائم على الاهتمام والمنفعة الذي يحدو بنا إلى قراءة هذا من غير ذاك، اهتمام حافزه اللاواعي هو التزود بالمعرفة ليس إلا.

وهكذا غالباً ما نتعامل في الميدان العملي للترجمة مع نصوص لا يمكن إحاطتها بأكملها بشكل طبيعي على غرار الكتاب المقروء للمتعة أو لاهتمام معين، كما نواجه لغة ليست لغتنا بما أن اللغة الأم قد استبقيت للتعبير، وفي ما عدا بعض الحالات الاستثنائية النادرة، فإننا نترجم وفقاً لشروط فهم أقل عفوية من تلك المألوفة في الحياة اليومية، وتزداد هذه الظاهرة تعقيداً عندما نفكر أن الترجمة (على عكس الترجمة الفورية) لا تنقل فقط نصوصاً معاصرة، وعليها بالتالي أن تدرك «المعنى» عبر العصور، عبر تحولات الثقافة وتعاقب الحضارات. وما يمكن أن يمثل عقبة في وجه المترجم هو أن يملك معرفة قد تكون أقل من تلك التي يتمتع بها المتلقون الذين تتوجه إليهم في الأصل المرسلة، فلا يعود من الممكن فهم المعنى، ولا تعود إعادة التعبير ممكنة هي الأخرى، وهكذا فلا يسع المترجم إلا أن يستخدم ما في مخزونه لإنجاز عمله فيكتفي بمقارنة اللغتين،

ويجهد في تحويل بنى الواحدة إلى الأخرى. ومع ذلك، فإن عملية الترجمة هي في مبدئها، سهلة وطبيعية كالكلام والفهم، يقوم بها أي طفل مزدوج اللغة من دون صعوبة.

إن الذين عرفوا أولاد المغتربين، ورأوهم «يترجمون» لآبائهم بشكل طبيعي، من دون أدنى ارتباك أو تردد، ما كان يدور من تبادل لفظي سهل البلوغ لعالمهم المعرفي، سيعتقدون مثلي أن العوامل الخارجية هي التي تحول دون ربط الترجمة بالتقابل الطبيعي القائم بين الكلام والفكر. هذه العوامل ذات طابع متعدد، وغالباً ما تشوه تصور الترجمة ذاته، ولكن في الواقع فإن عدم كفاية المعارف - على الصعيد اللغوي أو على صعيد الموضوع المعالج - هو المسؤول الكبير عن المفهوم المنهجي الخاطئ الذي يجعل من المقارنة بين اللغات منطلقاً إلى الترجمة. والدليل على ذلك هو أننا نرى اليوم أن الذين «يعرفون»، أي اختصاصيو الاقتصاد أو الطب، أو الألسنية أو الإلكترونيات، هؤلاء الذين أعياهم قصور الترجمات بأقلام غير المختصين، فحملوا أقلامهم ليترجموا، حتى هؤلاء إذاً قد تأثروا بفكرة المقارنة اللغوية هذه لدرجة أنهم نسوا دراياتهم، وتعلقوا بإحلال كلمات محل أخرى على حساب المعنى الذي يفهمونه، ومع ذلك لا ينقلونه. حكى لي البعض حكاية لم أتأكد من صحتها، ولكنها نموذج للترجمات التي قام بها أناس يعتبرون الترجمة مرامزة : يقال إن جراحاً فرنسياً معروفاً قد ترجم بروتوكول عملية جراحية أجريت في الولايات المتحدة الأميركية بطريقة قد تؤدي ـ على حد قول زملائه ـ بسبب تقيد ترجمته بالنص الأصلي إلى تشويه مرضاه.

ليست الترجمة، بالمعنى الصحيح للكلمة، ممكنة إلا إذا كانت معارف المترجم تسمح للكلام أن يغدو فكراً، وللفكر أن يغدو كلاماً

من جديد، يتطلب ذلك من المترجم ألا يشوه عملية الترجمة باللجوء إلى مقارنات لغوية لا مكان لها على صعيد الكلام.

ترجمة اللغة، نقل المعنى

ترجمة اللغة أم نقل المعنى؟ يصبح هدف الترجمة نفسه موضوع جدال من خلال هذا الخيار. والادعاء أن اللغة تحتوي على المعنى يؤدي إلى تركيز كل الجهود النظرية على المرامزة، أما اعتماد الوجه الثاني للخيار بالتحالف مع كل من يرى، من بين المترجمين والمنظرين، أنه لا ترجمة من دون نقل للمعنى، فهو تبنّ للمنهجية القائمة على الفهم. وإن كان علينا الانتباه إلى ألا تفرغ هذه الطريقة من فحواها، لأن الطريقة المقارنة راسخة في الصدور منذ مدة وبقوة لدرجة أنها تجر في ركابها حتى أولئك الذين يعتقدون أنهم قد تخلصوا منها.

منذ وقت بعيد، لم يعد أحد من المنظّرين يؤكد أن الترجمة مرامزة، إذ تم رفض المبدأ، ولم يعد هناك أحد يدافع عن الطريقة. هل تتم الترجمة كلمة بكلمة؟ العبارة نفسها تحقيرية! ومع ذلك، ففي كل مرة تثار أسئلة نظرية حول الترجمة، يستحوذ التقابل بين الكلمات على النقاش.

نود مثلاً، من دون أن نعبر بذلك صراحةً، أن تحافظ الترجمة على بعض التعادل الكمي بين الأصل والنص المترجم، لدرجة أنه عندما يعبّر النص الوارد بلغة «س» عن شيء أو مفهوم بكلمة واحدة، نريد أن يكون التعبير بلغة «ص» هو نفسه، وإن كان معبّراً عنه في هذه اللغة أصلاً بعدة كلمات، فعلى الترجمة أن تتقيد بإحصاء دقيق للكلمات. إنه التفسير الوحيد الممكن للفكرة الراسخة بأن هذه الكلمة «تتمنع عن الترجمة» في هذه اللغة لأنه ليس لها ما يقابلها. وهكذا، فملاحظة أن الفرنسية لا تملك مصطلحاً محدداً مقابلاً لـ (avunculus)

و(patruus) باللاتينية (أخو الأم وأخو الأب)، تسوّل لنا أن نستخلص أن الفرنسية لا تقيم تمييزاً بين الخال والعم. إذاً فما هي الفرنسية؟ أهي قائمة تملك كلمة للتعبير عن كل شيء وعن كل مفهوم؟ هل هي «حقيبة كلمات» نسحب منها، وفقاً لاحتياجاتنا، الكلمة التي تشير إلى الشيء الذي نود الدلالة عليه؟ لقد تراجعت هذه الفكرة منذ زمن بعيد! هل الفرنسية إذاً نظام، مثلها مثل كل اللغات، يسمح بالتعبير عما نحن قادرون على إدراكه أياً كان عدد الكلمات أو الشروط النحوية التي يجب استخدامها؟ لا يمكن للمترجم الذي لا يتبع طريقة الترجمة كلمة كلمة إلا أن يجيب بالإيجاب. وفي الحالة هذه، يستنتج أن اللغة الفرنسية مثلاً لا تميز بين أخي الأم وأخي الأب مستعملة عدد الكلمات نفسه كاللاتينية، إنه الاستخلاص الوحيد الممكن القيام به على الصعيد اللغوي! أما على الصعيد الاجتماعي فيمكننا بالطبع إضافة أن عدد الكلمات الأكبر بالفرنسية يعني أن المجتمع الفرنسي المعاصر لا حاجة به إلى التمييز مراراً بين الكلمتين، كما كان الوضع سائداً في روما القديمة!

بطرح مثل هذا النوع من الأسئلة الزائفة، سينتهي بنا الأمر إلى طرح أسئلة أخرى حقيقية على أولئك الذين ينساقون وراء اعتبارات تجعلهم يلجأون إلى المرامزة. إنهم يخاطرون في سعيهم لأن يجدوا كلمة وكلمة واحدة بالفرنسية أياً كان الثمن للتعبير عن الرابطة الأبوية التي تشير إليها الكلمة اللاتينية، وسيضطرهم الأمر إلى الاعتراف باستحالة تدعو إلى الشفقة، بينما يمكن ببساطة شديدة أن يعبّر عن المفهوم بالوسائل التي توفرها الفرنسية. وبما أننا قادرون على إدراك المفهومين المتمايزين (أخو الأب وأخو الأم) فيمكننا التعبير عنهما. ولترجمتهما، علينا أن نختار الوسائل اللغوية تبعاً للكلام الذي يظهران فيه: وإذا كان التدقيق لازماً، فنوضح الأمر ونتحدث عن

العم أي أخي الأب أو الخال أي أخي الأم، وإذا كان التدقيق لا يمثل نفعاً في السياق فسنلجأ إلى المصطلح الفرنسي الوحيد للتعبير عن هذه القرابة وهو العم. لا يعني غياب مصطلح للتعبير عن آخر في لغة أخرى استحالة الترجمة إنما استحالة المرامزة. ويكشف البحث بالتالي عن معادلة كمية، إن شئنا أم أبينا، عن محاولة لتحويل الكلمات.

لنأخذ مثالاً آخر: الكلمتان (langue) لغة و(langage) كلام، الواردتان بالفرنسية. لا تملك الإنجليزية إلا مصطلحاً واحداً لهذين المفهومين، وقد اضطر علم اللسانيات الأنجلوساكسوني إلى استعمال التعبير (natural language) لغة طبيعية عند الحديث عن كلام الناس، أي ما نسميه لغة. وعلى سبيل المثال: «No *natural language* is inherently more complicated or simpler to learn by a growing child than any other» Lenneberg).

وقد نقل الألسنيون الفرانكفونيون الذين اعتادوا قراءة أعمال المدارس اللغوية الأميركية كلمة لغة طبيعية (langue naturelle) بالفرنسية عن هذه المدارس، بينما كانت كلمة لغة بالفرنسية (langue) تؤدي المعنى. إن هذا الإطناب لمضحك إذا فكرنا أن استعمال الحاسوب قد خلق، إضافة إلى ذلك، حاجة عند الذين لا يتكلمون إلا الفرنسية إلى تحديد كلمة «لغة» من أجل التمييز بين اللغة التي يتكلمونها، وتلك التي يصنعونها لإدراجها في الحاسوب، وهي لغة الآلة (langue-machine). إذا أردنا أن يدل التعبير على اللغة (langue)، فيصبح عندئذٍ التعبير لغة طبيعية حشواً. ليس الأمر ذا بال إذا كان هذا الإطناب يساعد على توضيح المفهوم، لكنه والحالة هذه يحرفه، ومن يجهل الإنجليزية أو من يجهل أن الأمر يتعلق باصطلاح إنجليزي يمكنه أن يعتقد للوهلة الأولى أن كلمة «لغة طبيعية» قد استعملت بكل بساطة في مقابل كلمة «لغة» التي نعرف أنها ذات طابع اجتماعي، .لندل

على المناغاة عند الصغار من الأطفال، وعلى التنغيم، وتغيّر نبرة الصوت، وباختصار على السمات النطقية عند البالغين.

ولكن الترجمة كلمة بكلمة (المعروفة اصطلاحاً بالترجمة بالرصف) ليست فقط معادلة حسابية. أليس الاهتمام بالألفاظ على صعيد اللغة فحسب وبغض النظر عن السياق الذي تندرج فيه وترجمة معناها المباشر بدلاً من دلالتها السديدة، ضرباً من رصف الكلمات؟

نشرت جريدة **لوموند** بتاريخ 24 تموز/يوليو 1973 مقالة صغيرة جاء فيها: «السيد والتر أولبرخت، رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية، في حالة حرجة». وفي بلاغ عن وكالة الأنباء الرسمية، يشير الأطباء المشرفون على العلاج إلى أن السيد أولبرخت، وهو في سن الثمانين، ويعاني من مرض في القلب وارتفاع ضغط الدم، «قد أصيب في 19 تموز/يوليو **بالنقطة**». ويضيف الأطباء أن «حالته خطيرة». بداية، الصحافي الذي ينقل النبأ يكتب بشكل تلقائي، ينطلق للتعبير عن نفسه، من معنى النبأ ويفهم أن حالة السيد أولبرخت خطرة (وهو غير مخطئ في ذلك لأن السيد أولبرخت مات بعد ذلك ببضعة أيام)، يستشهد بعمره ووضعه الصحي لدعم قوله. وبعد أن فهم ما يدور، وعبّر عنه بالمصطلح **خطيرة**، يأخذ الصحافي بلاغ الأطباء الألمان من جديد، وهذه المرة «يترجم». لم تعد حالة السيد أولبرخت «خطيرة»، بل صارت «حرجة». هذا لأن الألمانية تقول (ernst). والكل يعلم أن (ernst) تترجم بـ «حرجة». إذاً نُسي المعنى الذي كان قد فهم، ونسي المصطلح الذي كان قد استعمل تلقائياً، لتتم الترجمة بـ «حالته حرجة»، وهمنا التقيد بالكلمة، وفاءً منا للحرف. إن ترجمة (ernst) بـ «حرجة» سيكون رد الفعل الأول لأولئك الذين نطلب منهم ترجمة المصطلح خارج السياق، وهي أيضاً الدلالة الأولى التي يعطيها لنا القاموس، ولكن لا شيء يدل على أن المعنى المباشر هذا في اللغة يقابل معنى الكلام.

نحن لا نرمي هنا إلى تحديد مدلول الكلمة (ernst) بالألمانية، ولا لأن نوصي بترجمة بدلاً من أخرى، وسيفهم القارئ أننا لا نؤمن بالتقابلَ المعطى سلفاً بين مفردات لغتين مختلفتين، وما نسعى إلى برهنته هو أننا نعثر على الكلمات الصائبة بشكل تلقائي عندما نقيم العلاقة بين المعنى والكلام، بينما نحيد عن النهج الصحيح في الترجمة عندما ننتقل من كلمة إلى أخرى، فلم تعد ثمة حاجة إلى إثبات عدم مطابقة اللغات، بل بات من الضروري أن نستنتج أننا لنترجم ينبغي ألا نقيم أي علاقة مباشرة بين الكلمات، إذ هي تستخدم لتحليل معنى المرسلة والتعبير عنه، ولكنها غير قابلة للتحويل.

ليس للكلمات معنى مباشر فقط، بل لها مدلول أيضاً. والسعي إلى التعبير عن مدلول المصطلح بأكمله في اللغة الأخرى هو القيام بترجمة بالرصف أسوأ بكثير من التقيد بالتعادل الحسابي أو نقل المعنى المباشر. لقد وجدت في الترجمة الفرنسية **دراسات في اللسانيات العامة** (1963) لرومان جاكوبسون (Roman Jakobson) عرضاً ذا دقة عالية لمحاولة من هذا النوع، فالمترجم ينقل:

(This is the *code-switching* of the communication engineers)

(C'est ce que les ingénieurs des communications appellent le «code - switching»).

إلى: «هذا ما يسميه مهندسو الاتصالات بـ «محول النظام الشفري» (الكود ـ سويتشنج)، ويعلّق على ترجمته بالشكل الآتي:

«Nous avions d'abord pensé traduire ce terme par «commutation du code», «commutation» étant l'équivalent de «switching» dans ses usages techniques. Malheureusement, en linguistique, le terme «commutation» a pris un sens technique tout à fait différent. On pourrait parler simplement de «changement de code», mais l'idée d'«aiguillage» ou plutôt de «changement d'aiguillage», qui est contenue dans *switching* serait perdue. En définitive, il vaut sans

doute mieux conserver le terme anglais, comme on a conservé par exemple feed back, etc...»

«في البداية، كنا قد فكرنا بترجمة هذا المصطلح بـ «تحويل النظام الشفري»، بما أن مصطلح «تحويل» هو المعادل لمصطلح «سويتشنج» في استعمالاته التقنية. ولكن مع الأسف أخذ مصطلح «تحويل»، في اللسانيات، معنى تقنياً مختلفاً تمام الاختلاف. كان يمكننا الحديث ببساطة عن «تبديل النظام الشفري»، ولكن كانت ستضيع فكرة «التوجيه» أو بالأحرى «تبديل التوجيه»، التي يحتوي عليها «سويتشنج». وأخيراً، فمن المؤكد أنه يفضل الاحتفاظ بالمصطلح الإنجليزي مثلما احتفظنا على سبيل المثال بمصطلح (Feed-Back)، . . . إلخ».

ماذا سيفهم قرّاء اللغة الفرنسية الذين لا يعرفون الإنجليزية عندما يقرأون «كود ـ سويتشنج» في النص الفرنسي؟ ستعطيهم ملاحظة المترجم فكرة عن الدلالات التي تزخر بها الكلمة الإنجليزية «سويتشنج»، ولكن الاحتفاظ في الفرنسية بالتعبير الإنجليزي «كود ـ سويتشنج» لن ينقل لهم معنى الجملة، وبالتالي فجهود المترجم المقدامة التي بذلها من أجل نقل مفهوم التوجيه هي حقيقةً سطحية. كان اقتراح «استبدال النظام الشفري» الذي خطر على باله سيفي بالمهمة، فبمجرد وجود كلمة نظام شفري إلى جانب «استبدال» من شأنه أن يحصر فوراً حقل الدلالات المحتمل لكلمة «سويتشنج»، والرغبة في نقل الدلالات التي يمكن لمصطلح «سويتشنج» أن يتزود بها في سياقات أخرى، إنما هي رغبة في ترجمة اللغة. وما يؤدي إلى الطريق المسدود هذه المرة هو الرغبة في الإحاطة بالأمور لغوياً إحاطة كاملة. أما كان بالإمكان أن نجد مخرجاً بتركنا جانباً كل بحث في التقابل لنرى كيف تتم تسمية الشيء بالفرنسية؟ يتكلم المعلوماتيون الفرنسيون («مهندسو الاتصالات» كما ورد في الترجمة)

عن (changer de code) «تبديل النظام الشفري»، هذا ما يهم، أياً كان التعبير الإنجليزي.

أن أجعل ترجمتي مفهومة

لا يكفي للترجمة أن أفهَم، بل ينبغي كذلك أن أُفهِم. تنقسم عملية الترجمة على التحديد إلى قسمين، فهم المعنى والتعبير عنه. يعبّر المترجم في هذه المرحلة الثانية، ويتكلم كما فعل المؤلف من قبله وككل الذين يعبرون بلغتهم، لكن لا يعني التعبير دوماً الإفهام. وعلى العكس، فإن الترجمة بنزاهة، الترجمة بأمانة هي محاولة للإفهام، والإفهام يفترض أننا ينبغي أن نجد التعبير الملائم. كيف نقول بوضوح ما فهمناه عند القراءة؟ أيكون ذلك باحترامنا الشكل اللغوي والبنية النحوية للغة الأصلية قدر المستطاع؟ أم يكون ذلك في الأحرى بالانفصال عنها وبالجهد الذي نبذله لنقل المُرسلة للقارئ في شكل يفهمه، ويكون ذلك باستعمال طريقة التعبير التي تتضمنها لغته هو؟ بالطبع وإلا أتينا بشيء لا شكل له، نُبذ متلاصقة ببعضها البعض، لم تعد تمثل شيئاً، لا لغة الانطلاق والمرسلة التي كانت تعبّر عنها ولا لغة الوصول، حتى ولا أي رسالة أياً كانت...

حتى يطالع القارئ نصاً من دون أن يجد صعوبة في فهمه، ينبغي أن يكون هذا النص مطابقاً لعادات اللغة التي كتب فيها وأصولها. وهكذا يمكننا أن نقلب بيت بوالو (Boileau) الشهير وأن نقول إن النص من أجل أن يكون مفهوماً، ينبغي أن يكتب بوضوح. وربما سيتوصل المترجم الذي يترجم من دون أن يهتم بمعرفة ما سيفهمه القارئ غير الملم بالنص الأصلي، إلى نص صحيح نحوياً، ولكنه قد يعرّض نفسه للغموض والإبهام. لنعط مثالاً على ذلك مقطعاً من المسلسل المترجم عن الإنجليزية والمنشور في **لوموند** صيف 1973:

«Elle (Virginia Woolf) les (ses élèves) amena à écrire des

essais sur eux-mêmes, et il y en eut une, une Miss Williams, qui se confia à elle. Ces confidences lui donnèrent un premier aperçu de Grub Street (N.d.T: rue de Londres où demeuraient les écrivains à gage du XVIIIe siècle); elle trouva - et la découverte, si elle ne pouvait être surprenante, dut être émouvante- un endroit presque dépourvu de normes et entièrement de probité. Les folliculaires y peinaient pour fabriquer de la camelote littéraire au mètre; Virginia ne put qu'admirer l'intelligente industrie du nègre particulier qui lui dévoilait ces choses ».

«جعلتهم (أي جعلت فيرجينيا وولف تلاميذها) يكتبون دراسات عن أنفسهم، وكانت هناك فتاة، فتاة اسمها الآنسة وليامز، قد أفشت لها أسرارها. لقد أعطتها هذه الأسرار فكرة عن شارع جروب ستريت(*) لقد وجدت ـ والاكتشاف إن لم يكن مفاجئاً فلا بد من أنه كان مثيراً ـ مكاناً خالياً تقريباً من كل المعايير ومن كل استقامة. كان الصحافيون الفاشلون يجهدون فيه من أجل فبركة بضاعة أدبية رخيصة بالمتر، ولم يسع فيرجينيا إلا أن تعجب بمثابرة هذا الكاتب المستأجر الخاص الذي كان يكشف لها هذه الأشياء...».

يجدر بنا التفكير ملياً، حتى وإن كانت أهمية المقطع لا تبرر هذا التفكير، للوقوف على ما يراد قوله بالفرنسية على التقريب، بينما يفهم القارئ المتمكن من اللغة الإنجليزية بسهولة فحوى النص الأصلي[2]. يحرم هذا النوع من الترجمة النشاط الترجمي من كل

(*) شارع في لندن كان يقيم فيه الكتّاب بالأجرة في القرن الثامن عشر (المترجم).

(2) «...She Got them to Write Essays about themselves, and there was one, a Miss Williams, Who Confided in her. These Confidences Gave her a First View of Grub Street; She found - and the Discovery, Though it Cannot have been Surprising, Must have been Impressive - a Place almost without Standards and Entirely Withoutintegrity. Hacks Laboured here to Manufacture Literary Shoddy by the Yard; Virginia could not by Admire the Intelligent Industry of the Particular Hack who Described these Things to her... » (Quentin Bell and Virginia Woolf, *A Biography* (London: The Hogarth Press, 1973), p.106).

صفة مساعدة على الكشف، إذ إنه عندما لا تنتج الكتابة تلقائياً من الفكرة التي يراد التعبير عنها، لا نعيد ابتكار الفكرة بعمق، ونجد أنفسنا مدفوعين إلى قول «أي شيء»، خائنين، في أمانتنا للكلمة، المؤلف والقارئ معاً.

الأمانة للكلمة، هذه هي العقبة الكبيرة التي تواجه الترجمة. لقد اشتقت الحكمة الشعبية مصطلح «أصدقاء زائفين» للإشارة إلى الحالات الأكثر فظاظة، التي تبلغ فيها الأمانة للكلمة أقصى حدودها، عن وعي أو غير وعي، لدرجة أن نستعمل في اللغة الأخرى الشكل الأكثر شبهاً، أو إذا ما كان النسخ الشكلي مستحيلاً، فنلجأ إلى المعنى المباشر للمصطلح الأصلي. هذه التداخلات تتم في معظم الوقت بسبب جهل اللغة الأجنبية، ولكنها تعود أحياناً إلى الخلط المؤقت بين اللغة الأجنبية وقواعد اللغة الأم إذ نفهم معنى الكلمات الإنجليزية، ولكننا لم نعد ننتبه إلى أن ذلك بالفرنسية «لا يقال هكذا». وتأتي الكتابات الحالية بالعديد من الأمثلة، منها (l'occurrence) وهي بالإنجليزية (occurrence) أي ظهور بالعربية ويمكن ترجمتها بالفرنسية بـ (apparition)، ومنها كذلك (la réponse comportementale) وهي بالإنجليزية (behavioral response) أي الجواب السلوكي بالعربية، ويمكن ترجمتها بالفرنسية بـ (réaction) أي الاستجابة، ولفهم هذه المفاهيم ينبغي أن نتذكر أن هذه الكلمات كلمات إنجليزية وليست فرنسية. عندما يكون بين الكلمات تشابه شكلي في اللغتين، ننزع إلى الاحتفاظ بالدال نفسه، وعندما تختلف أشكالها، نترجم المعنى المباشر. يزودنا الجواب السلوكي بمثل رائع لوجهي المشكلة: فمصطلح (response) يعطي (réponse) وهو احتفاظ شكلي بالدال، ومصطلح (behaviorial) يعطي (comportemental) وهي ترجمة المعنى المباشر (behavior = comportement) وفيها احتفاظ بالشكل النحوي (ial = al).

ربما يكون مفيداً أن نذكر هنا تمريناً يعطى لطلبة المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين (ESIT) لشد انتباههم إلى أسباب التداخل بين لغتين، وتعويدهم على تحاشي نقل كلمة من لغة إلى لغة أخرى نقلاً فورياً، وعلى استخلاص علاقة مباشرة بين الفكر والكلام، أو بالأحرى بين الفهم والتعبير. لقد أخذنا في هذا السياق في طبعة الثريا (Pléiade) ترجمة **يوليوس قيصر** لشكسبير (Shakespeare)، وخصوصاً خطبة أنطوان الشهيرة المسهبة (فصل II، مشهد II):

(Friends, Romans, Countrymen, lend me your ears...)

إذ يقول أنطوان في لحظة معينة:

(I speak not to disprove what Brutus spoke)

والذي تترجمه طبعة الثريا: (pour désapprouver)[3] - 1 -

لا يرتكز التمرين على أن نسأل الطلبة معنى «to Disprove» في اللغة، لأن المقصود ليس تعليمهم اللغات. بل هم مطالبون بوضع أنفسهم في سياق المسرحية، إذ قتل بروتوس وأصدقاؤه قيصر منذ قليل، وها هو أنطوان يخاطب الجمهور بعد بروتوس، أمام جسد قيصر الدامي، وسوف يقلب الجمهور ضد القتلة، المشهد معروف جداً... وبعد أن يطلب من الطلبة أن يتذكروا هذه الظروف، تتم قراءة الخطبة، ويسألون بعدها عن كيفية «قول» (to Disprove) بالفرنسية (مع تحاشي استخدام مصطلح «ترجموا!»). هذه بعض الأجوبة التي أعطاها الطلبة في ذلك اليوم: نعته بالكذب، كذّب، برهن أن كلامه

(3) الانزلاق الصوتي لـ «Disprove» نحو Désapprouver أكثر خطورة دلالياً من Ernst التي أعطت «Sérieux» أو حتى «Code-Switching» المحتفظ بها بالإنجليزية. ومع ذلك، فهذان المثالان الأخيران فقط هما اللذان يحسب لهما حساب منهجي، لأنهما يقومان على أخطاء نظرية تثقل كثيراً من الترجمات المعاصرة، بينما ليس التغيير الصوتي في الغالب إلا مجرد عارض.

مضلل إلى آخره. ومن شأن التحليل اللغوي أن يقدم معنى لكل اقتراح: فالقاموس يعطي في مقابل «قدم البرهان المعاكس» دحض، ويمكن أن تكون الترجمة إذاً: مخالفة، النهوض ضد... لا يهمنا هنا اقتراح مصطلح ولكن أن نثبت بالبراهين، أن التعبير الواضح يقتضي أن تتحول اللغة التي نترجمها إلى معنى، والمعنى بدوره ينبغي أن يتم التعبير عنه بمعزل عن أي مرجع شكلي يعود على اللغة الأصلية. إذاً لا يكفي أن نَفهَم من أجل أن نُفهِم، بل ينبغي أن يكون التعبير خالياً من كل تشابه شكلي. إن البحث عن تعبير يجعل الفكرة واضحة كفيل بإظهارها بكل دقتها للذين لا يمكنهم فهمها إلا عبر الترجمة، لأن مشكل الكتابة في الترجمة هو أننا نتوجه إلى قارئ لا يعرف النص الأصلي، وفي غالب الأحيان، لا يعرف لغته بحيث ليس له من ملاذ آخر، للعثور على المعنى، غير النص الذي بين يديه.



وحتى تكون الترجمة مفهومة لمن يتوقف فهمه عليها، ينبغي أن نقنع أنفسنا، عند إنجازها، أنها حالة خاصة من التواصل. ماذا يجري عندما يكون لدينا شيء نود قوله؟ نجعله مفهوماً من خلال التعبير عنه في أشكال مقبولة من الجميع، فالمعنى فردي لكن الأشكال اجتماعية. إذاً يمكننا قول ما نريد لكن القالب الذي سنصب فيه مقصدنا ينبغي أن يطابق العرف اللغوي. ويمكن التعبير عن الأفكار نفسها في كل اللغات، ولكن ينبغي أن يتم ذلك بالتقيد بالاصطلاح في كل لغة. أن نُفهِم معنى قول في لغة أخرى يعني أن نعيد التعبير عنه في أشكال أكثر وضوحاً ولاسيما أنها حصيلة الرفض الواعي للنقل اللفظي غير المفيد.

يسمح التعلق بالمعنى عند فهمه بفصل اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، وعندئذٍ نعيد وضع أنفسنا في الحالة الطبيعية للكلام

أي في حالة التعبير عن مقصد بحيث نجعله مفهوماً. وإذا كان الفن الأساسي في الترجمة يرتكز على فصل اللغات، وذلك باعتبار المعنى موضوعاً للترجمة، والحال يشبه قليلاً درسنا القمح لفصل الحب عن غلافه، أدركنا أن اللجوء إلى المقارنات بين اللغات في الترجمة يعود إلى طرح مسائل زائفة.

إنه لمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل، ألا نجمل عندما نتكلم عن المبادئ، وهذا صحيح أيضاً عندما نناقش التخيير بين أمرين : طريقة في الترجمة من لغة إلى لغة، وطريقة الفهم، التي تذهب من الكلام إلى المعنى ومن جديد من المعنى إلى الكلام. ومن نافلة القول أن أي ترجمة غير الترجمة الآلية ـ وهذه أيضاً يبرمجها الإنسان ـ لا يمكن أن تتم من دون أن يدخل فيها حد أدنى من تحليل المعنى، وعلى العكس، لا يمكن تحقيق الطريقة القائمة على الفهم كلياً في كل الظروف، لأنه ينبغي على من يترجم أن يغني معارفه عن الأشياء واللغة إلى درجة عالية في عدد من الحالات، وهذا ليس ممكناً دوماً. ومع ذلك، تبقى الاختلافات النظرية بين الطريقتين جد عميقة، وتظل لهما آثار هامة عند التطبيق وهي آثار من الضروري اللفتُ إليها. وقد تناولت اللسانيات، بحكم الأمر الواقع، مسألة الترجمة من زاوية اللغات، لكن المسائل التي كشفت عنها ليست مسائل ترجمة، إنما هي مسائل تتعلق بالمرامزة. بيد أنه من المحال من وجهة نظرنا أن نفصل عملية الترجمة عن العمليات الذهنية عامة. على العكس، يبدو لنا أن دراسة آلية العمل الطبيعي للغة هي التي من شأنها أن تفتح آفاقاً مثمرة للبحث حول الترجمة، أكثر إثماراً من تلك التي تقدمها المقارنة بين اللغات. وبالفعل، يقوم التواصل الإنساني على عدد من الآليات (التعبير والإدراك، الفهم والاستيعاب) التي لا نرى سبب استبعادها، لدى تدخل لغة ثانية،

واستبدالها بمجرد فحص مقارن للغتين. ونجد الشيء ذاته عندما ندرس التواصل، فإننا نفترض أن اللغة معروفة عند الأشخاص الذين تتم مراقبتهم، وعلى النحو ذاته، ينبغي الانطلاق في دراسة الترجمة من الحالة المثالية التي يعرف فيها المترجم لغتي عمله على حد سواء، وموضوع الترجمة تمام المعرفة. إنه لفي هذا الوضع تظهر آليات الترجمة في حالتها الخالصة. وإذا ما افترضنا أن المترجم يسيطر على لغة الانطلاق ولغة الوصول، وإذا ما سلمنا بالأمر نفسه بالنسبة إلى موضوع الترجمة، سنرفع عندئذٍ الستار الذي يحجب عامة الآليات الحقيقية لعملية الترجمة.

وفي الممارسة، غالباً ما تعتبر المعرفة غير الكاملة للغة النص الأصلي مصدر الصعوبات التي تم تناولها على أنها مسائل نظرية. بيد أنه لا يمكن للمترجم أن يتحاشى لغات لا يعرفها تمام المعرفة، وإلا كيف يمكن اكتشاف الحضارات البائدة أو الثقافات البعيدة. لألف سبب وسبب، تستأهل الترجمة أن يشرع بها حتى عند انعدام المعلومات عندئذٍ ينبغي أن لا تعتم المشاكل العديدة التي تعترض إنجازها، الرؤية الخاصة بالآليات الأساسية للعملية ذاتها.

لفرط ما سمعنا من يردد أنه من المتعذر الوقوف على المعنى، وجد الذين ينشغلون بنظرية للترجمة أنفسهم مدفوعين إلى ترك هذا المعنى جانباً، وصاروا يتصرفون كما لو لم يكن موجوداً. لقد حاولنا إثبات أن التحليل اللغوي لا يكفي للترجمة، بل وقد يشكل كذلك عائقاً في وجهها. هذا وتقود المصطلحات المستعملة عادة في البحث الترجمي إلى طريق مسدود: «لغة انطلاق» و«وصول»، «لغة - مصدر» و«لغة - هدف» كلها اصطلاحات تعطي انطباعاً بأن الترجمة تتخذ لغة كمنطلق لتصل إلى الأخرى، وبأن قوامها بالتالي النقل أو المرامزة. ومع ذلك، فنحن حين نترجم **يوليوس قيصر** لشكسبير أو

منطق الحي لفرانسوا جاكوب (François Jacob) لا نحول الإنجليزية إلى فرنسية ولا الفرنسية إلى إنجليزية، إذ ليس في تحليل اللغة ما يضمن استكشاف معنى المرسلة، فإذا ما عدنا إلى التواصل ـ لازمتنا ـ نتبيّن أن ما يهم في كل تبادل هو أن يصل المعنى، فمعرفة اللغة الأصل ومعرفة الموضوع المعالج هما الدعامتان اللتان يؤسس عليهما فهم النص. ولبناء ترجمة، يلزمنا دعامة ثالثة، ألا وهي القدرة على نبذ التقابلات اللفظية من أجل إقامة التوافق بين المعنى واللغة، الفكر والكلام. الظاهر وحده يتغيّر بينما يبقى المضمون نفسه، يحول من لغة إلى أخرى مثل سائل من إناء إلى آخر، فنحن لا ننسخ لغة على أخرى. وأخيراً، ومن دون أن نخالف المعهود، سنقول إن اللغات خارجة عن عملية الترجمة، إنها وعاء المعنى الذي يمكن التعبير عنه في أي منها، وهي لا تختلط معه.

م. لودورير(*)

(*) نشر هذا النص لأول مرة في: *Etudes de linguistique appliquée (ELA)*, no. 12 (1973).

الظاهر والمضمر

إن ممارسة الترجمة الشفهية، ولاسيما تلك التي نطلق عليها عادةً الترجمة الفورية دفعتني إلى إثارة الأسئلة عن عمليتي الفهم ونقل المعلومات. تتم الترجمة الفورية بمعدل سرعة الكلام الطبيعي فهي تطرح بالتالي مشكلتين أساسيتين: لابدَّ للترجمان من أن يفهم المعلومة فور سماعه لها وأن يعيد التعبير عنها في اللغة الأخرى، بشكل يكون مفهوماً فوراً من قبل المستمع في هذه اللغة. ومن المهم للغاية أن يتم التعبير عن المعلومات ليس بشكل دقيق فحسب بل بشكل يستطيع فيه المتلقي أن يلتمسها فوراً. والمستمع لا يتحكم بالسرعة التي تصل بها المعلومات إليه، ولا هو قادر على الرجوع إلى الوراء، كما هو الحال في قراءة النص. وإذا تعسر على المستمع تلمس المعنى بسبب وجود صياغات لا تستجيب لاستعمالات اللغة الاصطلاحية، وإذا اضطره غياب التناسق في تقديم المعلومات وغياب الروابط المنطقية إلى القيام بتصويبات، تشوش ذهنه شيئاً فشيئاً وأصبحت الترجمة غير مجدية، فالسرعة التي تتم فيها الترجمة الفورية هي التي تسوّغ ضرورة اتسامها بالوضوح الشديد.

إن الترجمة الفورية هي نمط خاص من التواصل وهي ذات أهمية شاملة، فبواسطتها يمكننا أن ندرس عملية الترجمة بل عملية

التواصل أيضاً، وفي هذا الصدد أريد أن أعرض الاستنتاجات التي توصلت إليها والملاحظات التي أوحتها إلي ممارستي للترجمة الفورية، فأجري تطبيقها في مرحلة أولى على الخطاب وفي مرحلة ثانية على الترجمة بخاصة.

* * *

تناولت البلاغة في دراسة الخطاب الشعري والأدبي أساليب بيانية في التعبير سمتها الاستعارة والكناية والمجاز المرسل[1].

أريد أن أبين هنا أن هذه المفاهيم ليست مخصصة لتجسيد «أثر أسلوبي» ما، إنما تصلح أيضاً للخطاب بشكل عام، ففي شتى الأحوال ومقارنةً بالأفكار التي يعبّر عنها الخطاب، يظل شكله المادي قالباً للمعنى وشاهداً عليه ولا يقتصر على الوصف، وبالفعل يستند الكلام دوماً إلى الزاد المعرفي الذي يتمتع به المتكلم، فإذا توجه الخطاب إلى متكلم لا يتمتع بأي معرفة فإن من شأنه أن يمتد إلى ما لا نهاية ويظل عقيماً، على الرغم من سعيه لتوضيح الفكرة بشكل مستفيض. بالمقابل وفي حال ما يتمتع المتكلمون بقدر معرفي مماثل بحصر المعنى فإنه يمكننا القول عندئذٍ إن الحاجة إلى القول قد تنعدم. أما في حالة التواصل الطبيعية، فسنجد أنفسنا في ظروف تجعل المتكلمين يتبادلون نوعاً ما المعرفة نفسها تقريباً، فالمتكلم لا يتفوه أبداً بجل ما يريد إفهامه، فهو لا يبوح إلا بما هو مجهول عند محاوره بحيث يقوم المتلقي شخصياً بملء الفراغ بواسطة ما يلم به

---

(1) ورد في قاموس *Robert* .Sunekdokhè من اليونانية «فهم فوري». صورة بلاغية تقضي بأن يستعمل الجزء في الكل والخاص في العام والمفرد في الجمع أو العكس والكثير في القليل والمادة في الشيء كقول الفرنسي: (Les Mortels) أي الفانون وتقصد بها البشر و(Un Fer) أي النصل ونعني بها الحسام و(Une Voile) أي الشراع وتعني به السفينة الشراعية.

من معلومات. وعليه فالخطاب الذي يحتوي بطبيعته على شكل من الحشو المطمئن ينطوي على حركة انقباض وانبساط تتماشى مع التباين القائم بين المعارف المتوفرة لدى كل من المتلقي والمتكلم في سياق خاص. وكما أن كلمة (verre) بالفرنسية أي زجاج تشير، على مستوى اللغة، إلى المادة وتطلق على الكأس الذي يُشرَب منه، كذلك في الخطاب تكتفي سائر الأقوال بالإشارة إلى سمة خاصة بالفكرة للتعبير عن الفكرة بأكملها. وسنرى لاحقاً أن هذه العملية يجري تطبيقها باستمرار وبطريقة طبيعية وتلقائية تماماً من قبل جل المتكلمين أياً كان نوع الخطاب.

لم يجرِ برأيي ملاحظة أثر هذه الظاهرة العامة في الترجمة بما فيه الكفاية وآثرت أن أسميها المجاز المرسل، ولأن كل لغة تتفرد باختيار السمات البارزة لتسمية الأشياء والمفاهيم بالإضافة إلى المميزات التي تميز بواسطتها الأفكار، أرى أن مترتبات هذه الظاهرة على الترجمة ذات أهمية جوهرية لأنها تشرح أفضل من أي عامل آخر لماذا لا يمكن للترجمة أن تكون عملية محصورة في اللغات، بل عملية تتناول المعنى.

وحدات المعنى

كثيراً ما نجد أنفسنا نكمل جملةً بدأها شخص آخر، فالكلمات الأولى في الجملة كانت كافية لإفهامنا الفكرة بحيث بدا بقية القول حشواً (يحتمل جانباً من الإطناب) إذ تحققت هنا نقطة التقابل بين معرفة سابقة الوجود ودلالة الجملة قبل أن تنتهي نحوياً. سمحت لي دراسة الترجمة الفورية بملاحظة هذه الظاهرة بشكل منتظم، وباكتشاف وحدات معنى في الخطاب تعيّن حدودها اللحظة التي يتم فيها الفهم. وبفضل الفروقات التركيبية القائمة بين اللغتين الألمانية والفرنسية، استطعت ملاحظة الظاهرة بصفة منهجية. وبالفعل، فإن

المترجم الفوري الفرنسي يتحتم عليه إعادة تركيب جملته بطريقة مغايرة لتركيب الجملة الألمانية لكي يستطيع أن يُفْهِمَ متلقيه الفرنسي، فإذا تتبعنا القولين (الأصل الألماني والترجمة الفورية الفرنسية) اللذين تم تسجيلهما في شريط ثانية بثانية، تحققنا من خلال انعتاق الصيغ الفرنسية من تراصف البنى التركيبية في لغة المصدر كيف تتشكل وحدات المعنى. لنأخذ مثالاً بسيطاً للغاية[2].

وفي الجملة القائلة (Une partie de vos discussions consistera certainement à faire l'historique) «لاشك أن جزءاً من محادثاتكم سيكرس لتأريخ . . .»، وهي ترجمة فورية لـ (Ein Teil Ihrer Gespräche

(2) في تشرين الأول/ أكتوبر من عام 1975 نظمت مؤسسة (Friedrich-Ebert) في مدينة بون ندوة تتناول موضوع «آفاق العلاقات الألمانية الأفريقية» حضرها ممثلو دول أفريقية عديدة. وجه لهم المستشار شميدت رسالةً أشير إلى بدايتها في الترجمة الفرنسية متبوعة بالفقرة بالألمانية التي استقيت منها مثالي: «Au Nom du gouvernement, je voudrais vous souhaiter chaleureusement la bienvenue en république fédérale d'Allemagne. Je suis très heureux que vous ayez accepté l'invitation de la Fondation à participer à une conférence sur le thème des relations germano-africaines.

Une Partie de vos discussions consistera certainement à faire l'historique et à brosser le tableau du présent de ces relations. Avant l'indépendance de vos états les européens avaient souvent une image très partielle de l'Afrique et des populations qui y vivent».

«باسم الحكومة أريد أن أرحب بكم في جمهورية ألمانيا الفدرالية. إنني سعيد جداً لتلبيتكم دعوة المؤسسة بغية المشاركة في مؤتمر عنوانه العلاقات الألمانية الأفريقية. لا شك في أن جزءاً من نقاشاتكم سيكرس لوصف تاريخ هذه العلاقات ورسم الخطوط العريضة لحاضرها. وقبل أن تنال دولكم الاستقلال كان لدى الأوروبيين صورة مجتزئة عن أفريقيا وسكانها».

وفي ما يلي الفقرة الأخيرة بلغة المصدر: «Ein Teil Ihrer Gespäche wird sicher einem Rückblick und der Bestandsaufnahme deutsch-afrikanischer Beziehungen gewidmet sein. Vor der Unabhängigkeit Ihrer Staaten hatten die Europäer häufig ein bruchstückhaftes Bild vom afrikanischen Kontinent und den dort lebenden menschen».

wird sicher einem Rückblick und der Bestandsaufnahme deutsch-afrikanischer Beziehungen... gewidmet sein)

يمكننا أن نحدد على شريط التسجيل المتزامن اللحظة التي يتفوه فيها الترجمان بعبارة «سيكرس» فنستخلص، نظراً إلى زمن التوقف الضروري لتسجيل رد الفعل، أنه يقول ذلك بموجب (Ein Teil Ihrer Gespräche wird sicher einem Rückblick ...) ولـيـس بموجب (gewidmet sein) . . .

وعليه، يمكننا أن نحدّد في النص المترجم تعبيرات تبدو مستقلة عن الدلالات اللفظية الواردة في الأصل، وأن نتحقق بالنظر إلى الخطاب الأصلي من اللحظة التي يتفوّه بها الترجمان، وبالتالي نعيّن اللحظة التي يتم فيها تركيب المعنى، ففي التسجيل نفسه وفي الجملة الآتية ليست كلمة (Menschen) هي التي تتحول إلى كلمة «سكان»، إنما كلمة (lebenden) هي التي تجعل الترجمان يقول سكان.

تم نشر هذه الأبحاث في سنة 1981. سأكتفي هنا بالتركيز على أن تكوّن وحدات المعنى لدى المستمع ترتبط بعدد من الشروط: أولاً، تتجسد وحدات المعنى في شكل عدد من الكلمات ويتوقف طول سلسلة الكلمات على قدرة الذاكرة المباشرة على استيعابها من دون أن تتجاوز أبداً أكثر من ست أو سبع كلمات أي تقريباً ثلاث ثوان، ثم إن وحدات المعنى هي حصيلة رد فعل وليد الحافز السمعي الذي يدركه المستمع والمعارف الملائمة التي تنبثق في ذهنه أو التي يقوم بحشدها، مساهمةً منه في إحداث المعنى بعد أن يقوم بعملية توليف اللفظ والمعنى، فينسى الكلمات التي سمعها ليركز على الجمل التي تتوالى وبها تتكرر العملية من دون نهاية، فترتبط كل وحدة معنى بأخرى وتغنيها بإسهامها.

إن المحاور يقوم بتوضيح كل معلومة يريد تبليغها وفق ما يفترض توفره من زاد معرفي لدى المستمع، فقد أقول تارةً لمحاوري: «اقفل الباب بالمفتاح بسبب القطط»، وتارةً «اقفل الباب بالمفتاح لأنه لا يغلق جيداً فقد تفتحه القطط ولا أريدها أن تخدش المقاعد بمخالبها».

ولكن دعنا نحصر كلامنا في وحدة المعنى. إن طول هذه الوحدة (أي الكلمات القليلة الحاضرة في الذاكرة المباشرة) ونظمها هما وقف على الجزء المضمر الموجود في ذهن المتحدث أي معرفته للسياق والموضوع وما كان قد يلم به من قبل وما قد سمعه من قبل، فكلما كان المستمع على علم بموضوع المناقشة، قلّت حاجته إلى استماع المزيد من الكلمات للقيام بتوليف الفهم، ففي بعض الحالات تكفي كلمة التعجب بمفردها لتؤلف وحدة معنى. أورد هنا مثالاً على ذلك: أتخيل نفسي واقفة أمام سيارتي أبحث طويلاً في حقيبتي، ولا ألبث أن أفقد صوابي وأطلق كلمة «تباً» تعبيراً عن نفاد صبري، فها ابني يقول لي فوراً مثبتاً لي أنه قد فهمني لأنه أحاط بظروف القول: «حسناً، ها قد نسيت مرةً أخرى مفاتيح السيارة في البيت»!. وفي ظروف أخرى، إذا كان المستمع غريباً على الموضوع فقد لا يستطيع أن يكوّن وحدة معنى فيضطر إلى التريث أو إلى طلب المزيد من المعلومات.

إن القول بالإضافة إلى رد الفعل المعرفي الذي يقتضيه يشكلان ما سميته وحدة المعنى، وهي في نظري الوحدة الأدنى للفهم، فلا وجود للمعنى ما قبلها إنما لكلمات تتمتع كل منها بدلالة خاصة بها وتبدأ عملية التواصل بعد رصد وحدات المعنى وامتدادها.

وعليه، نرى كيف يتضح دور الذاكرة القصيرة المدى المسماة الذاكرة المباشرة في آليات عمل اللغة. وقد استرعت الذاكرة المباشرة اهتمام الباحثين منذ عدة سنوات، وأعطيت لها مسميات مختلفة

مثل: قدرة الفهم أو حقل الفهم أو المدى التذكري. وإذا كان قد تم الانكباب على دراسة قدرتها على التخزين، فإن وظيفتها في الخطاب لم تثر الانتباه كثيراً. ولا يمكن فهمها إلا إذا حللنا تفاعلها مع الذاكرة غير اللفظية بعيدة المدى التي تحتوي على المعرفة، فعندما يصل الخطاب إلى المستمع فإن الكلمات الست أو السبع التي تبقى حاضرة لديه بصفة متزامنة بفضل الذاكرة المباشرة توجه الإدراك الصوتي من خلال التعرّف إلى الكلمات. سنورد في ما يلي مثالاً من الفرنسية: يستطيع المستمع أن يميز بين هذين العنصرين ذوي الطابع الصوتي المتقارب: (les petites roues) العجلات الصغيرة و (les petits trous) الثقوب الصغيرة عندما ترد الكلمات المشار إليها سابقاً في التركيب الآتي (les petites roues de la locomotive!) عجلات القاطرة الصغيرة.

إن الدلالة الأحادية المعنى للكلمات الواردة في جملة تجند المعرفة السديدة التي تتدخل لتفسير هذه الكلمات ففي اللحظة التي تنتقل الدلالات في الذاكرة المعرفية بعد امتزاجها بالمعرفة السديدة وفقدها لشكلها اللفظي، تتحول وحدة المعنى إلى فكرة، وبالتالي يمكن للذاكرة المباشرة فور انعتاقها من هذه الكلمات أن تحفظ مجموعة الكلمات الموالية وهكذا دواليك.

إلا أن وظيفة الذاكرة المباشرة لا تكمن في الفهم فحسب بل لها دور أيضاً في فعل الكلام، فبناء الجُمل لا يتم حجراً إثر حجر، إذ نحن لا نجمع الفونيمات في كلمات لرصف هذه الأخيرة في جمل بل على العكس ترد الكلمات التي يتفوّه بها المتكلم للتعبير عن فكرته بصفة فورية تقريباً. ينطبق هذا الكلام على الكلمة ـ الجملة لدى الطفل قبل مرحلة اكتساب اللغة بصفة نهائية، كما ينطبق على عرض المحاضر: تنبثق الأصوات والكلمات معاً في الذهن. يكفي أن نلاحظ الزلات اللسانية المتكررة في المحادثة لنتحقق من ذلك

(سمعت مؤخراً معلقاً في الإذاعة يقول عن نهائي كأس فرنسا الذي سيشترك فيه أولمبيك مارسيون (l'Olympique de Marsyon). . . معذرة أقصد مارسيليا وأولمبيك ليون (L'Olympique de Lyon) مدغماً بذلك الأحرف الأولى لكلمة مارسيليا بالأحرف الأخيرة لكلمة ليون).

أعني بالحضور التذكري احتفاظ الذاكرة المباشرة ببعض الدلالات اللغوية التي تشكل لدى المستمع الوجه المادي لوحدة المعنى ولدى المتكلم التعبير اللفظي عن فكرته، ففي الحالة الأولى، نتحدث عن الاختزان التذكري أي ما يبقى عالقاً في الذاكرة وفي الحالة الثانية عن الاستظهار بمعنى الإفصاح. وهذا الحضور التذكري مهم لفهم العلاقات القائمة بين اللغة والخطاب، فهو يتسم بقصره إذ إن الدلالات اللفظية المختزنة لبضع ثوان سريعة الزوال، يفترض منها أن تستذكر المعرفة السديدة التي تساهم بدورها في بلورة الأفكار لدى المستمع، وإلا فقد يتلاشى الشكل المادي لوحدة المعنى وينمحي من دون أن يترك أثراً، فالأفكار هي وحدها التي تدوم وتستمر أكثر من الخطاب.

هذه الظاهرة ترتدي أهمية بالغة في الترجمة إذ أياً كانت دقة المترجم في ضبط معنى النص الأصلي، إذا كانت ترجمته غير واضحة بمعنى إذا كانت لا تسمح بتكوين وحدات المعنى في المهلة الطبيعية المحددة للإدراك، فقد يستحيل على المتلقي أن يستخلص فكرة القول. وكثيراً ما نلاحظ أن ما يجعل التعبير في لغة ما غير واضح هو ليس الخروج على قواعد اللغة وأساليبها بقدر ما هو الخرق لعبقرية اللغة وللمنطق الجوهري لقواعد الحس اللغوي، فلنستشهد بهذه الترجمة التي نشرت في فرنسا:

«Un rôle décisif dans ce changement d'optique a joué la critique de civilisation exercée par des intellectuels et qui, avant

d'être prise au sérieux était passée inaperçue, puis était devenue l'objet de mépris. »

«إن الدور الحاسم في تغيير وجهة النظر هذه قد ساهم في نقد الحضارة الذي مارسه المثقفون والذي ظل خفياً قبل أن تولى له أهمية فأصبح في ما بعد موضوع سخرية»

وهذه الترجمة من المفترض أن تكون ترجمة النص التالي بالألمانية:

(Eine entscheidende Rolle in diesem Wandlungsvorgang spielte die zunächst unbeachtete, später verspottete Zivilisation-skritik der Intellektuellen)[3]

أيا كان مقدار الخروج على قواعد اللغة في هذا المثال، فإن منطق نظم هذا القول مخالف تماماً لما نتوقع أن نسمعه باللغة الفرنسية، بحيث يتعذّر علينا إدراك المعنى للوهلة الأولى بمجرد سماعه.

إن وضوح الخطاب ومقروئية النصوص المخصصة للمطالعة السريعة (أو تلك التي لا تخضع لتأويل عميق) هي التي تشكل في نظرنا مشكلة الترجمة الأساسية. لابد من أن نشرح ما أتينا بتأكيده هنا: ترجمة النصوص الشعرية أو الأدبية التي لا تكمن أهميتها في الجانب التصوري البحت بل في جانبها الجمالي على نحو كبير، تطرح مشاكل أخرى لا محالة غير المقروئية، إلا أنني لن أتناول هذه المشاكل في إطار دراستي هذه. هذا وسأستبعد عمداً كل ما لا يثير مشاكل منهجية مثل عدم التمكن من لغة المصدر تمكناً كافياً، عدم الإلمام بالموضوع المعالج إلماماً كافياً، عدم معرفة لغة الوصول معرفة طبيعية حدسية كلغة أم، إذ من السهل أن نجد حلولاً لهذه

---

(3) Robert Jungk, *Der Jahrtausend Mensch* (Munich: G. Bertelsmann Verlag, 1973), p. 33

المشاكل، نظرياً على الأقل، فلا نترجم مثلاً إلا انطلاقاً من لغات نتمكن منها تمكناً جيداً، وأن نترجم مواضيع نفهمها بالسهولة نفسها التي يتمتع بها القارئ الذي يطالع هذه المواضيع لمجرد اهتمامه بها، أخيراً ألا نترجم إلا باتجاه لغتنا الأم، فبعد أن نستوفي كل هذه الشروط تثار مشكلة المنهجية التي كان قد تنبّه إليها ج. ب. داربلنيه (1968) قائلاً:

«...لا تكمن مشكلة (الترجمة) بصفة عامة في البحث عن معنى يجهله (المترجم) بل في التوصل إلى وسيلة لنقل هذا المعنى في لغته الأم».

يبدو أن التعبير بصفة تلقائية عن الأفكار في لغتنا الأم عملية بسيطة وطبيعية، أما التوصل إلى الوسيلة لإفهام المعنى في الترجمة فيثير صعوبة منهجية كبيرة.

أعتقد أنني أستطيع أن أبيّن أن أسباب هذه الصعوبة لا تكمن في مستوى تداخل الكلمات بل في مستوى النظم الشكلي لوحدات المعنى والسمات التي تختارها مختلف اللغات للإشارة إلى الفكرة ذاتها بطريقة مختلفة.

وبغية توضيح ذلك لابدَّ من أن نتفحص بعض الجوانب التي تجعل الخطاب يتمايز من اللغة.

اللغة والخطاب

إن موضوع الترجمة هو النص وليس اللغة ولذا لابدَّ من أن نميز بينهما لكي نحصر مشاكل الترجمة حصراً دقيقاً. تناولت اللسانيات الحديثة في دراستها للغة مفهومي السياق والحالة التواصلية أي المقام، إلا أننا نرى من الضروري أن نقسم مفهوم السياق إلى قسمين: **أولاً**، السياق اللفظي المطابق لسعة الذاكرة المباشرة،

وبالتالي للشكل المادي لوحدة المعنى. **ثانياً**، ما سميته السياق المعرفي لأنه يطابق الأفكار التي انتقلت إلى الذاكرة المعرفية منذ أن بدأ الخطاب. وتضاف إلى هذين السياقين المعارف ذات الصلة: المعرفة السديدة التي يتمتع بها القارئ لفهم وحدات المعنى.

ثمة ثلاثة عوامل في نظري تساهم في تحويل اللغة إلى خطاب وفق الآليات النفسية التي تدخل في الحسبان: المناسبة[4] وهي مجموعة العناصر غير اللغوية ذات الصلة بالإدراك الحسي والملازمة للخطاب، والسياق اللفظي المطابق لسعة الذاكرة المباشرة والسياق المعرفي المطابق للأفكار التي تتجلى شيئاً فشيئاً من الخطاب.

المناسبة هي الإطار المادي بمعنى المعطيات التي تحوط بإصدار القول، أي القاعة التي نحن فيها، المشهد الذي يتراءى لنا، اللفتات وإيماءات المتكلم وجل العناصر الملموسة التي ندركها مع إدراكنا للخطاب. وحين لا تكون المناسبة سديدة، يمكنها أن تحول الانتباه، والعكس بالعكس فعندما تكون سديدة توجه فهم القول اللغوي باتجاه المعنى الذي قصده المتكلم، فعلى سبيل المثال كان عضو من أعضاء مؤتمر ذات مرة يعرض صوراً على الشاشة أثناء محاضرته ويقول: «الضوء من فضلك»، حين كانت هذه الكلمات تدوي في القاعة المظلمة كان المسؤول الفني يشعل الضوء، وبعد ذلك ببضع دقائق تدوي الكلمات نفسها مرةً أخرى بالنبرة ذاتها فيطفئ المسؤول الفني عند ذلك الضوء مغرقاً القاعة في الظلام وهكذا يكون المحاضر قد أعطى أمرين متناقضين تماماً على التوالي

---

(4) خلافاً للدليل الألفبائي للسانيات تستبعد من تعريف المناسبة المعرفة العامة التي توجد ماقبل الخطاب، انظر: *La Linguistique, guide alphabétique*, sous la direction d'André Martinet (Paris: Denoël, 1969).

مستخدماً الكلمات نفسها وفي كل مرة كان السامع المتلقي يفهم قصده. وعليه، فإدراك المناسبة التي تحوط بإصدار القول اللغوي عينه لتوليد فكرة ما تارةً وفكرة مغايرة تارةً لدليل على أنه يمكن تحديد القصد بفعل الكلام المرتبط بظروف القول. وبغياب المناسبة التي أشرت إليها سابقاً لا يمكن فهم لفظ «الضوء» إلا في إطار الاصطلاح الألسني الذي يستمد منه اللفظ دلالته اللغوية التي نتعرف إليها بمجرد سماعها.

شأننا في الحالة الأولى الخطاب، وفي الحالة الثانية شأننا اللغة، فعلى المستوى اللغوي لا يمكّننا إدراكنا للشكل اللفظي إلا من التعرف إلى الكلم، بالمقابل على مستوى الخطاب، تحمل المرسلة زاداً معرفياً سرعان ما ينعتق من أي ترابط لفظي.

وعلى سبيل المثال، لو سئل المسؤول الفني لماذا كان يغرق القاعة تارةً في الظلام وتارةً في الضوء لأجاب بالتأكيد «أمرت بذلك» ولن يقول: «لأنه قيل لي الضوء من فضلك!».

السياق اللفظي: السياق بمعنى الحضور المتزامن لمجموعة من الألفاظ في الذاكرة المباشرة التي تطابق في النص المكتوب مدى الإدراك البصري، يشرح السياق إذاً كيف أن التعدد الدلالي هو سمة طبيعية من سمات اللغة ولا ينتمي إلى واقع الخطاب، فالتعدد الدلالي لا وجود له في الخطاب، وبالتالي فهو لا يثير أي مشكلة في الترجمة بينما تفضل اللسانيات دراسته، ففي الجانب اللفظي لوحدة المعنى لا يطال التعدد الدلالي الكلمات، ولا يعرض على المستمع الخيار بين دلالات لفظية مختلفة، ففي الجملة الآتية التي قيلت على الغداء:

«Donne-moi un morceau de (pè)», on ne fait pas un choix entre le sens de faire un cadeau et de tendre pour comprendre

donner; on ne retient pas le sens de *tranche* après avoir écarté celui de *morceau de musique*; on n'évoque pas le sens de *pin* avant de retenir celui de *pain*.

«أعطني قطعة (خُبـ)»، لا نختار بين معنى تقديم هدية ومد بمعنى إعطاء، ولا نختار معنى كسرة بعد أن نكون قد استبعدنا معنى قطعة موسيقى لأن السياق اللفظي هو الذي يفرض علينا المعنى الأول من بين المعنيين المقدمين في كل مرة.

إنها مشاكل أثارتها الترجمة بالرصف (كلمة كلمة) في الترجمة الآلية، وحملتنا على الاعتقاد أن التعدد الدلالي يثير مشكلة لعملية الترجمة. بيد أنه ينبغي عدم الخلط بين الترجمة الآلية والترجمة البشرية، فالآلة تترجم اللغة في حين يترجم الإنسان الخطاب. لم يعد أحد يعتقد أننا نستطيع أن نترجم حرفياً ونظراً إلى توفر سياق لفظي أدنى في العمل الترجمي، فلا داعي أن نذكر التعدد الدلالي في الترجمة إلا في سياق واحد بصفته مشكلة زائفة طالما أن موضوع الترجمة هو النصوص، وبالتالي من النادر للغاية ألا تكون الدلالات فيها أحادية.

ومع ذلك، فالخطاب لا ينشأ من تجميع مدلولات أحادية المعنى.

السياق المعرفي: بإسهامه في إبراز وحدة المعنى يكتسي أهمية مماثلة للسياق اللفظي إذ يجعل المعلومات أحادية المعنى على شاكلة السياق اللفظي الذي يجعل الكلمات والسمات الدلالية أحادية المعنى، فالسياق المعرفي هو مجموعة المعلومات المتدفقة التي يأتي بها تسلسل الخطاب لأذني المتلقي أو القراءة للقارئ، وهكذا يساوي السياق المعرفي درجة الصفر في أول كلمات الخطاب، ويتضخم تدريجياً كلما تقدم المتحدث في عملية القول، فكلما تجلت الفكرة التي يدافع عنها المتكلم وتأكد منطق خطابه، اتسعت وتمتنت القاعدة

التي يمكن للمستمع أو القارئ الانطلاق منها لبناء وحدات المعنى المتعاقبة. ولطالما لاحظت كيف أن الترجمان الذي يتحرر عادة من كلمات الخطاب الأصلي تحرراً شبه تام ليعيد التعبير عن معنى الخطاب، يضطر في بداية المداخلات إلى أن يلتزم بترجمة حرفية لعدم توفر سياق معرفي كاف. أما في حال المترجمين فنحن نعلم كذلك أنهم يعتنون دوماً بقراءة النص بكامله قبل مباشرة الترجمة.

بالنتيجة، فالسياق المعرفي مهم لبناء كل وحدات المعنى ولا يختلف عن مجمل المخزون المعرفي إلا من حيث مدته، فنحن بإمكاننا أن نحتفظ بما قرأناه أو سمعناه على التو وقتاً كافياً في الذاكرة المعرفية ليتسنى لنا أن نفهم بقية النص أو الخطاب، فالسياق المعرفي قصير المدى ويضاف إلى المعرفة الطويلة المدى القابعة بصفة دائمة في الذاكرة والتي نجند جزءاً منها فحسب هو المعرفة السديدة لفهم كل جملة في الخطاب.

لنتمثل بهذه الجملة التي وردت في نهاية مقال نشر في الجريدة: «L'Europe est à l'heure du choix : l'Allemagne aussi» .
«حان وقت الخيار لأوروبا: ولألمانيا كذلك»

إذا تأملنا هذه الجملة تحققنا من أنها معزولة عن سياقها المعرفي، فلا معنى لها إلا من خلال الكلمات التي تتألف منها. وإذا أضفنا لها الأسطر الثلاثة التي تسبقها لمجرد التوضيح:

(«Walter Scheel se trouve ainsi devant un choix capital : ou accepter en partie du moins la thèse française ou, au contraire, entrer totalement dans les vues d'Henry Kissinger).

«يجد والتر شيل نفسه أمام خيار جوهري: فإما أن يقبل جزئياً على الأقل الأطروحة الفرنسية أو، على العكس، أن يسلم بوجهات نظر هنري كيسينجر تسليماً تاماً»، فنكون بذلك قد ساهمنا بتوسيع

معنى الجملة قليلاً إذ يتضح لنا الآن أن الخيار هو بين الأطروحة الفرنسية والأطروحة الأمريكية. بيد أننا لانزال نجهل موضوع كل أطروحة ولانزال غير ملمين بمعنى الجملة. لكي يتمتع قارئ هذه الأسطر بالمعرفة السديدة الضرورية لابدَّ من أن يعرف ظروف هذا السياق ويعلم أننا في آذار/ مارس 1974 وأن السيد ميشال جوبير (Michel Jobert) كان آنذاك وزير خارجية فرنسا، وأنه ينوي زيارة مدينة بون ليدافع عن وجهة النظر الفرنسية المنادية بأوروبا مستقلة عن الولايات المتحدة، وهي وجهة نظر مناقضة تماماً لرغبات السيد كيسينجر (Kissinger).

وهكذا فالكلمات البسيطة في اللغة، ذات المعنى الأحادي في سياقها اللفظي: «حان وقت الخيار لأوروبا: ولألمانيا كذلك» لا تشكل وحدة معنى إلا في اللحظة التي تضاف إليها المعرفة السديدة وعند ذلك فقط تكتسب العبارة في الخطاب مغزى أعمق. إن ظاهرة «الفهم» (أي حد أدنى من القول يستذكر مجموعة معلومات ذات مغزى أوسع) لا تتجلى عند تحليلنا للجملة المعزولة إذ إن المكمل الدلالي يأتي من سياق معرفي عابر، يكون حاضراً أثناء قراءتنا للمقال وغائباً إذا ورد معزولاً، بحيث لا نعود نفطن إلى هذه الظاهرة. بالمقابل، سيلاحظ كل منا عنوان المقال «Est-ce le Rhin ou l'Atlantique qui nous sépare? va demander Jobert aux Allemands» «ميشال جوبير مخاطباً الألمان: أهو نهر الراين أو المحيط الأطلسي الفاصل بيننا؟» إذ الاستعارة المستخدمة هنا تستدعي المعارف العامة، وبالتالي المترسخة تقريباً لدى القراء، فالقارئ الذي يجهل الاتجاهات السياسة للبلدين بالنظر إلى التشييد الأوروبي قد يفهم حرفياً السؤال: «أهو نهر الراين أو المحيط الأطلسي الفاصل بيننا؟» فيطرح على نفسه أسئلة تتعلق بالجغرافيا. إن تراصف الكلمات يأخذ مغزاه عندما يندرج في مجموعة من المعارف: التقارب بين اسم

ميشال جوبير والسياسة الخارجية الديغولية، مفهوم الأطلنطية الذي تستحضره لفظة أطلسي، . . . إلخ.

وظاهرة «الفهم» هي نفسها في الحالتين: يحتاج القول البسيط والصورة البلاغية إلى معرفة سديدة لتدب الحياة في المعنى اللغوي. أما الصورة البلاغية فتبرز برونقها المميز سمة عامة من سمات الخطاب ألا وهي أن أي قول، فضلاً للمضمر التصوري الذي يحيل إليه، أوسع مغزى من الصيغة المستخدمة للتعبير عنه على مستوى اللغة. وكلما اتسع فهم المضمر تحرر المعنى من دلالته اللغوية بصورة أفضل.

وهكذا، تعبّر وحدات المعنى في الخطاب عن معنى مستحدث لا ينبع من دلالة العناصر المؤلفة لها فحسب، وتكون هذه الدلالة سابقة الوجود على مستوى اللغة، بل من مجموع الأدلة والبراهين التي تندمج فيه هذه الوحدات أيضاً.

وبالتالي، ثمة مراحل عديدة توجه المتلقي باتجاه المعنى الحقيقي للمرسلة: **أولاً**، السياق اللفظي الذي يحد من الافتراضات الدلالية للغة. **ثانياً** السياق المعرفي الذي يسمح لنا باستنتاج المعنى شيئاً فشيئاً من القول. **ثالثاً**، وأخيراً، المعرفة والدرايات التي تحوط بالمستمع/ القارئ ولولاها لكادت المرسلة تظل حبراً على ورق. تساهم عوامل عديدة في تسهيل هذا التوجيه وجعله ممكناً بواسطة الإدراك الحسي المتلازم للظروف كافة التي تحوط بعملية القول في الخطاب، وكذلك الحضور المتزامن في الذاكرة المباشرة لعناصر القول ومدى الذاكرة المعرفية المتوسطة الأجل التي تسمح لنا بحفظ السياق المعرفي، وأخيراً وجود معرفة سديدة مسبقة لدى القارئ/ المتلقي. وبغياب جل هذه العوامل فلن يبقى لنا سوى عناصر لغوية مجردة من أي معنى.

وبالتالي، لا يمكن تحديد مقروئية نص ما ووضوح خطاب ما من خلال صفات القول اللغوي الجوهرية بل من خلال جدلية الخطاب والفاعل المدرك (sujet percevant).

إن أهمية ما سبق ذكره جليّ للغاية بالنسبة إلى عملية الترجمة إذا أرادت بدورها أن تكون مقروءة وواضحة، فكلما ارتبط معنى قول ما بمكملات معرفية خارجة عن هذا القول اضطر المترجم إلى أن يدرك مدلولها لإعادة التعبير عن المعنى.

سأدلي في السطور القادمة بمثال شهدته في المؤتمرات الدولية لأصور مدى الخطورة الكامنة في الترجمة عند إهمالنا للسياق المعرفي: بينما كانت جمعيات المستهلكين تشن حملةً في بروكسل، مقر المفوضية الأوروبية للتنديد بسمية بعض المواد المضافة للأغذية، اجتمع مديرو قطاع من قطاعات الصناعة الغذائية للتداول حول الحجج التي سيقدمونها للمفوضية الأوروبية لتجنب قرار منع العوامل الحافظة للأغذية التي يتمسكون بها بشدة، إذ بغيابها تتلف المواد الغذائية على نحو أسرع، فالترجمان نقل تدخل المشارك البريطاني بهذه الكلمات: (Je ne pense pas qu'il serait sage de combattre les consommateurs pour des questions de coûts). «لا أظن أنه من الحكمة بمكان أن نحارب المستهلكين لمسائل تتعلق بالتكاليف»، بدا أن الصناعي الفرنسي الذي كان يستمع إليه لم يدرك تماماً قصده فوضح له المشارك البريطاني فكرته قائلاً إنه قد نخطئ إذا بنينا حجتنا على قول إن منع المواد المضافة للأغذية من شأنه أن يكبّد الصناعة الغذائية خسائر، فنختار لهجة الابتزاز مدّعين أن زيادة أسعار الكلفة قد يكون لها مضاعفات لا مفر منها على أسعار الاستهلاك. من الأجدى أن نبين أن العوامل الحافظة لا تصبح سامة إلا إذا استعملت بكميات تفوق تلك المستخدمة عادةً في هذا الفرع من الصناعة الغذائية.

لنتأمل ما قاله المشارك البريطاني في تدخله الأول: (I don't

think it would be wise for our industries to fight consummers on costs;technological reasons (la non-nocivité de l'additif) are far more potent...)

(Je ne pense pas qu'il serait sage de إن الترجمة الفرنسية
«لا : combattre les consommateurs pour des questions de coûts)
أظن أنه من الحكمة بمكان أن نحارب المستهلكين لمسائل تتعلق بالتكاليف» ليست بعيدة جداً عن الصيغة الأصلية. في الواقع ليست بعيدة بما فيه الكفاية لنقل المرسَلَة، فأين تقع هفوة الترجمان بالتحديد؟ يمكن اعتبار ترجمة (On costs) خارج السياق المعرفي بـ «لمسائل تتعلق بالتكاليف» (pour des questions de coûts) ترجمة مستساغة ولكن ما معنى أن نترجم خارج السياق المعرفي سوى أن نلصق معنى وهمياً لقول ما، سوى إطلاق فرضيات بصدده مدعمة بطريقة وبأخرى، فحين قال الترجمان: (combattre pour des questions de coûts) «أن نحارب لمسائل تتعلق بالتكاليف» فهو يقوم على الأرجح بمشابهة هذا التعبير بتعبيرات أخرى مألوفة لديه لطالما سمعها من قبل على غرار: (Nous n'allons pas nous disputer pour des questions d'argent) «لن نختلف لمسائل مادية». وردت في ذهنه مجموعة معينة من الأفكار وذكرته العبارة بشيء مألوف لديه، لكنه لم يحسن الربط مع هذا المألوف. لو استمع الترجمان إلى مختلف المداخلات وتابع تسلسل النقاشات لاستنجد بكل الزاد المعرفي الذي راكمه منذ بداية الاجتماع ولانبثق التعبير عن الفكرة السديدة. ومع ذلك، لم يكن ليختلف التعبير لغوياً بالضرورة اختلافاً كبيراً عن «لمسائل تتعلق بالتكاليف». كان يكفي أن يستخدم جملة ليست بهذا القدر من الأناقة مثل (combattre les consommateurs en se plaçant sous l'angle du coût) أي «محاربة المستهلكين بالتذرع بالتكاليف» كي يستوعب المستمع الفرنسي الفكرة مباشرةً.

وكي تتم عملية الإفهام في الترجمة الفورية كما في الترجمة التحريرية لابدَّ من أن يجاوز فهمنا نطاق الجملة الصغيرة التي نقوم بترجمتها. وحتى نعبر بوضوح عن الفكرة الأصلية لابدَّ من أن نكون أنفسنا ملمين بهذه الفكرة، فالترجمان الذي يترجم مقاطع أو أجزاء متجاورة[5] على مستوى اللغة بدلاً من الانطلاق من فكرة متماسكة أو متسلسلة، يكاد في كل مرة يجانب المعنى بدلاً من إصابته. وحتى نعادل بين (on costs) «لمسائل تتعلق بالتكاليف» و (sous l'angle des coûts) «التذرع بالتكاليف» لابدَّ من أن نكون قد وظفنا المخزون المعرفي الذي زودتنا به وحدات المعنى التي تعاقبت في مجرى النقاش والتي تعطي للتعبير اللغوي معناه المستحدث. إن تعبير (on costs) أي «لمسائل تتعلق بالتكاليف» يشير إلى طبيعة فعل الكلام الذي يمكننا إعادة التعبير عنه بالتأكيد، وغير القابل إلى الترجمة في اللغة.

الانتقاص والبتر وإدراك المعنى

في الترجمة التحريرية كما في الترجمة الفورية من المهم جداً أن نميّز بين فعل الكلام والجمل خارج الخطاب، بالفعل ونظراً إلى أن القول في الخطاب لا يعبر إلا جزئياً عن المعنى الذي ينبغي على الترجمة نقله، ونظراً إلى أن اللغات لا تعبر عن الفكرة ذاتها مستخدمة ظاهر اللفظ ذاته فلابدَّ من أن تستوحي الصيغة التي ستعبر عن المعنى في اللغة الأخرى من ظاهر النص الأصلي ومضمره على السواء.

لنتمثل من باب الفضول بقولين استحدثهما الحاسوب[6]: (Le joli garçon observait la manœuvre et le chien blond brûla un fruit)

---

(5) من الجدير بالذكر هنا أن في الترجمة التعاقبية يرفض التراجمة نقل المُرسَلة جملة جملة.

(6) انظر الدراسات التي تمت في جامعة تولوز ـ لوميراي: *Revue Grammatica*, t. 11 (1975).

أي: كان الصبي الجميل يراقب المناورة، والكلب الأشقر أحرق فاكهة. نحن نعلم تحديداً أن كلا القولين لا يستجيبان لمقصد ما ومع ذلك تبدو الجملة الأولى مقبولة أكثر من الثانية، فالمخزون المعرفي الذي يقرنه القارئ بها يجعله يرتئي أنها تستحضر ظرفاً أكثر احتمالاً من الجملة الثانية. وعليه، يحمّل القارئ هذه الجملة معنى هو معنى افتراضي لكنه محتمل في حين يرفض أن يعتبر الجملة الثانية قابلة للاحتمال. ومع ذلك، فالمعنى الذي نعتقد توفره في الجملة الأولى ليس سوى دلالة لغوية محضة لا تستند إلى أساس حقيقي تماماً كالجملة الثانية. والمعنى هنا افتراضي ولا شيء يؤكد أن هذا الافتراض قد يتحقق إذا اندرجت الجملة في سياق حقيقي. بالمقابل، غالباً ما تعبر جمل رديئة التركيب بل غير متماسكة لغوياً أحياناً عن مرسَلة واضحة تماماً، نظراً إلى أن اندماج هذه الجمل في المعرفة غير اللغوية يتم بسهولة.

ونحن في هذه الحالة إزاء نوعين من المعنى (أو من الهراء): المعنى الذي تنقله الجملة المعزولة والمعنى الذي ينقله القول المُدمَج في سياق وفي المعرفة السديدة، ففي الحالة الأولى، يتم تفسير الجملة وفق المعارف التي نتمتع بها بصفة عامة: فنحن نفهم شيئاً حتى وإن كان لا يتعدى في أقصى الحالات المدلول اللغوي إلا أن هذا الفهم ليس إلا معنى محتملاً، وترجمة هذا المعنى هي أيضاً ترجمة محتملة. أما في الحالة الثانية، أي حالة الجملة المُدمَجة في سياق أو خطاب وكلاهما يولّدان سياقاً معرفياً، فإن فهم القول يستند إلى المعرفة السديدة هذه، إلى السياق المعرفي هذا، ويتحقق عبر استبعاد جل الدلالات غير السديدة في الجملة استبعاداً تلقائياً. تصبح الترجمة عندئذٍ ممكنة، ولا تعود تتوقف جودتها إلا على موهبة المترجم.

مبدئياً، من السهل أن نميّز بين دلالة جملة خارجة عن السياق، تكون عبارة عن تجميع دلائل لسانية لا تستمد معناها إلا من الدلائل اللسانية الأخرى ومن القواعد النحوية، ومعنى جملة تم الإدلاء بها في مناسبة محددة، لكن في حالة ملموسة قد يبدو من الصعب التمييز بينهما. صحيح أن العلك أو الإسهاب في التفسير وهو وسيلة تقليدية لتحديد دلالات اللغة يسمح لنا في هذا النطاق أن نقول إن عبارة «اشتريت الجريدة» لها ثلاثة معان محتملة:

1 ـ اشتريت نسخة من الجريدة.

2 ـ اشتريت المؤسسة التي تنشر الجريدة

3 ـ رشوت طاقم تحرير الجريدة

وهذه الأمثلة كلها استعرتها من د. سبيربر[7] (D. Sperber).

وطالما نعترف باحتمال تعادل التعبيرين: اشتريت المؤسسة التي تنشر الجريدة ورشوت طاقم تحرير الجريدة، يمكننا أن نسلم بأن اللغة هي التي تزودهما بهذه المعاني. كما سنقر أنه بوجود سياق كافٍ يتم اختزال تعدد المعاني المحتملة هذه إلى معنى واحد: إنه كما أشرت إليه سابقاً حال النصوص التي تعطى إلى الترجمة والمتميزة بسياق كافٍ يحقق أحادية المعنى اللغوي.

أما المعنى في الخطاب، ذلك الذي ينبغي إفهامه في عملية الترجمة فهو أوسع نطاقاً من الدلالة، فإذا عدنا إلى مثال سبيربر وافترضنا أن زوجاً يخاطب امرأته الذاهبة للتسوّق قائلاً: اشتريت الجريدة فهذا يعني: لا داعي أن تشتري الجريدة. هذا المعنى ينبثق

(7) «Rudiments de rhétorique cognitive,» in: *Poétique 23* (Paris: Ed. Le Seuil, 1975).

من العلاقة القائمة بين الفاعل المدرك (sujet percevant) والعبارة اللغوية. أما المعنى النهائي، فهو وقف على الاختلاف الكبير المحتمل بين وجهي العلاقة: وفرة المعلومات التي يتمتع بها الفاعل المدرك من جهة ودلالة العبارة من جهة أخرى.

سأعطي مثالاً في هذا الصدد يبيّن كيف أن عبارة ما تشير دلالتها اللغوية المحضة إلى معنى يختلف عن ذلك الذي قصده المتكلم يمكن تقويمها بفضل المعارف الملائمة المتوفرة لدى المتلقي، وسيبيّن مثال آخر نقيض ذلك تماماً: حالة المتلقي الذي لا يتمتع بالمعارف الضرورية، فيبقى معنى عبارة ما مُضمَراً له لا يدرك سوى دلالتها اللغوية، بينما قد يبدو بداهياً ودامغاً لكل من يتمتع بالمعرفة الملائمة.

نشرت جريدة **لوموند** بتاريخ 18 أيلول/ سبتمبر 1973 تحت عنوان «تصويب الشعار» المعلومات الآتية:

«Les autorités de Pékin avaient remplacé vendredi, dernier jour du président dans la capitale, le slogan: «*Chaleureuse bienvenue au président Pompidou* », par cet autre, en principe plus adapté aux circonstances: «*Saluons chaleureusement le départ de M. Pompidou*»

«Certains journalistes français ayant fait comprendre discrètement à leurs hôtes que cette formule était quelque peu ambiguë et équivalait à se réjouir du départ du visiteur, on chercha une meilleure traduction de la formulation chinoise. Après consultation, les deux « parties» retinrent: «Chaleureux au revoir au président Pompidou». C'est ce slogan qui, comme par enchantement, a fait son apparition ce lundi dans les rues de Shanghaï en grandes lettres sur fond rouge.»

«استبدلت السلطات الصينية في العاصمة بكين يوم الجمعة المطابق لليوم الأخير الذي سيمضيه الرئيس بومبيدو في العاصمة، الشعار القائل: «نرحب ترحيباً حاراً بالرئيس بومبيدو» بشعار آخر أكثر ملاءمةً للظروف مبدئياً، وهو «تحية حارة بمناسبة مغادرة الرئيس

السيد بومبيدو»، فقام بعض الصحافيين الفرنسيين بإفهام مضيفيهم بحذر أن التعبير هذا قد يثير اللَبس وقد يعني أنهم مغتبطون بمغادرة الرئيس الزائر، فتم عند ذلك البحث عن ترجمة أفضل للتعبير الصيني، فبعد تشاور «الطرفين» أقر الآتي «وداع حار للرئيس بومبيدو» إنه الشعار الذي ظهر فجأةً هذا الاثنين في شوارع شنغهاي بخط أبيض عريض على خلفية حمراء».

إن ترابط الكلمات تحية حارة بمناسبة مغادرة الرئيس السيد بومبيدو واضح بالفعل وهو يعني على مستوى اللغة: نحن نبتهج ابتهاجاً لمغادرة السيد بومبيدو (كلمة حاراً هي وحدها التي تجعلنا نتردد نوعاً ما. . .). إلا أن التناقض البداهي بين القول اللغوي ومعارف الصحافيين (الكل يعلم الاستقبال الاستثنائي الحار الذي خصصته بيجينغ للرئيس الفرنسي) كبير لدرجة أن إدراكنا للمعنى يجعلنا قادرين على تصويب التعبير اللغوي. إن المعارف السديدة المتوفرة لدى الصحافيين المرافقين للرئيس، وكذلك معارف قراء هذا المقال تجعلهم لا يبالون بالمعنى غير المقصود للقول (سوى للتهكم من خطئه) فيحتفظون بذلك الوارد في وحدة المعنى. وكثيراً ما نقوم بتقويم المعنى انطلاقاً من السياق المعرفي أو من المعارف السديدة من دون أن نعي حتى بهذه الظاهرة، فالقول لا يتناقض دوماً بهذه الحدة مع المعارف السديدة كما هو الحال في هذا المثال، ومع ذلك قد يحدث أن يكون القول متعثراً أو غير لائق أحياناً كثيرة خلافاً لما نعتقد.

سيبيّن مثال آخر مناقض كلياً في مبدئه استقيته هو أيضاً من التاريخ كيف أنه بغياب المعرفة السديدة لا يسعنا إلا أن نلجأ إلى الدلالة اللغوية: عندما تفوهت الملكة ماري أنطوانيت، زوجة الملك لويس السادس عشر، بجملتها الشهيرة: «يطالبون بالخبز؟ فليأكلوا

فطائر الحلوى!» بيّنت هنا بسخرية كاريكاتورية كم أنه من المستحيل أن نؤوّل جملةً عندما لا تكون مستندة إلا إلى اللغة... وبالتالي تم فهم مطالبة الجماهير بالخبز على مستوى اللغة فحسب أي حرفياً، كان لابدَّ للملكة ماري أنطوانيت كي تفهم مَقصَد الجماهير أن تكون ملمة بظروف حياة الشعب وهي التي كانت تجهلها بداهةً.

من النادر أن يكون عدم فهم المعنى صارخاً كما هو عليه هنا، ولكن إذا نقلنا ذلك إلى صعيد الترجمة، فلا شك أنه يمثل الخطأ المنهجي الأكبر الموجود في العديد من الترجمات التي تكتفي بنقل دلالات اللغة المصدر من دون أن تتساءل إذا كانت تفي بالمعنى.

الانتقاص والبتر والتعبير عن المعنى

على مستوى الخطاب، يمكننا القول إن المتكلم يطيل ويدقق قوله إلى ما لا نهاية وفق المخزون المعرفي الذي يفترضه لدى متلقيه، فكلما زادت المعارف المشتركة بينهما قلّت حاجة المتكلم إلى التوضيح. وكلما تطابقت معارفهما أصبح القول إضمارياً. وعلى العكس، كلما قلّت معارف المستمع اضطر المتكلم إلى أن يسهب في قوله لينقل فكرته. على كل حال، يبقى الكلام إضمارياً ويستحضر دوماً قولاً مضمناً بالإضافة إلى ظاهر القول. ويفسر التباين الدائم في أهمية المعارف المشتركة بين المتكلم والمتلقي وعددها حركة التكثُّف والتمدد التي يتسم بها القول. كما يفسر أن المعنى لا يتصل اتصالاً ثابتاً بتعبير لغوي ما: وفي المقال ذاته كتبت جريدة **لوموند** بتاريخ 16 كانون الثاني/ يناير 1976 واثقةً تماماً بمعلومات قرائها حول أحداث السياسة العالمية، كتبت ما يلي:

«M. Kissinger va se rendre à Moscou pour débloquer les négociations stratégiques».

«Son objectif immédiat est de débloquer les pourparlers sur la limitation des armements stratégiques (SAL) ».

«سيزور السيد كيسينجر موسكو لإزالة العقبات في وجه المفاوضات الاستراتيجية» ثم أضافت: «إن هدفه المباشر هو إزالة العقبات في وجه المحادثات الخاصة بالحد من الأسلحة الاستراتيجية (SALT)».

إن ظاهرة التكثف والتمدد هذه ما هي إلا تأقلم غير واع للمتكلم مع متلقيه، وهي متواترة في المحادثة لدرجة أنها قد تفضي أحياناً إلى استخدام عبارات متعثرة لغوياً أو غير منطقية، من دون أن تعيقنا هذه الأخطاء عن فهم المقصد، فعبارة المفاوضات الاستراتيجية لا تزعجنا عند القراءة إلا في حال غياب المعارف السديدة المحيطة بها. هذا وسمعت ذات يوم في الإذاعة العبارة الآتية:

«La Sécurité Sociale protège les salariés contre les accidents du travail»

«يحمي الضمان الاجتماعي الأجراء من حوادث العمل»

نحن نعلم كفايةً ما هو الضمان الاجتماعي لنفهم الفكرة الجوهرية التي تم إخفاؤها هنا والقاضية بحماية العمال من التداعيات المادية المشؤومة للحوادث التي كان يتعرض لها في الماضي الأجراء مثل خسارة الأجر وعدم القدرة على دفع العلاج، . . . إلخ. يتضح هنا تكثف الفكرة في شكل مقتضب للغاية، بحيث يعني القول شيئاً مغايراً لما يعبّر عنه في الظاهر على الرغم من أنه يعني هذا الشيء المغاير بوضوح.

وعليه، فوضوح الكلام لا يتطابق بالضرورة مع التناسق اللغوي للقول وانتظام عناصره إنما يتطابق مع الفكرة واختيار السمة الظاهرة التي نستدل بواسطتها على السمات المضمَرة من خلال السياق المعرفي توخياً للوضوح، وليس وضوح الكلام نسخة مطابقة لنموذج لغوي لا يعتمد سوى على معرفة عامة.

أما الكاتب الذي يتوجه إلى جمهور أقل تحديداً من جمهور الخطاب الشفهي، فلديه متسع من الوقت ليدرك بشكل دقيق الدلالات اللغوية لنية قوله وأن يردم البون الفاصل بين الكلام واللغة، فهو يستطيع على سبيل المثال أن يفكر ملياً في كلماته طالما أنه ليس راضياً عن مدى تطابقها مع مقصده على أفضل نحو: يستطيع أن يبلور كلامه بالعودة المتكررة إلى صياغته بغية التعديل والتنقيح، فهو يعمل على وتيرة تفكيره لا على وتيرة الترابط العابر بين الفكرة والكلام. بالمقابل، فإن الخطاب الشفهي يتم بسرعة الاتصال القائم بين فكرة «مجردة» من السمة الشكلية والكلام الذي لا يجسد هذه الفكرة سوى في اللحظة التي نسمعه فيها، فالمتكلم لا يعود إلى الوراء بل يقوم بوصل أقواله ليبني فكرته ويوضحها، فينتقل من الشروحات الأكثر إسهاباً وتفصيلاً إلى المختصرات المذهلة للغاية. ولذا يتسم الكلام الحر بأشكال التردد والتلعثم والهفوات والتكرار والجمل غير المنتهية التي تبتعد ابتعاداً عن المقاييس اللغوية أحياناً، ومع ذلك فإذا اندرجت في سياق معرفي أصبحت واضحة تماماً يستطيع المستمع أن يفهم تسلسلها من دون عناء.

إليكم هذا المثال:

«Les réseaux sont intéressés à ne pas transporter des kilomètres à vide».

«يهم الشبكات ألا تنقل كيلومترات فراغاً»

إذا أُعطيت هذه الجملة كما هي عليه، فستبدو غامضةً بل غير صحيحة. أما إذا تفوّه بها عامل في سكة الحديد في اجتماع لجنة الاتحاد الدولي لسكك الحديد، فقد تصبح الجملة واضحة تماماً للمستمعين الذين يلمّون بموضوع الاجتماع (تحديد أسعار البضائع المنقولة عبر سكك الحديد الأوروبية) والذين يعرفون تماماً الصعوبات المالية التي يشهدها قطاع البضائع في سكك الحديد،

فجميعهم يفهمون فوراً أن شركة سكة الحديد مستعدة لمنح أسعار تفضيلية على بعض المواصلات لتجنب تنقل العربات من دون حمولة. وعليه، فالشخص الذي ليس على علم بالموضوع يكتفي بزاده المعرفي العام فيحكم على الجملة بالتنافر والتشويش إذ من غير المنطقي في نظره أن «ننقل كيلومترات» ومع ذلك، عند اندراج الجملة في سياقها المعرفي لم يشعر أحد بهذا التنافر بل بالعكس والإيجاز الذي استخدمه المتكلم في ظاهر قوله لم يزعج أحداً، فالعامل في سكة الحديد كان يخاطب جمهوراً ملماً بالمشكلة، ولذا أمكنه استخدام صيغة مكثفة للغاية وإيجاز القول بل انتقاصه لم يقلّل من وضوح الفكرة.

هذا المثال «يهم الشبكات ألا تنقل كيلومترات فراغاً» يسمح لنا كذلك بالتمييز بين ما هو صحيح قياساً للغة كما يشرح ذلك النحاة واختصاصيو علم المعاني - وفي هذا الصدد تكون جملتنا صحيحة - وما هو صحيح قياساً للحكم الدلالي المعزول عن السياق الذي يطلقه الشخص عليها، وفي هذا الصدد تكون جملتنا غير صحيحة، فالصحيح النحوي وتناسق القول خارج الخطاب لا يتطابقان، فبينما يستدعي الأول - أي الصحيح النحوي - آلية لغوية فحسب يستدعي الثاني معرفة غير لغوية.

لماذا ينبغي إلى الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية أن تولي أهميةً لهذا الجانب من الخطاب؟ لماذا تباليان بطريقة الكاتب أو المتكلم في تكثيف مادتهما على هذا النحو أو ذلك؟ ألا يكفي أن نقتفي أثرهما ونتبين طريقتهما في الكتابة أو الكلام فنترجم «يهم الشبكات ألا تنقل كيلومترات فراغاً» مهتمين بالمعنى بالتأكيد لنتجنب ارتكاب المخالفة (contresens) أو الخطل (faux sens) ولكن من دون أن نسعى مع ذلك إلى بلورة خطاب مستقل؟

الجواب بديهي هنا: لو لم تكن اللغات مختلفة لما كان من الضروري بالفعل أن نعبّر عن الفكرة نفسها بطريقة مختلفة، إذ بوسعنا أن نستخدم العبارات نفسها. وكذلك، لو لم تكن اللغات مختلفة لما كان من الضروري أن نترجم!

نحن ميّالون إلى الاعتقاد بأن اللغات لا تختلف إلا على المستوى الدلالي والصرفي والنحوي والصوتي، إلا أننا نعتقد أنها تتمايز كذلك، على صعيد الخطاب، من خلال اختيارها للسمات البارزة التي تختصر فكرة ما. وعليه، تختلف اللغات في الخطاب.

إن فعل الكلام يتميز بتناسق خاص به، بكثافة يسمح بها الخطاب، إلا أن التقابل بين الفكر والكلام وإن بدا التعبير عنه في النهاية حراً، فريداً، فهو يخضع لبعض القيود. إذ مهما كان المتكلم ملهَماً في اختيار ألفاظه، لابدَّ من أن يخضع للأعراف الثقافية وطرق الاستدلال والبرهنة التي اكتسبها مع ممارسته للغة فيوجه اختياره نحو السمات اللغوية البارزة التي ستستوعبها جماعته اللغوية والتي من شأنها أن تنقل كامل فكرته ومن المحال تحقيق ذلك عبر أساليب تأثيرية أخرى. وقد يتمتع بالحرية نفسها إذا انتقل إلى لغة أخرى ولكنه سيضطر في نهاية المطاف إلى أن يتقيّد أيضاً بقيود هذه اللغة.

اللغة في الخطاب في إطار الترجمة

الألفاظ: حتى تبقى دراسة الترجمة محصورة في إطارها الخاص، أي في الخطاب، لا ينبغي مقارنة الظاهر التصوري للألفاظ من لغة إلى أخرى بل طريقة الخطاب في تصنيف الألفاظ. إذا كان استخدام الألفاظ من لغة إلى أخرى لا يتوقف على تطابقها الدلالي في اللغة، فما ينبغي تحديده هو ما تقوله على انفراد كل من هاتين اللغتين، الإنجليزية والفرنسية على سبيل المثال من أجل إفهام

الخطاب، لا ما تعنيه الألفاظ الفرنسية بالإنجليزية أو الألفاظ الإنجليزية بالفرنسية.

لا أحد يعترض للوهلة الأولى على أن اللفظة الإنجليزية (height) تعني (hauteur) بالفرنسية أي ارتفاع، ولكن الجميع يلاحظ أنه للإشارة إلى المفهوم (depth) (of a tank) تستخدم اللغة الفرنسية لفظة (d'une cuve) (hauteur) أي عمق (الصهريج). سنستقي بعض الأمثلة التي وردت معنا في المؤتمرات الدولية لنبيّن السمة الإيجازية للفظة التي تسمي الشيء بذكر أحد جوانبه وطريقة اللغات المختلفة في انتقاء سمة مختلفة للفظة في الخطاب، فبالنسبة إلى عبارة (offshore drilling) تستخدم اللغة الفرنسية (forage en mer) أي التنقيب في عرض البحر لأن التنقيب يتم في آن معاً بعيداً عن الشواطئ، وفي عرض البحر. وهكذا تكون التسمية المختلفة في كل من اللغتين مقتضبة في كل منها. تستخدم الإنجليزية (outlet) في مقابل اللفظة الفرنسية (prise de courant) أي مأخذ التيار، وبالتالي تدل إحدى اللغتين على نهاية المدار الكهربائي والأخرى على بداية مدار آخر ولكن كلتاهما تحتويان على فكرة المدارين. هذا وتشير أقسام المحاسبة في شركة فرنسية إلى الأفراد الذين تتعامل معهم بـ (comptes fournisseurs) و (comptes clients) أي حسابات الموردين وحسابات العملاء بينما تشير أقسام الفرع الإنجليزي للشركة إلى العملية باستخدام (accounts payable) و(accounts receivable) أي الحسابات الواجب دفعها والحسابات المرتقب دفعها.

إذا قارنا بين اللغتين، لاحظنا كم أن السمات اللغوية البارزة في كل منهما تتكاملان: فالشيء المستهدف والمشار إليه في المقارنة بواسطة وجهين من أوجهه يصبح أكثر وضوحاً لمن لا يلم بالموضوع، يكمن الشرح في التعادل المشترك القائم بين حسابات

الموردين والحسابات الواجب دفعها! ثمة مثال آخر:

(stick electrode) = أي إلكترود مغلّف (Electrode enrobée) أي لوح الإلكترود: تسمي الفرنسية المفهوم ككل باختيارها الوجه المشترك الكامن في طريقة الصنع، بينما تشير الإنجليزية إلى النتيجة التي تم الحصول عليها (l'épaississement) أي التكثيف بالنسبة إلى الإلكترود الكهربائي السلكي (wire electrode)، راتنجي/ صمغي (Résineux = softwood) الخشب اللين، إذ إن خشب الصنوبر هو خشب ليّن يفرز نسغاً لزجاً. إن التجاور الدلالي للمصطلحات الفرنسية والإنجليزية حتى ولو ساهم في تدقيق الوصف لا يفي بكل المواصفات، فالألمانية تستخدم من جانبها «Nadelholz» (أي ذات الإبر).

(montre bracelet) = (يد) أي ساعة معصم (Wrist watch) أي ساعة سوار: بالنظر إلى اللغة الإنجليزية توضع الساعة في المعصم من دون التدقيق في الوسيلة بينما تركز اللغة الفرنسية على فكرة أن الساعة مزوّدة بوثاق. مثال آخر بالنسبة إلى زارعي الشمندر: تتحدث الفرنسية عن (des planteurs) أي الغارسين الذين يطمرون في التربة بينما تقول الإنجليزية (growers) أي المنبتون. أما عند صانعي البسكويت فتكون المواد (perishable) أي عرضة للفساد بالنسبة إلى الناطقين بالإنجليزية بينما هي (altérables) أي عرضة للتلف عند الناطقين بالفرنسية: وعملية التلف يتم تصورها بالكامل في الحالتين، ولكن إحدى اللغتين تشير إلى بداية العملية والأخرى إلى نهايتها.

مؤخراً وقعت على مصطلح (hand held scanner) أي أداة يدوية فاحصة المقابل للمصطلح الفرنسي (crayon lecteur) أي مقرأة كهربائية وهو عبارة عن أداة الكترونية جديدة وضعت تحت تصرف أمناء الصناديق في المتاجر الكبرى، تسجل وتقرأ في آن معاً سعر البضائع على اللاصقة.

لا أنوي هنا أن أقيم مقارنة عامة بين الأساليب المفضلة المستخدمة في الخطابين الفرنسي والإنجليزي لتسمية الأشياء، فالأمثلة التي أدرجتها هنا على طريقة فيناي وداربلنيه في الأسلوبية المقارنة ما هي سوى وسيلة لتصوير المقولة القائلة إن اللفظة في الخطاب تشير إلى شيء ما من دون أن تقوم بوصفه كاملاً: تكون هذه اللفظة ناقصة، غير كاملة، في كل لغة ومختلفة من لغة إلى أخرى ومع كونها ناقصة ومختلفة، فهي تنقل المفهوم ذاته أو الشيء ذاته في الكلام.

وعليه، فكيف لا نستخلص من كل ما سبق أنه ينبغي لنا، كي ننقل بأمان المفهوم ذاته أو الشيء نفسه من لغة إلى أخرى، أن نجد ما يدل على هذا الشيء أو هذا المفهوم في اللغة الأخرى دلالةً مباشرةً لا أن نترجم دلالة اللفظة التي تستخدمها اللغة المصدر.

صحيح أن اللغة تعبّر عن مجموع الشيء أو المفهوم، ولكن من سماتها الأساسية (وهذا ما يمكن التحقق منه في كل لغة وفي اللغات كافة) أن تسمي سمة منه فحسب، ففي مختلف اللغات تم وضع استعمالات مختلفة لانتقاء هذه السمة بدلاً من تلك للتعبير عن الأشياء أو المفاهيم. وما ينطبق على اللغة ينطبق كذلك على الخطاب، ولابد حينئذٍ أن نتعلم كيف نجد في كل لغة الدلالة السديدة أي تلك التي تنقل المرسَلة وليس تلك التي تذكر السمة نفسها للفظة.

السمات السديدة: وعلى غرار السياق اللفظي الذي يكتنف اللفظة ويساهم في تحديد دلالتها تاركاً جانباً دلالاتها المحتملة، فإن السياق المعرفي للخطاب يستبعد بعض السمات الدلالية للألفاظ من ضمن دلالاتها المحتملة المستنبطة من السياق اللفظي، ولا يجلي سوى السمات السديدة قياساً للمفاهيم المذكورة. ينبغي لعملية الترجمة أن تتقيّد بذلك، وإلا فقد نتوصل إلى نمط من الترجمات سيلي الحديث عنه.

في نيسان/ أبريل 1975 أوردت برقية من وكالة الأنباء الفرنسية هذا الخبر:

«Le tribunal de grande instance de Bonn a interdit, vendredi 18 avril, à l'ancien chancelier Willy Brandt, président du parti social démocrate, de continuer à affirmer que M. Franz-Josef Strauss, chef des chrétiens-sociaux, avait qualifié la R.F. A. de «*porcherie*»».

«منعت المحكمة الابتدائية لمدينة بون بتاريخ 18 نيسان/ أبريل، المستشار السابق ويلي برانت، رئيس حزب الاشتراكيين الديموقراطيين، من مواصلة إصراره على أن السيد فرانز ـ جوزيف شتراوس رئيس المسيحيين الاشتراكيين قد وصف جمهورية ألمانيا الاتحادية «بحظيرة الخنازير».

حرصت البرقية على الإدلاء بالمصطلح الألماني الذي استخدم (Saustall). إن السمة الدلالية المحققة في الأصل للفظة الألمانية هي الفوضى والتهاون والتبذير... والدلالة الضمنية للفظة مهينة. وكلاهما يمكن إدراجهما في لفظة (bordel) مثلاً في الفرنسية أي ماخور التي لا تفرض مفهوم (lupanar) (المرتبط بجانب آخر من ظاهره التصوري) بالقدر الذي لا تفرض لفظة (Saustall) مجموع دلالتها اللغوية. ولنلاحظ أيضاً أن النص يتحدث عن (Saustall) وليس عن (Schweinestall). إن اختيار (Sau) بدلاً من (Schein) لا يستلزم هنا مفهوم الأنثى بل يرد ليدعم السمة الأساسية ـ (Saustall) أقوى وقعاً من (Schweinestall)!

وبالتالي، يسمح السياق بفهم السمة الدلالية السديدة، ولابد لمن يقوم بالترجمة من أن يعيد وضعها في اللغة الأخرى باستخدام لفظة من شأنها أن تبرز هذه السمة السديدة وحدها، دون غيرها. ولا تبلغ المُرسَلة الأصلية هدفها تماماً إلا بظهور السمة السديدة للفظة وحدها دون غيرها في اللغة الأخرى. صحيح أن (Saustall) تعني

حظيرة الخنازير ولكن المفهوم المستهدف في الخطاب كان يستدعي استخدام لفظة مختلفة عن (porcherie).

وكثيراً ما احتدم الجدال حول النقطة التي أثرتها للتو. إذ قد يقول لي قائل: «إن السيد جوزيف شتراوس قد نطق بالفعل بكلمة حظيرة الخنازير فلا يحق لي أن أؤول كلامه، بل ينبغي أن أكون أمينة»! مع ذلك فأنا لا أترجم لغةً إنما أنا أمينة للنص، والنصوص لا تستخدم في مختلف اللغات الدلالات نفسها للإشارة إلى الأشياء ذاتها. إن إفهام الفرنسيين ما فهمه الألمان يشكل في نظري عين الأمانة وليس التفوّه بالألفاظ ذاتها، إذ مهما عبرت الألفاظ عن الشيء ذاته في اللغتين، فهي لا تعني الشيء ذاته في الخطابين.

أنا لست بصدد إعداد كتاب في الترجمة، ولا أقول إنه كان لابدّ للصحفي من أن يترجم (Saustall) بماخور، فثمة قيود متنوعة تفرض ـ في غالب الأحيان في الترجمة التحريرية أكثر منها في الترجمة الشفهية ـ أن نقوم بترجمة اللغة المسماة خطأً ترجمة «نصية». أحاول فقط أن أبيّن هنا مترتباتها، وعند قيامي بفصل اللغة عن الخطاب أقوم بتحليل أسباب فشلها[8].

(8) أتساءل ماذا يكون قد استنتج قارئ جريدة (*Le Monde*) بتاريخ 10 أيلول/ سبتمبر 1973 عند قراءته (قراءة سريعة وغير متأنية للنص) لتوضيح أرسله المستشار الألماني شميدت إلى الجريدة طالباً منها نشره نشراً نصياً (مما يفترض بالنسبة إلى نص كُتب بالألمانية ترجمةً فرنسية هي أيضاً نصية). هذا النص الذي يدعي المستشار أنه «...في قصده ومعناه الحقيقي مختلف تمام الاختلاف عن نص وكالات الأنباء التي جاءت إليها جريدتكم» هو الآتي: «Je pense, par exemple, qu'en matière de sécurité une réponse européenne commune n'est pas possible si, du côté français, on n'étudie pas à fond la question de savoir si la France peut réellement, à moyen ou à long terme, avec une chance de succès jouer un rôle indépendant».

أظن مثلاً أنه في المجال الأمني، لا يمكن بلورة رد أوروبي مشترك، إذا ما شرع الجانب الفرنسي في دراسة المسألة بعمق لمعرفة ما إذا كانت فرنسا تستطيع حقاً على المدى المتوسط أو البعيد، وبضمان نصيب من النجاح، أن تقوم بدور مستقل».

صدمت ذات مرة عندما سمعت عبارة «I am a one man's dog» الموجهة لشابة إنجليزية مغرمة بزوجها، وذلك تعليقاً على الحب الذي كانت تكنّه له، إذ كنت أسمع بصفة بدهية كلمة (chien) الفرنسية كلب في كلمة (dog) وأرى في هذا البوح موقف طاعة وخضوع أستغرب له على الرغم من أن المرأة الشابة لا توحي بذلك، فتدخّل لغة المترجم في إدراك معنى ألفاظ الخطاب الأصلي يشكل خطورة رهيبة إذ قد يقحم في لغة الترجمة، أي في نص الهدف، سمات دلالية لا وجود لها في لغة الأصل، ففي عبارة (I am a one man's dog) يرى الناطق الفرنسي أولاً فكرة الوفاء المماثلة تقريباً للفكرة الموجودة في عبارة (ne servir qu'un seul maître) الولاء لسيد واحد فحسب، فالكلب بالنسبة إلى الفرنسي أو الإنجليزي رمز للوفاء، وتنطبق لفظة الوفاء على سلوك الكلب حيال سيده، كما يمكن تطبيقها على سلوكنا في الزواج. ومع ذلك، لا يمكن أن تستخدم اللغة الفرنسية صورة الكلب للدلالة على الوفاء في الزواج من دون أن تبرز دلالة ضمنية تفيد الخضوع، وهذا ما لا تتضمنه العبارة الإنجليزية الأصلية (one man's dog)، مهما صعب على الفرنسي تصور ذلك! أن نكون قد فهمنا لفظة (dog) على أنها تدل على الكلب ـ والتقابل هنا صحيح على مستوى اللغة ـ من شأنه أن

=

وفي ما يلي نص وكالات الأنباء الذي شرع في تصحيحه: «Une réponse européenne commune n'est pas possible si, du côté français, on ne se demande pas sérieusement si la France peut réellement, à moyen ou à long terme avec une chance de succès jouer un rôle».

«إن رداً أوروبياً مشتركاً ليس ممكناً إذا كان الجانب الفرنسي لا يتساءل بجدية ما إذا كانت فرنسا تستطيع حقاً، على المدى المتوسط أو الطويل، أن تقوم بهذا الدور مع نصيب من النجاح».

عند مطالعتنا للنص، نشعر بالحيرة ونقول إن الأجانب من غير الفرنسيين يعبرون عن أنفسهم بغموض... والأجدى أن نتساءل ما هو موضوع الترجمة: أهو اللغة أم المعنى؟

يخلق في الخطاب تأثيراً مغايراً لذلك الذي يخلقه النص الأصلي.

ولذا نادراً ما يمكننا استخدام الألفاظ ذاتها من لغة إلى أخرى للتعبير عن السمات الدلالية نفسها، من دون أن نتعرض لخطر إبراز سمات غير سديدة في لغة الوصول، لا وجود لها على الإطلاق في لغة الأصل.

في الآونة الأخيرة، تم تركيب غرفة تصوير ذات علامة أمريكية في زاوية الشارع الذي أسكن فيه. كنت ذات يوم أحتاج إلى صور هوية. أردت أن أدرج القطع النقدية في الشق المُخصص لها ولكنني عَدَلت عن ذلك حين رأيت الإشارة الضوئية (en marche) «تشتغل»، وظننت أن الآلة بصدد تحميض صور، وأكد ظني هذا وجود مجموعة صغيرة من الشباب يقفون إلى جانب غرفة التصوير، فانتظرت لحظةً حتى تتغير الإشارة قبل أن أتحقق من أنها كانت تعني: (en état de marche) في الخدمة، فاللفظة الأولى (en marche) هي ربما ترجمة اللفظة الإنجليزية (working) (إنها ترجمة سيئة مادمت لم أفهم الإشارة!) في ما بعد، لمحت على آلات صرف التذاكر في محطة المترو إشارة (en service) في الخدمة، وهكذا شاع الاستعمال في اللغة وأصبح مفهوماً.

لا شك في أن الدلالة المحتملة المقصودة بـ (to work) تعني (marcher) يشتغل، فعلى صعيد اللغة، التقابل موجود، ولكن استعماله في عملية التواصل لا يؤدي تلقائياً إلى فهم القصد.

العبارات الجاهزة: على الرغم من خبرتي الطويلة في الاجتماعات الدولية فإنني مازلت أدهش من تباين طرق التعبير عن الأشياء لدى المتحدثين باللغات المختلفة. يمكنني أن أورد حالات

عديدة عبّر فيها الإنجليز عن أمر ما بطريقة تختلف عن تلك التي لجأ إليها الفرنسيون. يكفي شاهداً على ذلك ما يجري مناقشته أثناء اجتماعات تدوم من خمس ساعات إلى ست ساعات متواصلة، وتتناول نقاطاً دقيقة للغاية. ولكن أين نضع الخط الفاصل بين حرية التعبير التي يتمتع بها المتحدث ومزاجه الخاص وميوله اللفظية والقيود التي تفرضها اللغة التي يتحدثها لكي يكون كلامه واضحاً؟ كيف نبيّن انطلاقا من بعض الحالات الملموسة عدم تلاؤم التقابل (correspondance) في اللغة مع التعادل (équivalence) في الخطاب؟ كيف يمكن أن نبرهن بشكل حاسم، وذلك أياً كان اقتناعنا الشخصي بصحة ما نقول والمستند إلى سنوات طويلة من المراقبة، أن نظم أقوال الخطاب يتقيد بالضرورة بقواعد تختلف من لغة إلى أخرى؟

لربما تخرجني العبارات الجاهزة من هذا المأزق، فهي تؤكد أن في ما يقول السيد «سميث» عبارة ما في مناسبة معينة، سوف يقول السيد «دوران» الشيء نفسه بطريقة مختلفة تماماً، ويعزى خيار كل منهما لأساليب تعبير مختلفة إلى القيود التي تطبع كل لغة في طريقة نظمها للأقوال. وتكشف هذه القيود منطقاً ما و«عبقرية اللغة» التي تتحكم في وضوح الكلام.

إن العبارات الجاهزة هي عبارات وسيطة بين اللغة والكلام، فنصفها ينتمي إلى اللغة لأن معناها ليس في طور التشكل بل محدد مسبقاً، ونصفها الآخر ينتمي إلى الكلام لأنها تقول فكرةً وليس معنى محتملاً. إنها صيغة هجينة بين الجملة النحوية والطابع الشكلي لوحدة المعنى، وهي تتسم باقتران مجموعة من الدلائل اللسانية بفكرة ما اقتراناً ثابتاً. وبفضل ترسخها في اللغة تساهم في تبديد أي أثر لشبهة الابتكار الفردي. ونظراً إلى أنها تعبّر عن فكرة فهي تندرج في الخطاب.

حين تدل العبارات الجاهزة كالأمثلة والأقوال المأثورة على الفكرة ذاتها في لغات مختلفة، يمكننا أن نلاحظ أنها لا تتشكل من الألفاظ ذاتها. تتجلى هنا الظاهرة التي قمنا بتحليلها بالنسبة إلى الألفاظ وهي طابع القول الإيجازي، والتمايز في نظم القول في مختلف اللغات، فالناطق بالإنجليزية يتساءل (What came first, the chicken or the egg?) أيهما خلق أولاً، الدجاجة أم البيضة؟. في حين يتحدث الناطق بالفرنسية عن (la poule ou l'œuf?) الدجاجة أم البيضة؟. تطرح اللغتان على نفسيهما ذات المشكلة الباطلة ولكنهما تستخدمان منطقاً مختلفاً في التعبير اللغوي.

(A bird in the hand is worth two in the bush) - (un tiens vaut mieux que deux tu l'auras)

عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة: هنا الصور هي التي تختلف.

(You can't have your cake and eat it): (On ne peut pas être et avoir été)

لابدَّ من التضحية بشيء للحصول على شيء آخر - ليس كل ما يتمناه المرء يدركه. إنه التعبير الأقرب في الفرنسية للإشارة إلى فكرة مماثلة في عبارة مأثورة. يقال أيضاً في بعض المقاطعات الفرنسية:

(Manger le jambon et garder le cochon)

أو

(Vouloir le beurre et l'argent du beurre)

يمكننا إيراد المزيد من الأمثلة التي تبيّن أن اللغات تختار سمات مَمَيَّزة تختلف من لغة إلى أخرى للتعبير عن فكرة واحدة. ووجوه الاختلاف هذه عميقة لدرجة أنها أثارت لدى شعوب ناطقة بلغات مختلفة اتهامات متبادلة بمخالفة المنطق. هكذا يتهم الفرنسي اللغة الإنجليزية «بمخالفتها للمنطق» إذ هو يرى أنه لابدَّ من أن نحصل على قطعة الحلوى أولاً قبل أن نستطيع أكلها. ويتهم

الإنجليزي بدوره اللغة الفرنسية إذ لا يتصور كيف يمكننا ترك أماكن للجلوس للمسنين (Céder des places assises)، إلى ما هنالك.

هذه الاتهامات المتبادلة هي اتهامات غير موضوعية، ولكنه يمكن تفسيرها، فمنطق التعبير الخاص بكل لغة يتكيف مع عادات دلالية تعود أحياناً إلى زمن بعيد في تاريخ كل لغة، كما يعتمد على نماذج لخيار السمات البارزة وتجميعها، نكتسبها بطريقة حدسية مع اللغة بحيث تبدو لنا أنها منطقية لا تقبل المجادلة: فخيار الطابع الدلالي المباشر الذي يدل على الفكرة بمجملها يندرج دوماً في إطار المنطق الخاص بجماعة لغوية ما، فالتعبير الخاص بفرد دون سواه، والأكثر جدارة لنقل مقصد خاص والأكثر اتساماً بأسلوب بليغ وفن خطابي خاص بمتحدث ما، يتناسق أيضاً وفي الوقت نفسه مع عبقرية اللغة التي نشأ عليها. خلاصة القول، تثبت لنا العبارات المأثورة أن لغتين اثنتين لا تكرسان أبداً أو بالكاد الصيغة نفسها للتعبير عن الفكرة نفسها.

هذا واختزال مشاكل الترجمة في مشاكل لغوية قد يعني نظرياً العمل كما لو أن اللغات عبارة عن شفرات لا تستطيع أن تعبّر إلا عن دلالات مقررة سلفاً. على صعيد الممارسة، قد يدفعنا ذلك إلى نقل المرسَلة نقلاً ناقصاً إن لم يكن خاطئاً، فكل من يخلط بين المرامزة والترجمة لا يرى أن الترجمة هي الخطاب وأن اللغة لا تحتوي إلا على دلالات سابقة للمعنى، بينما الخطاب هو المعنى في صيرورته. وعليه، يمكننا رصف حروف أبجدية ما بحروف أبجدية أخرى، كما يمكننا إيجاد تقابل بين العبارات الجاهزة. ولكن لا يمكننا القيام بذلك بالنسبة إلى وحدة المعنى فهي لا تقيم علاقة تعادل سابقة الوجود في لغة أخرى، كما لا تقترن على نحو ثابت بصيغة ما في لغة الأصل.

إن الترجمة لا يمكنها أن تكتفي بالدلالات المحددة في اللغة كما لا ترضى عن ترابط غير سديد للأفكار لا يسمح إلا بتحقيق معنى افتراضي محتمل غير مؤكد. إن الدلالات المثبتة في اللغة سابقة للخطاب، ولا تزودنا إلا بمؤشر واحد من بين مؤشرات أخرى عديدة للإشارة إلى الدلالات الحقيقية التي يتسم بها الكلام. ومع ذلك، فإن الخطاب أياً كان (وليس خطاب الشاعر أو الكاتب فحسب) تنبثق منه على نحو دائم كلمات معروفة مشحونة بدلالات جديدة وجمل مألوفة تتضمن معنى مستحدثاً.

وضوح الترجمة

«أنت رجل ثري جداً» (You are a very rich man)، هكذا تفوّه ياباني ذات يوم مخاطباً صاحب مصنع فرنسي إثر المأدبة الفاخرة التي أقامها هذا الأخير على شرفه. وكان الفرنسي وللأسف يتقن الإنجليزية كفايةً، بحيث إنني لم أضطر إلى ترجمة العبارة المألوفة «شكراً لكرم ضيافتكم»، وهذا ما كنت سأفعل في أي مناسبة أخرى، متيقنةً من أن الضيف الياباني (الذي لم يكن يتقن جيداً الإنجليزية) كان يترجم حرفياً عبارة الشكر المستخدمة في اليابان، فباختياره هذه العبارة كان يشير إلى سمة خاصة بالمناسبة التي تسنى له معايشتها معللاً سببها أو شارحاً إياها، في الوقت الذي تستدعي اللغة الفرنسية نظماً مغايراً للقول كالتذكير بالصفات القلبية للمضيف وحسن ضيافته وكرمه، وهو تعليل ثانوي، ولكنه أكثر لياقةً في الفرنسية من ذكر صفة الثراء (الحرجة نوعاً ما). مع أن الفكرة في مجملها هي نفسها في الحالتين، غير أن التلفظ بقول يبقى عادة مضمراً في لغة ما قياساً إلى الفكرة العامة واستخدام سمة بارزة تختلف عن تلك التي ألفناها في اللغة، من شأنه أن يعوق الفهم. وبالفعل، فقد اضطرب صاحب المصنع الفرنسي شيئاً ما من عبارات الشكر التي وجهها له ضيفه الياباني.

إن قواعد اللياقة والاصطلاح العرفي الاجتماعية والثقافية التي تؤدي هنا دوراً في خيار سمة بدلاً من أخرى تقيّد اختيار الألفاظ المناسبة في نظم القول اللغوي، ففي المناسبة التي أشرنا إليها تصبح عبارة (Thank you ever so much) أو أي صيغة مجاملة أخرى بالإنجليزية هي التي يفرضها بداهةً العرف الاجتماعي والثقافي.

كثيراً ما يسأل التراجمة ما إذا كانوا يلطفون من حدة بعض الأقوال الفظة أو حتى البذيئة التي يتم تبادلها أحياناً في الاجتماعات الدولية. وبغض النظر عن أنه قد نسيء فهم دور الترجمان إذا اعتقدنا أنه من صلاحيته التدخل في المعنى الذي قصده المحاور[9]، لابدَّ من أن نعي أن الترجمان الذي ينقل الجملة «أنت رجل ثري جداً» بـ «شكراً لكرم ضيافتكم» ينقل الفكرة ذاتها تماماً بكلمات تحمل الدلالات الضمنية نفسها التي تحملها الكلمات اليابانية بالنسبة إلى آذان يابانية، فهو بذلك يلتزم الأمانة تجاه معنى المفهوم والمعنى العاطفي الانفعالي اللذين أراد الياباني التعبير عنهما فنقلهما الترجمان.

إن نقل المعنى في لغة الوصول يعني توضيحه على هذين المستويين وإفهامه من دون أن نجعل ما كان واضحاً ضبابياً أو ما كان لائقاً محل سخرية.

وحتى نكون منصفين تجاه نص حرّر وفقاً لعبقرية لغة المصدر ينبغي أن تحرر الترجمة بدورها وفقاً لعبقرية لغة من سيقرأها. هنا تكمن من دون شك المشكلة العويصة التي تتعثر بها الترجمة التحريرية والشفهية: إن إعادة التعبير في لغة الترجمة لا تجعل دوماً النص المنقول مقروءاً أو الخطاب المترجم واضحاً.

---

(9) الترجمان «يقوم بعملية التواصل من خلال المشافهة» يُلبِس المفردات والأقوال دلالة سديدة إذ لا يمكن تصور طريقة أخرى في التزام الأمانة تجاه المحاور، ولا يمكن نقل المعنى بخلاف ذلك، بيد أن الترجمان يمتنع عن التأويل أو إبداء رأيه الخاص.

كما ينبغي الإقرار بأن الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية لا تشكوان وحديهما من التداخل وإقحام الدخيل في التعبير. يكفي أن نرى عدد الباحثين الفرنسيين المنكبين على مطالعة المنشورات الأمريكية والذين يقحمون التعبيرات الاصطلاحية التقنية أو العلمية التي وردت بالإنجليزية كما هي إلى الفرنسية. وكم من متحدثين بلغات عديدة يكادون ينسون التمييز بينها عندما يشرعون بالكتابة فيها أو التحدث بها. وعليه، إذا كانت الترجمة بالفرنسية لا تتطابق مع قواعد هذه اللغة، فقد يؤدي ذلك إلى تعثر التواصل بين النص وقارئه أو بين خطاب الترجمان ومستمعه. ولا شكَّ في أنَّ وضوح الكلام أهمّ بالنسبة إلى الترجمة الشفهية منه إلى الترجمة التحريرية، إذ إن المستمع لا يمكن أن يستنجد بالنص كما هو الحال بالنسبة إلى النص المحرر الذي نقوم بسبره لنستنفد موضوعه، ولكن نادرة هي النصوص التي يمكننا التأني فيها كما قد تثير ترجمة غير واضحة اشمئزاز القارئ أيضاً. وبالتالي، يمكن اعتبار الوضوح في الترجمة شرطاً ضرورياً يجب أن يتوفر كي تضطلع الترجمة التحريرية بوظيفتها.

خلاصة القول، يصبح الوضوح في دقة المعنى هو الهدف المنشود بالنسبة إلى الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية.

مع ذلك، لا يكفي أن يكون الكلام صحيحاً بالنظر إلى المقاييس حتى يكون واضحاً، لابدّ له، بالإضافة إلى ذلك، من أن يكون مطابقاً لعبقرية اللغة، لابدّ للأفكار من أن تتآلف مع أقوال يطابق نظمها منطق لغة التعبير. وبالتالي، حتى تكون الترجمة واضحة، لا بدّ من أن تكتسب بدورها صفات الخطاب. ومادام الكلام ينطوي على أفكار مستحدثة مستنداً إلى أقوال يختلف نظمها وفقاً للسياقات المعرفية التي تندمج فيها، ومادام الكلام ينبثق من

تجمع الدلائل اللغوية التي تنطلق من الفكرة، فالأمر نفسه ينطبق على الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية اللتين لن تصلا بر الأمان إلا بانتهاج الطريق نفسه.

يمكن للترجمة الشفهية ولزام عليها أن تكتفي بالتعبير عن المعنى الأصلي، بحيث يكون واضحاً مباشرةً لمستمعه، فلا يهتم مستمع الخطاب الأصلي بالكلمات التي يتفوه بها المتكلم بقدر ما لا يهتم مستمع الترجمان بتدوين عباراته، فالمستمعان في الحالتين يتقيدان بالمعنى من دون أن يتذكرا الكلمات. أما المترجم فلا يمكن أن يجعل كلمات النص الأصلي تتوارى لأن النص المصدر أمانة في عنقه ويتقيد نصه المترجَم بأشكال النص الأصلي المترسخة حتى بعد زواله، ففي العملية الترجمية عموماً، لابدَّ للمترجم من أن يجتاز مرحلة إضافية تأتي بعد إدراك المعنى وتدفعه إلى الاقتراب من الأشكال الأصلية مع التقيد بعبقرية لغة التعبير، ففي جل المجالات تسترعي حالات الإخفاق والأخطاء المرتكبة معاً الانتباه أكثر من حالات التوفيق. ولذا فأن أبرهن أن غياب المنطق في التعبير الذي تقتضيه لغة ما يساهم في تعتيم النص أسهل من أن أبين أن حضور هذا المنطق يساهم في توضيحه.

لنتمثل بمقطع من (*Der Jahrtausend Mensch*) للكاتب روبرت جونك (Robert Jungk) الذي سبق أن ذكرناه.

«Eine entscheidende Rolle in diesem Wandlungsvorgang spielte die zunächst unbeachtete, später verspottete Zivilisation-skritik der Intellektuellen. Sie weckte das Unbehagen».

في ما يلي معنى هذا المقطع:

يعزى هذا التغيّر في السلوك إلى حد كبير إلى الانتقادات التي كان يوجهها المثقفون إلى المجتمع العصري. بدايةً، لم يعر أي أهمية لهذه الانتقادات ثم أصبحت موضوع استهزاء. وفي النهاية جعلت

الجماهير تعي مدى القلق والضيق، فلننظر إلى الترجمة كما تم نشرها:

«un rôle décisif dans ce changement d'optique a joué la critique de civilisation exercée par les intellectuels et qui, avant d'être prise au sérieuse, était passée inaperçue, puis était devenue l'objet de moquerie. En fait, elle avait suscité un sentiment d'inconfort...»

«الدور الحاسم في تغيير وجهة النظر هذه لعبه انتقاد الحضارة الذي مارسه المثقفون قبل أن يؤخذ على محمل الجدّ، لم يلاحظه أحد ثم أصبح موضوع استهزاء. في الواقع، أثار شعوراً بالانزعاج».

يبدو وكأن الترجمة تمت بواسطة آلة لأن تراصف التراكيب يشبه نظيره الألماني («دور حاسم في تغيير وجهة النظر هذه لعبه»... منسوخ حرفياً من (Eine entscheidende Rolle in diesem Wandlungsvorgang spielte). وكأن مترجماً ليس فرنسياً قد قام بهذه الترجمة إذ لا يمكن لعبارة (un rôle décisif dans ce changement d'optique a joué la critique) أن تعني بالفرنسية (la critique a joué un rôle décisif) كان للانتقادات التي وجهت دوراً حاسماً، أخيراً، يبدو أن الترجمة تمت من قبل شخص لا يفقه الترجمة لكثرة ما بدا النص بأكمله متعثراً كالقول مثلاً: (la critique... devenue l'objet de moquerie). «انتقاد الحضارة أصبح موضوع استهزاء». ومع ذلك، عندما أضاف المترجم الألفاظ (avant d'être prise au sérieux) «قبل أن يؤخذ محمل الجد» التي لا وجود لها في الأصل حرفياً، أثبت أنه أدرك المعنى إذ فهم أن بين اللحظة التي (Zivilisationskritik) كانت (verspottete) واللحظة التي كانت (wechkte das Unbehagen) انقضى وقت حتماً كانت فيه مسموعة، فإذا كان ظاهر القول في النص الألماني لا يشير إلى ذلك، فإنه يحتوي على الفكرة بصفة مضمرة. وبما أن المترجم يقوم بإظهار المضمر أمكننا التأكيد أنه

استوحى من المعنى ليقوم بترجمته. كما يمكننا أن نلاحظ وللأسف أنه ظل حبيس التراكيب الأصلية. حتى المترجم العادي، (أي ذلك الذي يترجم إلى لغته الأم نصاً حرّر في لغة هو متمكن منها بقدر ما هو متمكن من الموضوع المعالج) قد يواجه صعوبة في التعبير بوضوح عن معنى النص، فشتان ـ أحياناً ـ بين المترجم الذي فهم شخصياً المعلومات التي ينبغي نقلها وطريقته في التعبير عنها، ثمة حجاب يساهم في تضليل المترجم فيصرفه عن تبين آثار التداخل الناتج عن الميزات اللغوية الخاصة بلغة المصدر بحيث يمنعه من الحكم على ترجمته الخاصة كقارئ، فهو لا يدرك أن ما كتبه على الورقة لا يعني تماماً ما يدور في ذهنه.

حين نقوم بكتابة نصنا الخاص، يمكننا بكل سهولة تجنيد وجداننا وتصورنا للتعبير الصائب وذلك بالتناوب وفي آن معاً، فيصبح وضوح التعبير رهن وضوح الأفكار. أما أثناء الترجمة، نحن ندرك المعنى الذي يستخلص من النص وصواب ما نكتب. ونتحقق بسهولة من أحدهما بالعودة إلى النص الأصلي ومن الآخر بالعودة إلى السطور التي كتبناها للتو، ولكن حين ننغمس في عمل الترجمة، حين نكون مشبعين بالمعنى عبر النص الأصلي، من الصعب على ما يبدو أن نحكم على مدى وضوح المعنى في الترجمة بدرجة حكمنا على وضوحه في النص الأصلي. قد نعتقد أننا قادرون على التعبير عن أنفسنا بوضوح من دون أن نعي أننا لم نعتق المعنى الذي فهمناه كفايةً من شكله الأجنبي، فنلبسه نوعاً من القناع في لغة الترجمة يمنع القارئ من استكشافه. ولن نتمكن من الحكم على وضوح المعنى إلا بعد أن نكون قد نسينا النص الأصلي. وليس عبثاً أن يطبق المترجمون سر المهنة القاضي بترك ترجمتهم ترتاح أياماً قبل مراجعتها، فمواطن التعتيم والهراء الناتجة أحياناً عن عدم الفصل بين اللغتين فصلاً كافياً غير مدركة تماماً من قبل صاحبها الذي يترجم

على مستوى اللغة نظراً إلى أنه فهم المعنى بيد أنه لا يعي الحيرة التي تثيرها قراءة نصه لدى كل من يجهل مسبقاً محتواه.

الأمر سيان بالنسبة إلى الخطاب الشفهي حين تكرر الترجمة نظم الأقوال كما في الأصل. سنعطي كمثال ما قالته مرشحة في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين (ESIT) أثناء امتحان في الترجمة الشفهية من السويدية إلى الفرنسية:

(La construction d'une autoroute entre Stockholm et Malmö qui passerait par Hälssingborg entraverait la circulation)

«إن تشييد طريق السيارات السريع بين مدينتي ستوكهولم ومالمو عبر مدينة هالسينغبورغ من شأنه أن يعرقل السير».

قطّب أعضاء اللجنة من غير الناطقين باللغة السويدية حواجبهم إزاء ما اعتبروه هراء. صحيح أنهم لا يعرفون تماماً موقع مدينة هالسينغبورغ الجغرافي على غرار زملائهم الإسكندينافيين، إنما يصعب عليهم أن يتصوروا أن الطريق السريع قد يعرقل السير. أما أعضاء اللجنة الذين فهموا النص الأصلي فقد شرحوا لنا أن «جعل الطريق تمر عبر هالسينغبورغ قد يبطئ السير ويجعله أقل انسياباً مما لو كان خط الطريق مباشراً». وهكذا فالصياغة غير المتماسكة بالفرنسية كانت واضحة تماماً في اللغة الأخرى...

وبالتالي، لا يمكننا أن نقر بأن «ما ألممنا به إلماماً جيداً أمكننا التعبير عنه بوضوح» إلا إذا كانت نقطة التقابل بين الفكر والكلام غير متأثرة بأي تداخل للغة أجنبية. إن وضوح الفكرة لا يفضي إلى وضوح الكلام إلا إذا كانت معرفة آليات الترابط اللفظي المكتسبة بصفة تلقائية والممارسة منذ نعومة الطفولة غير معرقلة بأساليب لغة أخرى. وهذه التلقائية التي نحن بصددها هي سمة من سمات إتقاننا للغة ما. كما أن وضوح المرسلة هو وقف على المنطق الذي يختار

به المتكلم سمة التعبير عن الكل. هذا المنطق في طريقة التعبير عن الأفكار يتشبع به الأطفال في المرحلة المدرسية الأولى، حيث يتلقون مبادئ القراءة والكتابة، بمعنى التعبير عن أنفسهم لكي يفهموا. إلا أن المنطق هذا يختلف من جماعة لغوية إلى أخرى، فاختيار السمات البارزة التي يجريها شخص ما يتحدث لغته تختلف عن تلك التي يختارها شخص آخر يتحدث بلغة أخرى للتعبير عن الفكرة ذاتها، بحيث إن الترجمة المباشرة للقول الأصلي غالباً ما تشكل تداخلاً بين اللغات على مستوى نظم الأقوال.

حين أؤكد أن الصواب اللغوي لا يكفي لنقل المعنى وأن الترجمة إذا توخت المقروئية والوضوح، ينبغي أن ترتكز على المعنى، فأنا أخاطر إذ قد يجيبني البعض أن المترجم، وهو مجرد وسيط، لا يحق له أن يفسر مقصد المؤلف، وأن فهم المعنى هو شأن المرسل إليه أكان سياسياً أو مسؤولاً فنياً أو عالماً أو تاجراً أو أن المترجم قد يثير البلبلة إن أعطى روايته الخاصة للأمور بدلاً من أن «يترجم».. إنني أتفق مع كل ذلك، ولذا لا أنوي أن أشبه الترجمة بعملية تأويل لمعنى النص، فالترجمة تأتي في المرحلة التي تسبق التأويل، هي تؤوّل النص ولكنها تنقل المعنى، المترجم الذي يقرأ النص الأصلي هو قارئ كغيره: يفهم النص بكل مضامينه، لكنه حين يترجم يكتفي بالتعبير عن معنى القول حتى يجعل المرسل إليه يعثر على جل المضامين التي وجدها هو كمترجم في النص الأصلي، وبذلك يحافظ على احتمالات التأويل كافةً لحساب المرسل إليه النهائي. وبالتالي، فإن من الضروري أن نفرق بين تأويل النص وتأويل المعنى، بين إعادة تشكيل المعنى عينه وأقلمته في أشكال مختلفة من جانب واستبدال مقصد آخر بالمقصد الأصلي. بالفعل، فإن المرسل إليه الجاهل للغة المصدر والقواعد المنطقية لنظم الأقوال فيها لا يستطيع أن يفصل بين ما هو نسخ في لغته

لمنطق التعبير الخاص بلغة المصدر التي يجهلها وما ينتمي لمقصد المتكلم، وعليه غالباً ما يجد نفسه في وضع يتعذر عليه فيه تفسير معنى أقوال محاوره لعدم توفر ترجمة واضحة. كم من مرة دهشت خلال الاجتماعات من الطريقة السيئة التي يفهم بها المحاورون المعنى، وذلك لأن المعنى لم يكن يردهم بوضوح في لغتهم.

إن غموض بعض الترجمات مضلل أكثر من غياب الترجمة التام، إذ إن المستمع غالباً ما ينسب غموض قول ما يستجيب شكله الخارجي للمقتضيات الصرفية والنحوية للغة إلى تقاعس المتكلم وليس إلى غياب المنهجية لدى الترجمان أو المترجم.

ذات يوم، باح صناعي ألماني بهذه الأقوال لأحد مساعديه: (Es ist so die französische Art durch die Blume zu reden)، (إنـــــــه أسلوب في التعبير خاص باللغة الفرنسية الحريصة على تجنب الجرح والإساءة) مدركاً بالكاد أنه كان يصغي إلى محاوره بواسطة الترجمة الفورية. ووشوش فرنسي من جانبه متوجهاً إلى مرافقيه: «لا أفقه شيئاً مما يقوله هؤلاء المتفذلكون واصفاً بذلك محاوريه الذين لم يكن ليلتمس كلامهم سوى عبر الترجمان...

تماماً كما فعل المستشار هلموت شميت الذي أكد «أنه أدلى بتصريحاته» لجريدة **لوموند** باللغة الفرنسية في حين أنه كان يتحدث بالألمانية تحديداً.

الواقع أن هذين المشاركين في الاجتماعات الدولية يخلطان بين القول اللغوي والمرسلة، من دون أن يدركا أن الترجمة بإمكانها أن تحجب المرسلة كما أن مجرد الاستماع إلى قول صائب من حيث اللغة (ألم به من دون شك المكلف بنقله) لا يعني بالضرورة أننا أصبنا المرسلة.

وبشأن الدلائل اللسانية التي يكون الارتباط فيها بين الدال والمدلول ثابتاً مستقراً، يسلم الجميع بأن اللغات تختار سمات

مختلفة لإيراد الشيء عينه. تقول الفرنسية مثلاً (j'ai froid) بينما تؤثر الإنجليزية قول (I am cold) بردت، شعرت بالبرد، والألمانية (mir ist kalt) ولن يخطر على بال أحد أن يترجم (I am cold) بـ (je suis froid)، و(We'll play it by ear) بـ ــــــــ (nous le jouerons à l'oreille) سنلعبه بالأذن، التعبير المعادل له بالفرنسية قد يكون: (il faudra naviguer à vue)، أي لابدَّ من أن نبحر على غير هدى.

بالمقابل، حين يتعلق الأمر بفكرة مستحدثة لا يوجد لها أي تعلق بصيغة لغوية ما، يفوتنا على ما يبدو أن اللغات لا تختار السمات نفسها لإيراد الأشياء عينها، وننزع إلى الاعتقاد أن الترجمة تعني إعادة التعبير عن السمة نفسها، بينما هي التعبير عن الفكرة بالتوافق مع منطق تعبير ما.

تتسم الفكرة المستحدثة بالنظم الحر الطليق القائم بين الفكرة والقول، غير أن الفاعل المتكلم لا يتخلى عن قواعد لغته في التعبير عنها، بل يتقيّد في كل دليل ألسني بالعروة الوثقى التي تربط بين الدال والمدلول، ويستخدم الألفاظ وفقاً للدلالة التي تضفيها عليها اللغة كما يتقيد أيضاً بالمنطق الذي يفرضه استخدام اللغة والذي يجعله يختار للتعبير عن الفكرة واحدة من سماتها دون غيرها، وهو بذلك يكون قد عبّر عن مغزى الفكرة بأكملها. إنه التقيّد بقواعد اللغة من جانب وبمنطق الخطاب من جانب آخر هو الذي يكفل للغير وضوح الأفكار المعبّر عنها في لغة أخرى، ففي جميع اللغات، تخرج الفكرة المعبر عنها إلى الوجود بخطاب موجز يكتفي بالسمات الدلالية الضرورية للفهم. وهذه السمات لا تتطابق بالضرورة من لغة إلى أخرى، بحيث إن ترجمة القول الذي يشير إلى فكرة ما في اللغة الأولى بدلاً من البحث في اللغة الثانية عن القول المطابق له منطقياً، لا يسمح بنقل الفكرة بوضوح من لغة إلى أخرى.

الخاتمة

لقد استشهدت في هذا المقال بترجمات وشمتها أصولها اللغوية، سمحت لنا الألمانية والإنجليزية والصينية واليابانية والسويدية بأن نلاحظ أن الترجمة الحرفية لم تكن لتطابق ما قد يتحقق عند التآلف التلقائي بين فكرة ما وتعبير يخلو من أي تأثير أجنبي.

تبيّن لنا شيئاً فشيئاً ما يميز التقابل القائم بين الفكرة التي تتبادر إلى الذهن واللغة : فالكلام الذي يتلقاه الذهن ليلتمسه يحفظ في الذاكرة المباشرة ويقترن بمعرفة سديدة ليشكل وحدة معنى. ولا تصمد وحدة المعنى هذه أمد الذاكرة الفورية ولا تترك سوى آثار مجردة في الذاكرة المعرفية. هذه الآثار هي بالتحديد الأفكار التي نلتمسها ذهنياً وبالتالي في الخطاب، فالسياق اللفظي والسياق المعرفي ونظيره على المدى الطويل أي المعرفة السديدة، قد سمح لنا جميعاً بتتبع طريقة تحول اللغة إلى خطاب. لقد شاهدنا حركة التكثف والتمدد التي تميز الخطاب بصفة عامة، المماثل في هذا لما تفعله اللغة مع الألفاظ التي تعطي سمة واحدة للدلالة على الكل، تماماً كالخطاب الذي يجمع محمولاً تصورياً أكثر اتساعاً تحت الخاصيات التي تعبر عنها بعض الكلمات. وعليه، بدت لنا الصور البلاغية كالكناية والمجاز المرسل التي نعتبرها مجرد محسنات أسلوبية جديرة بأن تميز حركة الخطاب عموماً.

ومن الخطاب انتقلنا إلى الترجمة، فالترجمة الوظيفية التي لا تسعى إلى اكتشاف آليات عمل اللغة الأجنبية بل إلى نقل المرسلة، تصنف هي أيضاً في الخطاب وتتسم بخاصيات الخطاب، فبغية نقل الأفكار، لا يمكنها أن تكتفي بنقل السمة الإضمارية التي تجعلها مفهومة في اللغة الأولى. وكي يصبح المعنى الأصلي واضحاً وجلياً،

لابدَّ لها، بعد حصره تماماً، من أن تفصله بدقة عن غلافه اللفظي الأولي، فتغلفه بالغلاف الملائم في اللغة الأخرى. ووضوح المرسلة التي تقوم بنقلها وقف على تطابق الكلام الجديد مع منطق نظم الأقوال في اللغة الثانية. وبالنهاية، المقصود كما رأينا، هو تأويل النص لنقل معناه نقلاً كاملاً سليماً، لا تأويل المعنى.

ولتعذر تعريف عبقرية اللغة وتبيان ما يستند إليه منطق نظم الأقوال، حاولت أن أبيّن ما هي العقبات التي تعرقل الوضوح والفهم في لغة ما نتيجة تداخل عادات منطقية تسود على مهارات لغة ما وهندسة جملها. استنتجت من هذا التحليل أن المنطق الذي يجعلنا نفهم ما يقال في لغة ما قد يحجب عنا الأفكار في لغة أخرى، وأن طريقة نظم الأقوال خاصة بكل لغة بينما طريقة اشتغال العقل هي نفسها عند سائر البشر.

وكي أبت بصورة جازمة في عدم تطابق نظم الأقوال في مختلف اللغات كان لابدَّ لي من أن أتحقق بفضل خبرتي الطويلة في حقل التدريس من أنّ الترجمة الفورية إذا ظلت متشبّثةً بالمستوى اللغوي للجملة أصبحت غير مفهومة ومختلة. ولا يمكن تصويب معنى الخطاب الشفهي بالكد والعناء كما هو الحال في الترجمة التحريرية، ولذلك فقد تظل الترجمة الفورية قاصرة بينما يمكن للترجمة التحريرية بعد تصويبها أن تصيب هدفها. يمكننا الاستفاضة في الكلام على أسباب القصور (شروط العمل الشاقة أحياناً، قلة توفر الوثائق التحضيرية. . . إلخ) التي تجعل الترجمة الفورية غير صائبة، لا تحقق مغزاها. إلا أن هدفي في هذا المقال هو أن أقوم، انطلاقاً من الملاحظات المستخلصة، باستنتاجات حول عملية الترجمة، بصفتها نقلاً للمعرفة وليس مرامزة، فالمرامزة هي إقامة تقابل بين لغتين على صعيدي المعجم والتركي ب، أما الترجمة

ومتى ألممنا بالمعنى إلماماً كافياً بحيث لم نعد نعتمد إلا عليه بغية إفهام النص الأصلي، فهي تقابل مباشر بين محتوى دلالي وصيغة لغوية واحدة. والترجمة الواضحة تحذو حذو نموذج التواصل الأحادي اللغة. بمعنى أنه إذا أراد فرنسي أن يعبّر عن فكرة في اللغة الفرنسية فهو لا يتساءل كيف سيعبر عنها مَجري أو ياباني في لغتيهما، كما أنه لا يتساءل ماذا سيقول شخصياً في ظروف أخرى وأمام جمهور آخر للتعبير عن الشيء عينه، إذ إن التعبير الملائم يقترن تلقائياً بالفكرة وفقاً للمناسبة التي يندرج فيها من دون أن يكون المتكلم مدركاً إدراكاً واعياً القواعد اللغوية التي تتحكم بصياغته. أما بالنسبة للترجمة التي تتبع هذا النموذج فإن اللغة تصبح عقبة لابدَّ من تجاوزها عوض أن تكون غاية للترجمة وتكمن الصعوبة الوحيدة، ولو كانت على جانب كبير من الأهمية، في الحؤول دون تسرب سمات هذه اللغة الدخيلة إلى اللغة الأخرى.

هذا وإذا كانت اللغات منعتقة من قيود التقابل اللغوي فإنها تستطيع جلها أن تعبر عن الأفكار كافةً. ومن هذا المنظور، لا شيء يتعسر ترجمته. ولم تطرح مشاكل استحالة الترجمة (intraductibilité) إلا مع مقارنة الدلائل الألسنية خارج الخطاب، وقد يكون لهذه المشاكل فائدة كبيرة في الترجمة الآلية كما أنها ترد في ترجمة النصوص بالتأكيد عندما نريد، لسبب أو لآخر، أن نحتفظ بجزء من شكلها الأصلي. ولكن لا يعود لهذه المشاكل وجود على صعيد التواصل حين ينحصر هدف الترجمة الأوحد في إفهام المرسل إليه محتوى المرسلة الموجهة إليه وهذا باعتقادنا يستجيب للقسط الأكبر من أعمال الترجمة في العالم المعاصر.

أما الجزم بوجود حصون منيعة تفصل بين بني الإنسان وترسخ مفهوم تعذر الترجمة فيمكننا العثور عليه في أدبيات كل زمان ومكان.

وهو يقوم على الخلط الجوهري بين اللغة، موضوع دراسة ووصف لدى النحاة واللغويين واستخدام هذه اللغة من قبل من يتكلمها أو يكتبها، من يسمعها أو يقرأها، فإن تركنا الترجمات المدرسية وهي تمارين قائمة على استكشاف اللغات الأجنبية، فإننا لا نترجم لغة وإنما نصوصاً وخطاباً لا غاية من ورائه إلا نقل الأفكار. والترجمة هي إيصال هذه الأفكار إلى المستمع أو القارئ الذي يجهل اللغة الأصلية وذلك باختيار الأساليب اللغوية التي تساعده على الفهم. وينبغي التحقق من وضوح المرسلة المترجمة عبر تطابقها مع الأفكار وليس مع لغة النص الأصلي. أما الممتنع عن الترجمة فيقتصر على تعذر تطابق الترجمة مع لغة النص الأصلي وأفكاره في آن معاً، إذ إن التطابق مع اللغة قد يحجب الأفكار بينما يؤدي التطابق مع الأفكار إلى التخلي عن التقيد الصارم بالأشكال الأصلية.

لا شيء يجعلنا نعتقد أن الأفراد أجمعهم غير قادرين على النظر إلى الأمور نفسها وتصور الأفكار نفسها والتعبير عنها، أياً كانت لغتهم، إن الصعوبات وتعذر الترجمة المزعوم ليست وليدة عجز اللغات عن التعبير عن الأشياء نفسها بل وليدة الاعتقاد العام المبني على الضرورة الملحة، باسم أمانة أسيء فهمها، لنقل الأقوال، ووليدة الجهود المضنية التي يبذلها بعض المترجمين للتقيد بمثل «هذا القانون الأخلاقي» غير أن الأمانة تجاه النص الأصلي تتطلب استخدام أساليب لغوية مغايرة بغية قول الشيء نفسه وإفهامه.

وفي اللغة عموماً، يتمتع المتكلم بهامش كبير من الحرية في الصياغة بالنظر إلى ما يريد قوله، ذلك أنه له ملء الحرية في أقلمة كلامه وفق الظروف ووفق مستمعيه، يختار أن يستفيض أو يقتضب، أن يكون نافذاً، حاذقاً أو فظاً، متهكماً أو مؤثراً، دقيقاً أو غامضاً، تبعاً لدوافعه أو للتأثير الذي يريد تحقيقه. وعليه، يستطيع أن يحدد

بنفسه سجل تعبيره وأسلوبه، بيد أنه إذا أراد أن يفهمه جمهوره من دون صعوبة فلابدَّ من أن يتقيد ببعض الضوابط: ففضلاً عن صواب التراكيب النحوية والصرفية، سيتقيد بمنطق الناطقين باللغة التي يستخدمها بحيث تطابق سمات الأشياء والمفاهيم التي يختارها للتعبير عن نفسه المبادىء التي تقر بها جماعته اللغوية، فإذا اختار غيرها، وإذا اختار السمات الأخرى المكرسة في لغة أخرى ساهم في تعتيم مقصده فأقام بين كلامه والمستمع حجاب اللامألوف والمستهجن في أساليب التفكير والتعبير لدى جمهور المستمعين.

وما يستحيل حدوثه في عملية التواصل بلغة واحدة حيث تداول الكلام ليس فعلاً مجانياً وحيث وحدة المعنى، أياً كانت تافهة أو مبتذلة، تتكون من التقابل بين فكرة ما وصياغة تلقائية، قد يحدث في الترجمة إذا ارتكز المترجم (وإن فهم الفكرة فهذا لا يغير شيئاً) لنقل المعنى لا على الفكرة بل على القول. والحالة هذه، يمكننا القول إن الترجمة لا تعود خطاباً عادياً كغيره من الخطابات، بل تصبح «الخطاب» الوحيد الذي تغيب عنه الفكرة، وخطاباً خادعاً لا يتحلى بالتناسق والانتظام بين عناصره. ويثير عدم التناسق والانتظام هذا، خلافاً للصور البلاغية الحاضرة في الكلام التلقائي مثل الكناية والمجاز المرسل، مشاكل فهم لدى المستمع أو القارئ. بالمقابل، حينما تنبثق الترجمة من فكرة، فهي ليست وسيلة تواصل ثمينة فحسب بل وبفضل وجهة النظر المزدوجة التي يضفيها التعبير في لغتين على الأفكار عينها، تصبح خطاباً نموذجياً يسمح أخيراً بتحليل العلاقات بين الفكر والكلام.

لا أريد هنا أن أبالغ في تقدير أهمية الترجمة في عالمنا المعاصر كما لا أريد أن أتجاهل أهميتها في ميادين عديدة غير الميادين الأدبية: التجارية، السياسية، القانونية، العسكرية... إلخ ذات

الرهانات المتناقضة وحيث سوء التفاهم والخلافات من شأنها أن تجر إلى مزالق عسيرة ـ ولكن لا يسعني إلا أن أنوه بالدور الذي يمكن للترجمة أن تقوم به، في نقلها أو حجبها. إن التفاهم بين الشعوب وليد الحوار وحده وباستثناء بعض الحالات النادرة، يمر هذا الحوار اليوم عبر الترجمة.

ماريان لودورير(*)

(*) نشر هذا المقال لأوّل مرة في مجلة: *Etudes de linguistique appliquée*, no. 24 (1976) تحت عنوان: **المجاز المرسل والترجمة** (*Synecdocque et traduction*).

من الخبرة إلى بلورة المفاهيم

سأعكف هنا على تبيان ما استخلصته من خبرتي الطويلة في الترجمة المتخصصة ومراقبتي الدقيقة لها، وأعني هنا الترجمة الشفهية، بالنظر إلى ضرورة التمييز بين اللغة واستخدامها وضرورة إعادة النظر في أسبقيتها على الكلام.

وفق مفهوم شائع بكثرة هو أيضاً مفهوم اللسانيات الأمريكية، فإن اللغة تسبق الخطاب أو كما يقال المقدرة تسبق الأداء، فالاعتقاد السائد هو أنه بعد اكتساب الاستعمال الحدسي للغة الأم، يقتصر التواصل بين الأفراد على الاستخدام الملائم للألفاظ وتطبيق التراكيب الصرفية فيستنتج ضمناً أن المعنى الذي يتم تبليغه في المحادثة ناجم عن معنى الألفاظ والأنساق النحوية والصرفية المختارة.

أؤكد من جانبي أن المعنى هو مقصد غير لغوي يكون في الذهن قبل أن يتم التعبير عنه، ويتلو تلقف الخطاب لدى المتلقي. كما أن التعبير عن هذا المعنى يتطلب اقتران فكرة غير لفظية بإشارة دلالية (كلاماً كانت أو حركة، لا يهم الشكل المحسوس الذي تظهر فيه) وأن إدراك المعنى يتطلب فعلاً متعمداً من المتلقي له، الفاعل المدرك (sujet percevant).

ومن هذا المنظور، لم نعد نرى في تنسيق الألفاظ سوى إشارات يستقيها المتكلم من اللغة أي من المعرفة المشتركة مع غيره ويميزها بالتالي المستمع ولكنها في الواقع هي بمثابة معالم كامنة في ذهن المتكلم تمهد له التعبير عن فكره كما هي وسيلة يتلقفها ذهن المستمع مرسلةً محمولةً على القول قبل أن يحولها إلى معنى.

إن خبرتي في حقل الترجمة الشفهية ثم تدريسي لهذه المادة[1] هما اللذان قاداني إلي تبني وجهة النظر هذه. وبالفعل، عندما كنت أمارس مهنتي سرعان ما لاحظت أنه في غالب الأحيان لا توجد مقابلات مقررة سلفاً بين اللغات بغية التعبير عن المعاني المستخرجة من الخطابات أو بالأحرى لا تصلح المقابلات المقررة سلفاً في اللغة كمعادلات للمعنى وأن الخطاب هو في آن ابتكار دائم وتطبيق لدلالات اللغة. ولذا، كان لابدَّ من الخروج من إطار اللغة وتجاوز مفهوم البنية العميقة التي لا تتعدى الدلالات اللغوية، من أجل الاستعانة بنموذج الترجمة الشفهية ووضع مخطط يشرح كيف يتحقق المعنى عند استخدام اللغة، أي في الخطاب أو النص.

إن المخطط التفسيري الذي اقترحته انطلاقاً من ملاحظاتي العملية لهو بسيط جداً: إذ بدلاً من العنصرين الوحيدين اللذين تطرحهما أي نظرية لسانية في الترجمة وهما لغة المصدر ولغة الوصول وعملية تحول إحداهما إلى الأخرى كمسلمة، أرى من جانبي ثلاثة عناصر: الخطاب في اللغة «س»، إدراك المعنى خارجاً عن لغة هذا الخطاب، وإعادة التعبير عن هذا المعنى في اللغة «ص» وأطرح كمسلمة أن العملية تتعلق بالفهم وإعادة التعبير عن الأفكار وليس بتحويل دلالات.

---

(1) من الأصح استخدام مصطلح ترجمة شفهية بدلاً من ترجمة إذا تعلق الأمر بنقل الخطابات التلقائية من خلال المشافهة.

كنت دائماً أوجه لطلاب المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بباريس هذه التعاليم: «صيغوا خطاباً آخر، إذا أردتم أن يفهمكم المستمع انطلقوا من الفكرة التي أدركتموها لا من اللغة المصدر».

عندما اقترحت هذا المخطط تيقنت من أنني في الواقع كنت أقترح، بدايةً، شرح مجهول هو آليات الترجمة الشفهية بمجهول آخر هو آليات الخطاب ولكنني كلما تقدمت تبيّن لي كم كانت فرضية وجود فكر مجرد من الدلالات اللغوية مثمرة لشرح كل من هذين المجهولين، ففرضية وجود فكر مجرد من الدلالات اللغوية لا يقترن باللغة إلا عند تحقيق عملية القول أو بالأحرى ما أطلقت عليه ماريان لودورير مذّاك الوجه المحسوس للمعنى أي إن المعنى لا يخرج إلى الوجود إلا محمولاً على الشكل.

كان ذلك باكورة بحث طويل واصلته في ما بعد مستوحيةً من علم النفس الوراثي لدى جان بياجيه (Jean Piaget) ودراسات حول الذاكرة لجاك باربيزيه (Jacques Barbizet) التي أتت لتؤكد فرضياتي بشكل لم أكن أتوقعه.

استطاع جان بياجيه أن يبرهن من خلال تجاربه العديدة على أن النمو المعرفي ليس منسوباً إلى الحواس وحدها كما لا ينجم عن مجرد تسجيل للمعطيات الخارجية بل إن نشاط الفاعل يكمن في تدخله الدائم لتنظيم وتركيب «ما يمكن ملاحظته» أو «معلومة ما»، معززاً بالتالي فرضيتي القائلة إن الجزء المدرك من الخطاب يخضع دائماً للتفسير بالمعنى الواسع للكلمة قبل أن يتم تفسيره بالمعنى الضيق للكلمة في اللغة الأخرى.

أما جاك باربيزيه (1964، 1966، 1975)، فقد قام من جانبه بالبرهنة على آليات الذاكرة وشرحها مؤكداً فرضيّتي المتعلّقة بوجود

فكر غير لفظي مستقل وكل ما يمت بصلة إلى اكتساب اللغة واستخدامها عامةً، ففي مداخلة قام بها مؤخراً، دقق باربيزيه النظر في العلاقة بين المنطقة الجدارية الصدغية للدماغ وهي الحاضنة للمعارف اللغوية والفصوص الأمامية حيث تندرج التجارب الحاسية أي الخاصة بالحواس والعلائقية الضرورية لبلورة خطاب ذي معنى.

إن الفرضية التي تقوم عليها أبحاثنا هي التالية: المعلومة الواردة في القول يتم تفسيرها بالضرورة من لدن الشخص الموجه له الخطاب والذي يصبح بالتالي مفسر هذا الخطاب في جميع الأحوال. هذه الفرضية المؤسسة لنظرية المعنى هي التي ينبغي أن تؤسس كذلك أي نظرية في الترجمة[2] وأي نظرية في الخطاب.

سوف أنطلق في مقالي هذا من رصد ما يتم ملاحظته في حقل الترجمة الشفهية بغية اقتراح نظرية محورها المعنى والتوصل إلى نموذج للخطاب حيث يتبلور الفكر الفردي، الذاتي، في أفكار وفي التراكيب النظمية والصواتم أي الفونيمات في آن معاً.

الترجمة الفورية

لا يهدف هذا الفصل إلى وصف أوجه الترجمة الفورية كافةً ولا إلى جرد مشاكلها. أرى مع ذلك أنه يستحسن أن أقدم بعض الأمثلة لكي أشرح كيف يمكن للترجمة الفورية أن تصلح كنموذج مبسط لنظرية الترجمة ولنظرية الخطاب في الوقت ذاته. بالفعل، فإن الترجمة الفورية هي أبسط نوع من أنواع الترجمة وأكثره شفافيةً في آن معاً.

---

(2) شرط أن نفهم هذا المصطلح على أساس أنه العملية التي تستهدف نقل مضمون المرسلات إلى المرسل إليهم.

وإذا كانت الترجمة الفورية تستجيب بشكل رائع إلى دراسة آليات الخطاب، فإنه لابدَّ من أن يستمد التفاعل اللفظي أي الحديث المتبادل (échange verbal) الخاضع للدراسة من الواقع وأن نضمن أن الترجمة الفورية تقوم بوظيفتها على أحسن وجه، ألا وهي السماح للمتحاورين بفهم بعضهم بعضاً. وإذا أردنا تجنب خيبات الأمل لعدم اختيارنا السديد لموضوع الدراسة فلابدّ من أن يتوفر لدينا هذان الشرطان. ولطالما قصّرت الترجمة الفورية في مهمتها ولذلك لا ينبغي أن نقصر بدورنا للتعريف بها تعريفاً دقيقاً ونستند إلى فرضيات يتعذر التحقق منها عند تناول دراستها، فحين يتناقش المتحاورون في لغات عديدة من دون سوء تفاهم ينسب إلى الترجمة، حينها فقط نستطيع أن نستثمر بصورة مفيدة أشرطة التسجيل ونحلل بدقة الخطابين، الخطاب الأصلي وخطاب الترجمة مع الاحتمال المعقول أننا سنستخلص نتائج يمكن تعميمها. هذا ولا يمكن تحديد الآليات المؤسسة لأي مهارة إنسانية تحديداً صحيحاً من دون أن نتحقق مسبقاً من نجاح الوظيفة التي تزعم الاضطلاع بها.

وسأكتفي هنا بثلاثة أمثلة عن الترجمة الفورية ولكن الاستنتاجات التي سأستخلصها من تحليل بضع ثوان من الكلام تتواءم مع الملاحظات العديدة التي قمت بها خلال خبرتي الطويلة التي دامت عشرين سنة.

سيبّين المثل الأول التمييز الذي ينبغي القيام به بين ما أسميه المعنى الخاص بالقول الخطابي والدلالة أو المدلول المرتبطين بالجملة في اللغة. سنجد فيه المكوّن التصوري للتواصل. أما المثل الثاني فسيقدم المكون الانفعالي للغة ويسمح لي أن أبين العلاقة بين ما هو شعوري وما هو لا شعوري في التواصل، فاستعمال اللغة ليس نشاطاً واعياً، شعورياً. وقد نوه بذلك رومان جاكوبسون وغيره من

المفكرين العديدين من قبله، بيد أنه لم يتنبه أحد حتى الآن إلى أن الجانب اللا شعوري في إطار عملية التواصل يترافق لدى المتكلم مع إدراك لمعنى غير لفظي وبالتالي تم إهمال العلاقة بين هذا المعنى غير اللفظي أي الذهني والدلالات اللغوية التي تتجسد في شكل صوتي أو بصري.

أخيراً، يسمح لنا المثل الثالث بأن نبين العلاقة بين المحتويات المعرفية سابقة الوجود لعملية التواصل والأقوال اللغوية المستخدمة في إطار عملية التواصل هذه. وخلافاً للرأي السائد الذي يذهب إلى أن الترجمة هي تمارين تدور حول اللغة ولا أهمية فيها للمعارف إذا كانت لا تتعلق بالمعارف اللغوية، نلاحظ أن المعنى المنسوب إلى الأشكال الصوتية التي نتلقفها هو وقف على المخزون المعرفي غير اللغوي وعلى الدلالات المكتسبة مع اللغة في آن معاً. وكثيراً ما تؤدي الإخفاقات في عملية الترجمة إلى إظهار طريقة اشتغال الآليات الخاضعة للدراسة، فالترجمة التي تضل هدفها وتخطىء فهم الدلالات اللغوية البسيطة لأن المترجم لا يملك المعارف غير اللغوية الضرورية لفهم المعنى، تبين لنا أهمية هذه المعارف في إنجاح التواصل.

الأمثلة الثلاثة التي سأقدمها مستخرجة من مائدة مستديرة فرنسية أمريكية حول الطاقة النووية نظمتها المجلة الأسبوعية الفرنسية **الإكسبرس** (*L'Express*) في نيسان/ أبريل 1975. وأقر بالفضل للمجلة التي سمحت لي بالحصول على أشرطة التسجيل، الأصل (إنجليزي وفرنسي) والترجمة الفورية (فرنسي وإنجليزي). كان المتحاورون من جانب صحافيين من مجلة **الإكسبرس** ومن ضمنهم (بيار سالينجر) (Pierre Salinger) المعروف بكفاءته المزدوجة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ومن جانب آخر مهندسين من شركة كهرباء فرنسا وأعضاء من جمعية أصدقاء الأرض وعلماء أمريكيين في الفيزياء النووية

وممثلي شركة (وستينغهاوس) ومن ضمنهم مدير عام قسم المفاعلات النووية ذات الاحتراق بالماء الخفيف الذين لم يكونوا يفهمون الفرنسية والذين كانوا بحاجة إلى الترجمة الفورية.

نحن نعلم أنه في نهاية 1975، أي بعد انعقاد هذه المائدة المستديرة ببضعة أشهر، وقّعت المفوضية الفرنسية للطاقة النووية اتفاقاً مع المجموعة الأمريكية (وستينغهاوس) ينص على تنفيذ برنامج مشترك لتطوير مفاعلات ذات احتراق بالماء الخفيف، مما كان يعني أن الجانب الفرنسي ينوي التخلي عن سلسلة النووي المسمى «غرافيت ـ غاز». وقع النقاش بين (وستينغهاوس) ومجلة الإكسبرس في زمن كانت تجرى فيه مفاوضات تجارية بين الطرفين ولم يكن الاهتمام الذي كانت توليه شركة (وستينغهاوس) للاتصال بالرأي العام الفرنسي آنذاك مجرد اهتمام أكاديمي.

عند الاستماع إلى أشرطة التسجيل يتضح أن الترجمة الفورية قد اضطلعت بمهمتها على أحسن وجه إذ لم يته النقاش في أي لحظة، لم ينزلق ولم يسر في طريق مواز. لم ألاحظ أي سوء فهم ينسب إلى الترجمة خلال مدة النقاش المتحمس الذي تجاوز ثلاث ساعات تقريباً. هذا لا يعني أن الترجمة الفورية كانت دوماً خالية من الأخطاء، بل إن الاستماع الدقيق للأشرطة يبين العديد منها ولكنها ليست ذات أهمية لأنها لا تعرقل تبادل الكلام الذي كان يجري بسرعة وبدقة.

اخترت أن أقتطع خمس دقائق وستاً وأربعين ثانية، سيلي ذكرها، من النقاش الذي دار أكثر من ثلاث ساعات، وسأستخرج ثلاثة مقاطع نموذجية لإظهار مدى إسهام الترجمة الفورية في شرح آليات اللغة. اخترت تداخلات بالإنجليزية بغية تحليل ترجمتها إلى الفرنسية وأشرت إلى المتحاورين بالحروف الأبجدية ويسعى تقديم المقاطع التي تم تحليلها إلى ترجمة مؤثرات اللغة الشفوية على أحسن وجه، أما في ما تبقى فلم أضع سوى علامات وقف تقريبية

لأنه من الصعب، من دون شرح إضافي، أن نعرض لحالات التردد أو تغيّر النبرة أو إيقاع الخطاب التلقائي.

A. - Let's assume for the minute that the Western developed world was to cut back tomorrow its consumption of energy to a level now present in the underdeveloped world. Let's assume...how long would that extend the life of the known fossil reserves of petroleum in your judgement? That's the first of my questions.

B. - If all of the industrialized nations of the world cut back to essentially zero, it would add if the rest of the world grew at its current rate, which it should be, even greater than, to bring about a good standard of living, it would give us about 25 years more use of fossil fuel.

C. - Was that your question? That is, you assume that the underdeveloped world would continue to increase? Or would remain at its present level?

A. - Well, actually I was assuming that the underdeveloped world remains at its present level and the developed world cuts back to the level of the underdeveloped world.

B. - In that case it would last far longer. The United States uses energy at the rate of about five times the rest of the world, so if everybody went down by a factor of five it would last five times longer.

A. - If I can follow up with my line of thought, (1^er EXEMPLE) I don't think there's anybody in this room that thinks that the Western world is going to cut back its consumption of energy...hem...to the level of the underdeveloped world, so that...even accepting that thesis, the available supplies of fossil fuel are limited and are going to run out some day.

My second question therefore is: Is there any other form of energy today conceivable, any price conceivable, that can replace petroleum or coal later on, or gas later on, as a form of energy for the world?

B. - In my opinion there is not. Obviously coal will do more than oil because there is more coal. But in the United States, if from today we mine all the coal we can mine, which means going to... from six hundred million tons a year to one billion two hundred million tons a year by nineteen eighty five, if we build all

the nuclear plants we can build and if we do not increase the amount of oil we import and get all the oil out of the ground of the United States we can, we will not be able to maintain our economic growth, our unemployment will exceed twelve percent and probably will not return to ten percent till after nineteen ninety. And we have to do that regardless of what we do with nuclear, we have to double the amount of oil by nineteen eighty we imported last year in order to survive economically in the United States. Otherwise we'll have a ten percent average unemployment over fifteen years and our social institutions won't stand that.

Now, if we maximize the use of nuclear, we can cut back to the domestic oil only by nineteen ninety; that's as soon as we could begin to have energy independence; And that would enable that oil to be used in other parts of the world, to be used for petrochemicals, medicines, fertilizers and what have you. And therefore we just have a problem, even if we have nuclear. And we only use the oil a lot faster than we should because we didn't move earlier.

C. - I assume that what the force of your question is: what about solar, what about geothermal, what about fusion: Wasn't that basically what you were asking? Well I think each of us has his own estimates on the matter. As I say, during the year I was in Washington, it was my job partly to look into these matters as best as I could. And I think that we'll try to utilize everything we have. (3^{e} EXEMPLE) *Now, with respect to fusion, fusion is just a great idea, except that it does have radioactivity associated with it. It has some limitations on fuel because one of the major fuels of fusion, at least as we now conceive it, is lithium and lithium is not all that abundant, it is about as abundant as uranium.* (2^{e} EXEMPLE) *But the most important difficulty with fusion is that we don't know whether it will ever work. Now there's some that say it will work and there's some that say it won't work. I don't think that anybody can really tell at this stage whether it will ever work.*

Now, I think that we should be pushing as hard as we can. See, we're spending a billion dollars in the United States in the next five years trying to get it. As far as geothermal...

المثال الأول مستخرج من تدخل (A) الذي يحاول في مجادلته أن يبرهن على أن اللجوء إلى الطاقة النووية أمر محتوم لا مفر منه،

نظراً إلى أن مصادر الطاقة المتجددة (مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والطاقة الحرارية الأرضية) لا تكفي ولن تكفي في المستقبل لتلبية الحاجات الإنسانية، بينما المصادر التقليدية (كالفحم والنفط والمصادر المائية. . . إلخ) في طور النفاد، فإذا أراد العالم الغربي ألا يرجع ثانية إلى مستوى المعيشة الذي كان عليه في الفترة ما قبل الصناعية، فلابد من أن يلجأ حتماً إلى الطاقة النووية. وفي المقطع الذي يلي، يجيب المحاور (A) بصفة مباشرة متدخلاً فرنسياً كان يوصي بالتخلي عن شتى أشكال التبذير التي تشهدها مجتمعاتنا الغربية ولاسيما تبذير الطاقة.

الترجمة العربية	الترجمة الفورية الفرنسية[3]	الأصل
لا أعتقد أن أي شخص في هذه القاعة يتصور أن العالم الغربي سيخفض من استهلاكه للطاقة، على كل حال ليس بالمستوى الذي نشهده حالياً في العالم المتخلف. . .حتى ولو قبلنا بذلك كاحتمال وارد. . . بقي أن الاحتياطيات محدودة ولابدّ من أن تنفد يوماً .	Je ne pense pas que quiconque ici présent pense que le monde occidental va réduire sa consommation d'énergie, en tout cas pas au niveau qui est celui à l'heure actuelle du monde sous-développé... et même si nous acceptions ceci comme un cas de figure... il n'en reste pas moins que les réserves sont limitées et finiront par s'épuiser.	I don't think there's anybody in this room that thinks that the Western world is going to cut back its consumption of energy... hem... to the level of the underdeveloped world, so that...even accepting that thesis, the available supplies of fossil fuel are limited and are going to run out some day.

إن الأصل الإنجليزي لهو مثال سديد للشكل الذي يتحلى به الخطاب عندما لا يكون محضراً سلفاً، إذ تتخلله علامات التردد

(3) يستغرق قول هذا المقطع 19 ثانية بينما استغرقت ترجمته 21 ثانية.

ولحظات التوقف الحاضرة دوماً حين تقترن فكرة بشكل لفظي ما كما تتخلله التراكيب الخاطئة نحوياً والتي تميّز التعبير التلقائي. وكأن المتكلم يسير في اتجاه ثم يصحح منطق برهنته. تزدحم البراهين والحجج في ذهنه. أحد هذه البراهين الباطنية لا يظهر كاملاً، وهو رفض الطاقة النووية والتمسك في آن بمستوى المعيشة نفسه، ومع ذلك، ثمة فكرة أخرى حاضرة في الوقت نفسه: لابدَّ من أن نجد مصدراً بديلاً للطاقة مادام الوقود الأحفوري لن يدوم إلى الأبد. الفكرتان تصطدمان في منتصف الطريق عند تحقيق القول الأول (even accepting that thesis) «حتى لو قبلنا بذلك كاحتمال وارد»، يشير إلى التصحيح المنطقي في الوقت الذي يبيّن اختيار كلمة «احتمال وارد» أن المتكلم يعي أنه في صدد الجواب على الحجة التي تقدم بها مستجوبه الفرنسي، فالنقاش واقعي ليس وهمياً.

أما الترجمان فيتابع المتكلم ويقوم بالتصحيح المنطقي ذاته في اللحظة التي ينعطف فيها الاستدلال: (et même...si nous acceptons ceci comme un cas de figure... il n'en reste pas moins...)

«وحتى لو قبلنا بذلك كاحتمال وارد...بقي أن...».

ولكن حيث تقوم الإنجليزية بهذا التصحيح بين (thesis) «الاحتمال الوارد»، و(available supplies) «المصادر المتوفرة»، بلحظة صمت طويلة كفايةً حتى لا يزعجَ المستمع غياب الاتساق النحوي بين جزأي الجملة، تعيد الترجمة المقابلة (Il n'en reste pas moins) «بقي أن»، هذا الاتساق بواسطة عبارة صريحة وواضحة.

أما التقديم المتزامن[4] للخطاب الأصلي والترجمة الفورية الذي

(4) كل سطر من هذا المقطع يعادل ثلاث ثوانٍ من الكلام. إن وسائل الطباعة العادية لا تسمح لنا بإحداث مطابقة تامة ولذا لابدَّ من اعتبار أن بضع ثوان تقريباً تفصل بين الألفاظ الفرنسية والإنجليزية التي نُطقت في الوقت نفسه.

أبينه في ما يلي فقد يمثل مجرى العمليات الحقيقي عن كثب. إذا قاربنا الخطاب وترجمته سطراً سطراً فسنتحقق من تجسد حركة العمليات الدماغية المركبة التي تبني في كل لحظة معنى ما عبر فك رموز الدلالات اللغوية وتحويلها إلى وحدات ذات معنى.

a) I don't think there's anybody in this room
dans laquelle je m'étais lancée

التي انطلقت فيها

b) That thinks that the Western world is going to
Je ne pense pas que quiconque ici présent

لا أعتقد أن أي شخص في هذه القاعة

c) Cut back its consumption of energy...hem...to the level of the
pense que le monde occidental va réduire sa consommation d'énergie

يتصور أن العالم الغربي سيخفض من استهلاكه للطاقة

d) Underdeveloped world so that...even
...en tout cas pas au niveau qui est celui à l'heure actuelle

على كل حال ليس بالمستوى الذي نشهده اليوم

e) Accepting that thesis...the available
du monde sous-développé...et même si nous acceptions ceci

وفي العالم المتخلف. . .وحتى ولو قبلنا بذلك

f) Supplies of fossil fuel are limited and are going to run out some day
comme un cas de figure...il n'en reste pas moins

كاحتمال وارد، . . .يبقى

g) The second question therefore is...
que les réserves sont limitées et finiront par s'épuiser

أن الاحتياطيات محدودة ولابد من أن تنفد يوماً

نطق المتكلم بالجملة الإنجليزية الأولى (a) في الوقت الذي انتهى الترجمان من ترجمة الفكرة السابقة، فهذه الأخيرة لا تهمنا هنا كما لا تهمنا بداية الجملة الإنجليزية في (g) التي تشير إلى بداية

فكرة جديدة، فأنا أنسخها هنا لأبين تواصل الخطاب والترجمة الفورية اللذين اقتطعت منهما هذا المقطع.

سنحاول أولاً أن نرى لماذا ينبغي التحدث عن إعادة تعبير الأفكار وليس عن ترجمة الجمل في ما يتعلق بالترجمة الفورية، أي هذا الخطاب الموازي الذي يجري على وتيرة الكلام التلقائي مع تأخير يستغرق بضع ثوانٍ فقط قياساً على الأصلي، فلنلاحظ أن الجملة (b) (quiconque ici présent...) «أي شخص في هذه القاعة» تعادل (a) (anybody in this room...) ولنلاحظ أن (d) (en tout... cas pas...) «على كل حال ليس...» تصور لنا لحظة التوقف والمحاكاة الصوتية (*hem*...) الدالة على التردّد في الجملة (c). كما أن الجملة (f) (cas de figure...) «كاحتمال وارد...» تعبّر عن (thesis) في الجملة (e). صحيح أن (cas de figure) «احتمال وارد» لا تعبّر عن الدلالة الضمنية القوية التي تتضمنها مفردة (thesis) لمن سمع المستجوب الفرنسي ولكن التعبير الذي تم اختياره جدير بالاهتمام لأنه يعبّر تماماً عن الجانب الافتراضي المحض للوضع المشار إليه والناجم عن الإصرار (الفكرة التي تم التشديد عليها في بداية المقطع) في بداية المقطع. أخيراً (réserves...) «احتياطيات» في (g) تشمل المعنى المُضمر للفظة (combustibles fossiles...) «الوقود الأحفوري» التي تعبّر عنها الإنجليزية بصريح العبارة في (f)، فالوقود الأحفوري كان منذ بداية المداخلة محور النقاش ولذا مفردة «احتياطيات» تكفي لتحقيق الفهم، فبالنسبة إلى كل الحالات التي أشرنا إليها، نلاحظ من جانب أن الدلالة في اللغة تترك المعنى يتقدمها في الكلام، فهي تولي للمعنى الأولوية في الكلام، ومن جانب آخر يمكننا أن نتتبع مدى تفاعل الترجمان مع الخطاب وفهمه له، علماً بأن فهمه يتقاطع حتماً مع فهم أي مستمع ولكن في حالته الخاصة يكون هذا الفهم ظاهراً جلياً إذ يعيد قول ما فهمه في اللغة الأخرى.

وعليه، يفضي التدقيق في الترجمة الفورية إلى استنتاجين. أولاً، من الأجدى أن نميز بين اللغة والخطاب وبين الدلالة اللغوية للجمل ومعنى الأقوال، فمجموعة الأقوال المنتظمة في الخطاب تستمد معناها من الدلالة اللغوية على قدر ما تستمد معناها مما تم فهمه لدى المتفاعل معها والمصغي إليها. ثانياً، لابدَّ من تفحص طبيعة ما تم فهمه، أي معرفة ما هي ظروف ولادته. لاشك أنه تجسيدٌ لآثار تذكرية خلفتها البراهين والحجج السابقة في ذهن من يتلقف الخطاب ويستوعبه. وعليه، تتبين لنا وظيفة «السرد» على حد قول الألسني بنفينيست (Benveniste) وهي التخزين المتتالي في الذاكرة للأفكار الواردة في الخطاب ومن شأن هذا التخزين أن يزود كل جملة يسمعها الترجمان بمعنى مختلف عن ذلك الذي تتزود به بواسطة الدلالة اللغوية وحدها في غياب أي سياق.

ثمة مثال ثان مستخرج من مداخلة (c) يبيّن لنا طريقة التأثر بالسمات الانفعالية، فهذه السمات حاضرة دوماً في الخطاب حتى ولو تعلّق الأمر بمجادلة واقعية كما هو الأمر في المثال الآتي. سنقدّم هذا المقطع بصفة متزامنة بواقع ثلاث ثوان تقريباً للسطر الواحد. تتطابق بداية الجملة الإنجليزية (a) مع لحظة توقف لدى الترجمان نشير إليها بخط منقوط، أما نهاية الترجمة الفورية في الجملة (f) فتتطابق مع بداية الفكرة التالية للمتكلم الأمريكي.

a) But the most important difficulty with fusion[5]

....

b) is that we don't know whether it will ever work! Now, there's some

mais la difficulté essentielle de la fusion

(5) استغرق قول هذا المقطع 17 ثانية فيما استغرقت ترجمة المقطع 16 ثانية.

لكن المشكلة الجوهرية في الانصهار

c) that say it will work and there's some that say it won't work

C'est qu'on sait pas si ça marchera; on sait pas du tout si ça marchera... Y en a

هو أننا لا نعرف إذا كان سينجح، لا نعرف مطلقاً إذا كان سينجح . . . هناك من

d)......... I don't think that anybody can really tell

qui disent oui puis y en qui disent non... je ne peux pas m'imaginer

يقول إنه سينجح ومن يقول أنه لن ينجح . . .لا يمكنني أن أتصور

e) at this stage whether it will ever work

que quiconque à l'heure actuelle puisse dire

أن أحداً يستطيع أن يقول حالياً وبكل يقين

f) I don't think that we should...

avec certitude que ça marchera

أنه سينجح.

عندما نرى الجمل مكتوبة بينما هي في الحقيقة جمل منطوقة، يصعب علينا أن نتخيل سرعة هذه الترجمة وهي أسرع من إلقاء شفوي متوسط إذ تم هنا لفظ حوالي خمسين كلمة أي ما يعادل 190 كلمة في الدقيقة بينما يبلغ متوسط سرعة الكلام التلقائي حوالي 150 كلمة في الدقيقة. وخلافاً لما قد نعتقد، فإن هذه السرعة لا تنسب لببغائية تكتفي بانزلاقات صوتية من الإنجليزية إلى الفرنسية (كما هو الحال عند الانتقال من (control) بالإنجليزية إلى (contrôle) بالفرنسية). إن إعادة ترتيب الترجمة الفورية قياساً إلى الخطاب الأصلي واضحةٌ جداً ونورد مثالاً على ذلك في ما يلي:

الترجمة	الترجمة الفورية الفرنسية	الأصل
لا يمكنني أن أتصور أن أحداً يستطيع أن يقول حالياً وبكل يقين إنه سينجح.	«Je ne peux pas m'imaginer que quiconque à l'heure actuelle puisse dire avec certitude que ça marchera»	«I don't think that anybody can really tell at this stage whether it will ever work»

وكذلك بالنسبة إلى كلمة (oui) «إنه سينجح» في الجملة (d) التي تترجم (it will work) وكلمة (non) «لن ينجح» التي تترجم (it won't work).

من البديهي أنه قياساً إلى السرعة التي أشرنا إليها لا يسمح تحليل البنى اللغوية بالتوصل إلى هذه الترجمة الخالية من الببغائية إذ لا يمكن تفسيرها إلا إذا أدخلنا مرحلةً ذهنية غير لفظية بين القولين اللغويين، القول الذي يتلقفه الترجمان بصفته مستمعاً والقول الذي يتفوه به بصفته متكلماً والتقابل بين الكلام والفكر والفكر والكلام وحده يتم بهذه السرعة. وهذا الاستنتاج يفرض نفسه بوضوح أكبر حين ندقق في الطريقة التي أعيد فيها التعبير عن السمات النغمية: ففي الجملة (b) يبيّن المتكلم ريبه بقوة مشدداً على قوله (WE DON'T KNOW WHETHER IT WILL WORK!) (إن نقل الجملة كتابياً لا يجعلنا نتحقق للأسف من النبرة المعبّرة جداً هنا) ثم يغيّر المتكلم سجله اللغوي قائلاً: (...THERE'S SOME THAT SAY) وهنا تتغيّر فوراً نبرة الترجمان بعد لحظة توقف بسيطة فنسمعه يقول بنبرةٍ ترفع الكلفة في الجملة (c) « c'est qu'on sait pas... » (هو أننا لا نعرف). هذا التعبير العامي ينجم من عامية الجملة الإنجليزية التي لا تزال حاضرةً في مسمع الترجمان فتنطبق في الواقع مسبقاً على الجملة الفرنسية، إلا أن نبرة الإصرار في الخطاب الأصلي تُرجمت أيضاً على شكل تكرار ورد بنبرة حادة كما في الجملة (c): (on sait: on

pas du tout si ça marchera) «لا نعرف مطلقاً إذا كان سينجح». صحيح أن هذا التكرار هو نوع من الإطناب قياساً إلى الدال الأصلي ولكنه يتقيد بالأمانة تجاه السمات النغمية، فالتعبير (there's some) في الجملتين (b-c) يجد في الجملة (d) ما يعادله في اللغة y en a) qui disent) «هناك من يقول». مرةً أخرى تجد السمات النغمية في الجملة (d) التي نطقت بنبرة شديدة (CAN REALLY TELL) ما يعادلها من حيث المفهوم والمعبّر عنه لفظياً: puisse dire AVEC) CERTITUDE) «يستطيع القول وبكل يقين».

إذا ما قارنا بين الطريقة التي ترجمت بها السمات النغمية في الخطاب الأصلي والطريقة التي أعيد بها التعبير عن بقية عناصر الخطاب، فإننا نلاحظ أن طريقة ترجمة السمات النغمية أوضح تعبيراً عن أن الترجمان لا يمكن أن يدرك كل عنصر من العناصر المعبّر عنها في القول ثم ينتقل إلى البحث عن تعبير ملائم: فالوقت المتاح له لذلك قصير جداً. يتفاعل الترجمان مع الخطاب الأصلي فيتلون تعبيره بشتى سماته النغمية والانفعالية وهذا شبيه بما يحدث في الكلام التلقائي حين نختار للتعبير عن أنفسنا هذه النبرة بدلاً من تلك، هذا السجل اللغوي بدلاً من ذلك أو طريقة التعبير هذه، من دون أن يكون اختيارنا نابعاً من استحضار واع لوسائل التعبير الممكنة. المعنى وحده حاضر دائماً في الذهن. والرغبة في التعبير عنه هي الحافز الذي يحثنا على تعبئة وسائل التعبير المتاحة في اللغة الأم والتي تساهم في نقله مثل السمات النغمية وحدة الصوت والسجل اللغوي... إلخ. ثمة لعبة معقدة بين ما هو مدرَك ـ ونقصد المعنى والأفكار التي ينبغي التعبير عنها ـ والأفعال المحركة للكلام التي أصبحت منذ زمن طويل أفعالاً لاواعية همها فحسب إحداث تأثير من حيث المفهوم والانفعال وهنا تضطلع الترجمة الفورية بدور العدسة المجسمة للتعبير عنها فتبين تفاصيل يستعصي على العين المجردة رؤيتها.

وكمثال أخير سنرى خطأ في الفهم ارتكبه الترجمان: اخترت قصداً هذا المثال لأنه يبين تماماً كيف أن غياب المعارف من شأنه، بالسرعة التي يتم فيها الكلام، أن يؤدي إلى تحوير فهم صيغة لغوية تكون دلالتها اللغوية واضحة جداً في حد ذاتها. مع ذلك، بقي المعنى غير مفهوم بمعزل عن المكمل المعرفي الملائم له.

يقول المتكلم (c) مباشرةً قبل الجملة التي تعرضنا لها في المثال الثاني:

«Now with respect to fusion, fusion is just a great idea, but it does have radioactivity associated with it; it has some limitations on fuel because one of the major fuels of fusion, at least as we now conceive it, is lithium and lithium is not all that abundant, it is about as abundant as uranium».

«En ce qui concerne la fusion, c'est une idée remarquable, mais il ne faut pas oublier que la radioactivité est aussi un problème de la fusion. Le combustible n'est pas non plus illimité car c'est le lithium que l'on envisage à l'heure actuelle pour le procédé de fusion et le lithium n'est pas aussi abondant que l'uranium».

في ما يخص الانصهار إنه لفكرة رائعة ولكنه يجب ألا ننسى أن النشاط الإشعاعي هو أيضاً مشكلة من مشاكل الانصهار. كما أن الوقود لا يتوفر بكميات غير محدودة إذ إننا نفكر حالياً في الليثيوم لعملية الانصهار والليثيوم لا يتوفر مثل اليورانيوم.

يكمن الخطأ في الجزء الأخير من الجملة:

...one of the major fuels of fusion, at least as we now conceive it, is lithium, AND LITHIUM IS NOT ALL THAT ABUNDANT, IT IS ABOUT AS ABUNDANT AS URANIUM.

C'est le lithium que l'on envisage à l'heure actuelle pour le procédé de fusion, ET LE LITHIUM N'EST PAS AUSSI ABONDANT QUE L'URANIUM.

إذ إننا نفكر حالياً في الليثيوم لعملية الانصهار والليثيوم لا يتوفر مثل اليورانيوم.

إن الخطأ الذي يجعل الترجمان يقول «والليثيوم لا يتوفر مثل اليورانيوم» هو معبر للغاية لما يحدث في حالة التواصل الشفوي، فلو أتيح للترجمان الوقت الكافي لتحليل القول على مستوى البنى اللغوية لما تبينت لنا الصعوبة التي كان من شأنه أن يواجهها ولبدا الخطأ جسيماً للغاية، ففي حالة التواصل الشفوي التي ينبغي فيها أن نفهم بالوتيرة نفسها التي تتقدم فيها السلسلة الكلامية، نجد تجسيداً لظاهرة دائمة بقدر ما هي قليلة الوضوح وهي أن المعارف تأتي لتدعم الإدراك في عملية ذهاب وإياب مستمرة، فما ندركه هو وقف على ما نعرفه. هذا صحيح بالنسبة إلى اللغة التي لا نميّز بناها إلا عندما نرتكب خطأً في التعبير ونحاول تصحيحه جزئياً ويصح ذلك أيضاً بالنسبة إلى الخطاب الذي لا يمكن أن نفهمه إلا لأننا نستطيع أن نقرن العناصر المعرفية التي نبني بها المعنى بالدلالات اللغوية. في المثال المشار إليه سلفاً تعذر إدراك العنصر اللغوي بغياب العنصر المعرفي الملائم له. ومن البديهي أن الترجمان كان يجهل العلاقة الكمية بين موارد اليورانيوم وموارد الليثيوم. هذا ما يفسر أن الفكرة الأولى (fusion has some limitations on fuel) ثم (lithium is not all that abundant) قد تغلبت لديه على إدراك (it is about as abundant as) إدراكاً صحيحاً.

عسى أن تكون الأمثلة القليلة التي رأيناها سلفاً قد بينت لنا من جهة تعقد الظواهر المنظمة لفعل الكلام الأبسط ومن جهة أخرى المنهجية التي نطبقها لتوضيح طبيعة الخطاب الخاصة. إن التفاعل اللفظي الذي يمارس يومياً وعلى كل المستويات يبدو بسيطاً إلى هذا الحد من حيث التعبير والفهم لدرجة أنه تم إهماله لصالح التحليل الأدبي والخطاب النفساني. وهذا خطأ في رأينا فإذا دققنا في التفاعل اللفظي لاحظنا أنه مهم بمقدار الخطاب المنمق والمتكلف ناهيك عن أنه يمكنه أكثر من غيره أن يفسر لنا آليات عمل اللغة.

كتب جان بياجيه في مؤلفه **الوعي** 1974 :

«... أي إدراك للواقع الخارجي تصاحبه دوماً عملية تحليل وتمييز.. .هذه العملية (بمعنى مرحلة بناء المفاهيم لشكل محسوس لفظياً كان أو مصوراً) تؤدي في النهاية إلى حسن التكيف، بين الفرد وبيئته... وتشكل من وجهة نظرنا وعي الفرد: فمن دونه يظل الإدراك - وإن كان إرادياً - على مستوى بسيط، متلاشياً وعابراً».

إن الدراسة المعمقة لآليات الترجمة تسمح لنا بتتبع طريقة تكوين مفاهيم الأشكال الصوتية الخاصة باللغة الأولى من خلال التعبير عنها في اللغة الثانية، فاللحظة الوجيزة التي يكون فيها كلام الآخر حاضراً في ذهن الترجمان تطلق لديه إدراكاً للمعنى وهو ما يطابق بالفعل الاستيعاب وليس التلمس، فبينما أصبح استخدام اللغة لدى البالغ فعلاً لاإرادياً سواء أكان ذلك أثناء التكلم أو أثناء التلقي، فإن «تكوين مفهوم ما لشكل... لفظي»، أي المعنى الذي يتم بناؤه عند تلقي المرسلة لهو فعل إرادي يمكن التدقيق فيه بفضل إعادة التعبير عنه في اللغة الأخرى.

نظرية المعنى في الترجمة

يصف إرنست جونز[6] (Ernest Jones) في كتابه **حياة فرويد** الطريقة التي كان يترجم بها فرويد (Freud) قائلاً:

«In the first part of the year (1880), Freud was able to cope with the boredom (of military service) by devoting himself to translating a book by John Stuart Mill, the first of five large books he translated. It was congenial work, since he was specially gifted as a translator.

Instead of laboriously transcribing from the foreign language,

(6) مذني بهذا الاستشهاد ر. نيزيس وله الفضل: Ernest Jones, *The Life and Work of Sigmund Freud*, vol. 1, p. 61.

idioms and all, he would read a passage, close the book and consider how a German writer would have clothed the same thoughts -a method not very common among translators. His translating work was both brilliant and rapid»[7].

ماذا كان يحدث عندما يقفل فرويد كتابه بعد قراءة مقطع ما؟ كانت تحدث الظاهرة التي تعطينا في نظري مفتاح آليات اللغة: كانت الأشكال اللغوية للنص الأصلي تتلاشى مفسحةً المجال لإدراك المعنى وحده.

وماذا كان يحدث عندما كان فرويد يلبس الأفكار الأجنبية رداءً لغوياً ألمانياً؟ كان يتناول أفكار الآخر وكأنها أفكاره ويعيد التعبير عنها بالطريقة نفسها التي كان سيعبّر بها عن أفكاره الخاصة. وعليه، يصبح تعبير فرويد مطابقاً لعبقرية اللغة الألمانية لأنه تعبير تلقائي لا يسعى سوى إلى ملاءمة المعنى، مما يجعل القارئ الألماني يستمتع بصياغة شفافة.

لماذا كان فرويد يتناول كل فقرة على حدة بينما كان بإمكانه أن «يسرد» أحداث الكتاب إذا كان هدفه تجنب «نقل الجمل بمشقة»؟ لأن الخطاب يتألف من وحدات معنى ينبغي للمترجم الأمين لتسلسل الفكر الأصلي أن ينقلها جميعاً، فإذا تجاوز فرويد طول «مقطع» ما كان من شأنه أن يخاطر فيغفل جزءاً من المضمون، وإذا بقي على مستوى الجملة الواحدة كان من شأنه ألا يتجاوز مدى الذاكرة الشكلية (التي نسميها أيضاً الذاكرة المباشرة أو قصيرة المدى) المؤلفة من سبعة إلى

---

(7) كان فرويد يقاوم ضجر الخدمة العسكرية في بداية عام 1880 بترجمة كتاب لجون ستيوارت ميل، وهو أحد الأجزاء الخمسة الكبيرة التي كان عليه ترجمتها. كان فرويد يتمتع بموهبة كبيرة في الترجمة وكان العمل ممتعاً للغاية في نظره. وبدل أن ينقل صيغ اللغة الأجنبية بمشقة ويتوقف طويلاً لدى كل تعبيراتها، كان يقرأ مقطعاً ويقفل الكتاب ثم يكتب نصه متسائلاً أي رداءٍ كان ألماني سيلبس الأفكار نفسها وهذه منهجية قلما استخدمها المترجمون مع أنها كانت تعطي نتائج سريعة ومتميزة.

ثمانية دلائل. كان من شأنه عند ذلك الوقوع تحت سلطة دلائل اللغة الأصلية فيقوم بنقل مدلولاتها، وهذا النقل الذي يسم لغته بصيغ اللغة الأجنبية ويخالف بالتالي مقاييسها، تكون نتيجته الحتمية حجب فكر المؤلف، فالمسافة التي كان يأخذها فرويد بينه وبين النص كافية لتحرير الآليات المعرفية الضرورية لتفادي الترجمة الحرفية.

تقابل هذه المنهجية تلك المطبقة في الترجمة التعاقبية. وهي نمط من أنماط الترجمة الشفوية أطلقتها عصبة الأمم قديماً ولا تزال سائرة المفعول رغم انتشار الترجمة الفورية، ففي الترجمة التعاقبية، ينقل الترجمان الخطاب في لغة ما بعد أن يكون قد سمعه بأكمله في لغة أخرى، فهو لا يحفظ الصياغة الأصلية ولا يدوّن سوى الأفكار. وعليه، فإن نقله يصب في مصب «السرد» منه أكثر مما يصب في مصب التكرار. وإذا تمت مقارنة هذا السرد بالخطاب الأصلي تبيّن الفرق المحتمل قيامه بين نقل الدلالات من لغة إلى أخرى والكلام - أو التدوين - اللذين يعبّران عن الأفكار بصفة تلقائية عند التقابل المباشر بين الفكر والكلام علماً بأن هذا التقابل يكون خالياً من أي تداخل لغوي. وسمحت لي هذه المقارنة باستخلاص عدد كبير من الملاحظات حول آليات الذاكرة واللغة (سيليسكوفيتش، 1975).

أما بالنسبة إلى نظرية الترجمة، فإن أحد الاستنتاجات المثيرة للاهتمام الذي يمكن استنباطه من تحليل السرد التلقائي المتصل بالخطاب الأصلي بواسطة المعنى المعبّر عنه هو أننا لا نستخدم اللغات بالطريقة نفسها للإشارة إلى المفاهيم ولصياغة الأفكار. تبيّن المقارنة بين خطابين يعبّران عن الأفكار ذاتها في لغتين مختلفتين أن اللغات تتميز عن بعضها على مستويين: مستوى أوضاع اللغة ومستوى أفعال الكلام.

تمدنا ممارسة الترجمة الشفوية وتعليمها بأمثلة لا حصر لها عن هذا الواقع وإذا سلمنا جدلاً بأن اللغات لا تختار المدلولات نفسها

لتأليف خطاب ما يعبر عن ذات الأفكار أدركنا أن «السرد» قد يأتي بنتائج تتعذر على نقل المدلولات وعليه نفهم جدوى الترجمة الاستيعابية التي قام بها فرويد: أولاً بناء المعنى انطلاقاً من مدلولات الصياغة الأصلية، ثانياً التعبير عن الأفكار عبر الانعتاق من المدلولات الأصلية.

ها هنا مثال للترجمة الخاصة بالسرد مقابل «المرامزة» أو الترجمة بالرصف. بدايةً سأذكر العبارتين التاليتين بالألمانية والفرنسية: (ألمانية) (Das wäre ein Missverständnis) = (Fr) (Ce serait un malentendu) «قد يكون سوء فهم».

أعتقد أن لا أحد ينكر تعادل العبارتين دلالياً في اللغتين. لنَرَ الآن العبارة ذاتها مندرجة في خطاب حقيقي: في شهر آيار /مايو 1974، تم تعديل الحكومة الألمانية وعُيّن وزير الداخلية السيد غينشر وزيراً للشؤون الخارجية. وفي السابع والعشرين من شهر أيار/ مايو، أجرى معه التليفزيون الألماني مقابلة. اقتطعت خمس دقائق من هذه المقابلة لغرض اختبار طلبة المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين (ESIT) في مادة الترجمة التعاقبية في شهر حزيران/ يونيو 1974.

لن ننقل هنا سوى السؤال الأول الذي طرحه الصحافي وجواب الوزير عليه:

السؤال:

Das Programm der neuen Bundesregierung, deren Vizekanzler und Aussen-minister Sie sind, Herr Genscher, legt einen klaren Akzent auf die Innen-politik. Ist das so zu deuten, dass die Aussenpolitik in ihren Schatten treten wird?

الإجابة

Das wäre ein Missverständnis! Die Regierungserklärung wollte in der Aussen-politik nicht nur für die deutsche Offentlichkeit, sondern für unsere Ver-bündeten, für die Vertragspartner und für alle anderen Staaten in der Welt

sichtbar machen, dass die Aussenpolitik der Bundesregierung Kontinuierlich fortgesetzt wird.

ها هي بداية الترجمة الشفوية اللافتة للنظر التي قام بها مرشح لشهادة المدرسة.

Question :

Vous êtes maintenant ministre des Affaires Etrangères et Vice-Chancelier, Monsieur. Le nouveau gouvernement a adopté un programme qui met très nettement l'accent sur les problèmes intérieurs. Cela signifie t-il que la politique étrangère leur cédera dorénavant le pas ?

Réponse :

Absolument pas !...

السؤال :

أصبحتم اليوم يا سيدي، وزيراً للشؤون الخارجية ونائب المستشار، وتبنت الحكومة الجديدة برنامجاً يشدد بوضوح على المشاكل الداخلية، فهل هذا يعني أن السياسة الخارجية قد تفسح لها المجال من الآن فصاعداً؟

الجواب :

قطعاً لا !

سنوقف هنا نقل ترجمة هذا الترجمان الشاب الذي أصبح اليوم ترجماناً ناجحاً. لماذا قال «قطعاً لا» وليس «قد يكون سوء تفاهم»؟ إذا أعدنا قراءة سؤال الصحافي تبيّن لنا أن عبارة «قد يكون سوء تفاهم» يشوبها بعض الارتباك وقد تكون خالية من الاتساق في تسلسل البراهين إذ قد يصعب علينا معرفة إلى ماذا تحيل بالتدقيق. حتى نبقى أقرب من الصياغة الأصلية ونتقيد بمقاييس اللغة الفرنسية يمكننا القول :

«Ce serait mal comprendre les intentions du gouvernement que d'en donner une telle interprétation... » ou... «Ce serait mal comprendre notre programme que d'y voir une telle intention... » etc.

«قد نسيء فهم نيات الحكومة إذا أولنا الوضع بالطريقة هذه» أو «قد نسيء فهم برنامجها إذا بيتناه هذه النية» إن اختيار «نسيء الفهم» من شأنه أن يحافظ بطريقة أفضل على الدلالة اللغوية للفظ (Missverständnis) من لفظ «قطعاً لا» ولكنه من الواضح أن العبارة الفعلية «نسيء الفهم» قد لا تندرج من اسم (Missverständnis) فحسب بل من المعنى المستخلص من جواب الوزير. ويعيد الترجمان التعبير عن هذا المعنى بالفرنسية مصمماً على اختيار شكل يقترب من أشكال اللغة الأصلية (حتى ولو في الحالة هذه تطلبت الصياغة بالفرنسية تمديداً وإطالةً يبتعدان بدورهما عن صياغة اللغة الأولى).

أما الترجمة الشفهية التي تضمن التواصل على أحسن وجه فهي تبيّن كيف تقترن فكرة جديدة بكل جملة تم سمعها في السياق. تتشكل هذه الفكرة بدورها من مجموعة من المدلولات تختلف عن مدلولات اللغة الأصلية ولكنها تطابق عبقرية لغة التعبير. وعليه، فهي مصدر لا ينضب من الملاحظات التي تدفعنا إلى الاستنتاج نفسه ألا وهو أن المعنى يظل هو هو، ولكنه يرتدي شكل دلالات تختلف عن تلك الواردة في النص الأصلي. هذه الملاحظة يمكن تأكيدها إذا اقتضى الأمر إذا حاولنا نقل دلالات لغة ما فنادراً ما نحصل على معنى يكون مفهوماً مباشرةً في اللغة الأخرى.

بالنسبة إلى نظرية الترجمة، تعني هذه الملاحظة أن أي تنظير لا يراعي سوى الدلالات في اللغة يكون عاجزاً تماماً عن شرح شروط عمل الترجمة الإنسانية. توصلنا إلى هذه النتيجة لأننا طالما اعتبرنا اللغات مجرد أنظمة! إذ لا نرى في استخدام اللغات سوى طرز تركيبية متغيّرة لصيغ موجودة مسبقاً ولا نرى في الترجمة سوى البحث عن التقابل بين مفردات أو تراكيب لغتين مختلفتين. وبما أن الممارسة العملية تحل بسهولة الصعوبات التي يطرحها هذا النموذج

النظري فهي تؤول إلى تحديد نموذج آخر يزيل من عملية الترجمة طابع المرامزة وينسب إليها وظيفة تستدعي التفكير اقترح تسميتها وظيفة استيعابية.

هذا النموذج يصلح للترجمة التحريرية والترجمة الشفهية، فكلتاهما تمثلان شكلين مختلفين للتعبير ولكن نظراً إلى أنهما يستهدفان نقل مضمون المرسَلة، فإن التنظير المستنبط من تجربة إحداهما يجوز تطبيقه على العمليتين مع إقصاء الفوارق التي تفصل بينهما على مستوى أشكال التعبير. بالفعل، ثمة نزعتان: فإما أنه يجري الدمج تماماً بين الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية، كما يتبين ذلك من اللفظ المشترك بينهما «الترجمة» أو أنه على العكس ننظر إليهما كتمرينين مختلفين تماماً، أحدهما يقع على مستوى المقارنة بين اللغات بينما الآخر يقع على مستوى إعادة التعبير عن الأفكار وهو الوحيد الجدير بأن يطلق عليه «ترجمة». وإذ أقترح نظرية المعنى هذه أرغب في أن أبيّن ما هي نقاط التشابه بينهما ونقاط التمايز. وفي آن معاً أريد أن أبرز الفرق بين المفهوم اللغوي للترجمة الذي يضع عملية الترجمة على مستوى اللغة والمفهوم الآخر الذي يضعها على مستوى الخطاب.

لنعد إلى المثال المذكور آنفاً. رأينا أن الجملة الألمانية التي تفوّه بها السيد غينشر في رده تتضمن مقابلين من حيث المعنى هما: (Absolument pas) قطعاً لا وكذلك (Ce serait mal comprendre les intentions du gouvernement) قد نسيء فهم (نيات الحكومة) بينما التقابل على مستوى اللغة، أي خارج إطار الخطاب، يفيد معنى: (Däs ware ein Missverständnis) أي: (Ce serait un malentendu) قد يكون ذلك سوء فهم.

نموذج نظرية المعنى

ما هي المسالك التي تمكننا من أن نضع اللغات في معادلة إدراكية على مستويين مختلفين، مستوى اللغة بحصر المعنى ومستوى الخطاب، بحيث تفضي هذه المسالك إلى نتائج مختلفة إلى حد كبير؟ إن علاقة التماثل اللغوي بين عبارتين تقوم على عملية يتم بواسطتها تمييز الدلالات المكتسبة من قبل، وبالمقابل، فإن المعادلة في الترجمة الشفهية بين عبارة (Däs ware ein Missverständnis) وقطعاً لا تضيف إلى عملية التمييز السابقة عمليةً تستدعي مخزوناً لغوياً يبني معنى جديداً ينسب مرةً واحدة فقط إلى تعبير لغوي من دون أن يسبب أي تغيير في إحدى اللغتين لزوج الدال/ المدلول، فترجمة العبارة (Däs ware ein Missverständnis) في خطاب السيّد غينشر بـ «قد نسيء فهم» تندرج هي أيضاً في هذا النسق بل تحرص فوق ذلك على التقيّد بالمدلول الأصلي وتحافظ إلى حد ما على أشكال الخطاب الأصلي.

أما في الترجمة الشفهية فإن سرعة الكلام وتلقائيته تتوحدان لإعطاء ترجمة تصب في مصب السرد أكثر ما تصب في مصب التحليل اللغوي. ولا بد أن نضيف أن الترجمان لا يتمتع بالوقت الكافي ليقارن ببن أشكال التعبير، وأن المترجم التحريري في مقابل ذلك يستطيع بعد إدراكه للمعنى، أن يقارب بين الأشكال، فالتدوين بطبيعته قد ثبتها تثبيتاً دائماً. أخيراً يكمن الفرق الجوهري بين العملية الشفهية والعملية الكتابية في أن كلمات الخطاب الشفهي التي تتلاشى بسرعة تؤدي إلى نشوء معنى واحد دون غيره مستبعدةً احتمالات التأويل المغرضة أو حتى المشوهة التي تتعرض لها الترجمة الكتابية. بالفعل فإن الخطاب إذا تجمد أصبح سهل المنال ليس فحسب لجهة المعنى بل لجهة اللغة المتكوّن منها ولذا يمكن أن يؤدي إلى

تأويلات مختلفة للمعنى بقدر ما تسمح بذلك اللغة وعليه، فالصياغة اللغوية تبقى بقوة القانون خارج التواصل المباشر مع مرسل إليه، وبمعزل عن مقصد صاحبها أصلاً. مع ذلك، لا يستطيع المترجم أن يستغني عن فهم هذه الصياغة وإعطائها المعنى الذي يراه الأكثر ملاءمةً من غيره. بيد أنه قد لا نتفهم كيف لا يتقيد بالأصول اللغوية المستقلة ولا يبذل قصارى جهده ليقرّب ترجمته من الأشكال اللغوية للنص الأصلي.

لابدَّ من التنويه هنا بأن التقارب هذا لا يتم قبل إدراك المعنى بغية الإفصاح عنه بل على العكس بعد أن يكون المعنى قد تم إدراكه، فنحن لا نترجم لكي نفهم بل نفهم لنترجم. لطالما كرر ذلك ممارسو الترجمة من دون أن يكون الشرح النظري بحد ذاته قد بدا واضحاً. وإذا لم تكن تسعى الترجمة الشفهية من جهتها ولاسيما الفورية منها إلى السرد وإعادة الصياغة بدلاً من أن تتقيد بالأشكال اللغوية الأصلية لفاتها المعنى لضيق الوقت وتحوّلت إلى لجلجة ببغائية تجعل الترجمان لا حيلة له لتذكر أي شيء بقدر ما تجعل المستمع يتلقف رسالةً لا معنى لها، فكل شيء وارد حين تنتقل الأشكال اللغوية مباشرةً من لغة إلى أخرى بمجرد المرامزة كنقل الشكل الصوتي للكلمات وترجمة الدلالة الأولى للكلمة التي ترد في البال والقيام بتعادل كمي وترجمة أصل الكلمات. يدرك الترجمان الذي يسعى إلى ضمان عملية التواصل بوضوح وأمانة أنه من الخطورة بمكان أن نترجم على صعيد اللغة متجاهلين المعنى السياقي كما يدرك أنه من السائغ أن نعبّر عن المعنى بمعزل عن المقابلات في اللغة.

ولذا لا تختلف الترجمة الشفهية والترجمة التحريرية في الأساس: ينبغي لكليهما أن تتقيدا بالمعنى وكلاهما تنعتقان من سلطة لغة النص الأصلي، وشروط التعبير هي التي تختلف في الخطاب الشفهي والترجمة التحريرية، فبالنسبة إلى الترجمة الشفهية يكون

عنصر الوقت محدوداً ولذا فهي تحرص قبل كل شيء على التعبير عن محتوى الأشكال اللغوية المتلاشية، العابرة، على خلاف الترجمة التحريرية التي تراعي بقاء الأشكال وتسعى جاهدةً إلى استعادة معالم هذه الأشكال في لغة الوصول بعد أن تكون قد انتقت بين عدة إمكانيات صياغة تتلاءم وأصول اللغة والمعنى المقصود. ولولا ذلك لانزلق المترجم نحو التصرف.

ومن البديهي أنه ما من نظرية ألسنية، إذا اكتفت بمقارنة أوضاع اللغات، تستطيع أن تدرك ظاهرة لا وجود لها سوى في الخطاب حيث تكتسب كل جملة فيه معنى مبتكراً ويختلف فيه نظم الأقوال من لغة إلى أخرى للتعبير عن الفكرة ذاتها. ومع ذلك، يكفي أن نستعين بخطابات أصلية ونصوص أصلية (وهل يترجم المترجم نصوصاً غيرها؟) لنتحقق من أن الفكرة لا تنحصر في مجموع مدلولات القول وأنه لا مفر من أن نعبّر عنها في اللغة الأخرى من خلال إعادة صياغة القول، هذا إذا أردنا أن نتقيد بأصول التعبير الملائمة لعبقرية اللغة ونحقق الفهم مباشرةً.

لنترك المثال السابق «قد نسيء الفهم» ونستشهد بمثال آخر في اللغة الإيطالية هذه المرة لأن هذه اللغة قريبة بدرجة كبيرة من اللغة الفرنسية حتى أنها تحملنا على الترجمة على مستوى اللغة (ولها تأثيرات آسف لها كثيراً في الترجمة الفورية إذ تصبح الأفكار التي يتفوّه بها المتكلمون الإيطاليون من جراء ذلك أفكاراً مشوشة ومفككة وساذجة).

نقلت جريدة إيطالية انفجار قنبلة في مؤسسة مركزها في مدينة ميلانو وأردفت قائلةً :

«Si teme che il bilancio della tragedia sia destinato ad aumentare»

قد تكون الترجمة على مستوى اللغة هي التالية:

«On craint que le bilan de la tragédie ne soit susceptible d'augmenter»

«يُخشى أن تكون حصيلة المأساة قابلة للازدياد»

أما التعبير الفرنسي للفكرة فقد يكون:

«On craint que le bilan de la tragédie ne soit encore provisoire»

أو *«on craint que le nombre de victimes n'augmente encore»*

«يخشى أن تكون حصيلة المأساة مؤقتة» أو «يخشى أن يزداد عدد الضحايا».

قد يحتج القارئ ويقول إنه في الاحتمالين الأخيرين قمت بملاءمة قولي للمقتضيات المنطقية للغة الفرنسية من دون أن تكون الفكرة متوفرة بالضرورة فيها أكثر مما هي عليه في الترجمة المقترحة ولكن من أين استقيت لفظة مؤقتة إن لم يكن من مخزوني المعرفي ومن أين انتقيت عدد الضحايا إن لم يكن أيضاً من معرفتي غير اللغوية التي استدعتها الجملة الإيطالية وبفضلها بنيت الفكرة وأعدت التعبير عنها في ما بعد وفق مقتضيات اللغة الفرنسية.

إن اقتران المخزون المعرفي غير اللغوي بالمخزون اللغوي ساطع وبديهي لدرجة أننا ميالون إلى الخلط بين شكله الخارجي - أي الصيغة اللغوية - والعملية نفسها وهكذا لم يعد يسترعي انتباهنا تعبير لغوي يتردد ألف مرة في اليوم وإذا سجلنا الفارق في المنطق بين اللغة الإيطالية واللغة الفرنسية أغفلنا التنويه بأن التعبير في كلتا الحالتين أقرب إلى أن يكون نتيجة لفكرة، فلنستشهد بمثال آخر: يعطي ج .ب. فيني في المقال الذي خصصه إلى الترجمة الإنسانية في مجلة **اللغة** (*Le Langage*) مثالاً عن «المتمنع عن الترجمة» اللغوي الذي يضاف إلى الأمثلة الرائعة التي يزخر بها كتاب **الأسلوبية المقارنة للإنجليزية والفرنسية** (*Stylistique comparée de l'anglais et du français*) الذي نشره مع جان داربلنيه.

يقول الكاتب:

«(Au Canada)...les panneaux annonçant un arrêt (d'autobus) obligatoire comportent une traduction anglaise calquée sur la structure du français *obligatory stop*, alors qu'on sait que l'adjectif «obligatory» a un sens moral et juridique qui ne convient pas à l'arrêt d'un autobus; le texte anglais normal, c'est-à-dire rédigé spontanément sans l'influence d'une autre langue[8] se lirait comme suit: « All buses stop here »

«(في كندا)...تتضمن اللوحات التي تشير إلى موقف (الحافلة) الإلزامي ترجمة إنجليزية منسوخة حرفياً من البنية الفرنسية: (obligatory stop) في حين أننا نعلم أن (obligatory) له معنى أخلاقي وقانوني لا يتناسب مع موقف للحافلة. أما النص الانجليزي الطبيعي أي المكتوب بصفة تلقائية بعيداً عن تأثير لغة أخرى فقد يكون (All buses stop here)».

فإذا أردنا أن نجد مقابلاً لـ (Arrêt obligatoire) أمكننا البحث عن لفظة مغايرة لـ (obligatory) التي لفت انتباهنا إليها فيناي قائلاً - وهو على حق - إنها غير لائقة هنا. بيد أنه ومهما كان تحليل الدلالة اللغوية لتعبير (Arrêt obligatoire) موقف إلزامي دقيقاً ومهماً كان المقابل في اللغة الأخرى صائباً، لا يمكننا إيجاد المقابل المقترح هنا (All buses stop here) انطلاقاً من اللغة وحدها بتاتاً. وبغية إيجاد هذه الصيغة وكتابة نص منعتق من تأثير اللغة الأخرى، ينبغي الانطلاق من الفكرة المجردة من مادتها اللغوية للتوصل إلى الصيغة اللغوية الملائمة في اللغة الأخرى. صحيح أن الصيغة التي نحن بصددها هي صيغة شائعة، ولذا يمكننا القول هنا إن اللغة

---

(8) الخطوط المائلة وضعتها كاتبة المقال د. سيليسكوفيتش (D. Seleskovitch).

الإنجليزية هي التي تفرض علينا عبارة (All buses stop here)، ولكن من أين جاءت هذه الصيغة التي أصبحت تؤلف مع سائر مفرداتها كلاً متماسكاً وسياقاً جامداً إن لم يكن في الأصل من فكرة نريد التعبير عنها؟ فعند التركيز على فكرة ما، ينبثق التعبير الشائع من الخطاب وليس من اللغة، ويشير تجاور العناصر اللغوية (Arrêt obligatoire)، (All buses stop here) إلى الخطوة التي لابدَّ من تخطيها للخروج من مجرد المقارنة بين العناصر الدلالية في مختلف اللغات ـ المطابق للمسار اللغوي إلى الترجمة ـ بغية التوصل إلى التعبير عن الأفكار ـ المطابق لعملية تتقيد بالمعنى وبلغة التعبير في آن معاً، لذا، فإن نظريات الترجمة التي تظل على مستوى اللغة تفضي لاشك إلى مأزق مزدوج، فهي من جهة لابدَّ من أن تتحقق عاجلاً أم آجلاً من أن نقل الدلالات محال ـ والأمثلة كثيرة في هذا الشأن ـ ومن جهة أخرى، لابدَّ من أن تتحقق، إذا ما انكبت على نتائج هذا النمط من الترجمات الذي يكتفي بنقل الدلالات، من أن الدلالات مهما تم رصدها لغوياً رصداً صحيحاً، فإنها لا تضمن مع ذلك نقل المرسلة نقلاً يقينياً. ويبيّن عدم توافق المدلولات في نظم التعبير عن المعنى أنه لابدَّ من أن نتوخى الحذر الشديد قبل أن نقرر أن عبارتين متماثلتين على مستوى اللغة تعبّران عن المعنى ذاته. وبالفعل، ومهما كان التماثل الدلالي بين الجملتين تماثلاً متقناً، لا يدعونا هذا النوع من الاستدلال إلى التسليم بأن التعبير عن الفكرة في اللغة الأخرى من شأنه أن يسلك مسلك الوسائل اللغوية المشار إليها والتي تقضي بإقامة علاقة تماثل بين المفردات والتراكيب. وعليه، فلا شيء يسوغ لنا الاعتقاد أن العبارات المتطابقة لغوياً تعبّر بالفعل عن أفكار مماثلة تكون مفهومة وجلية مباشرة.

بالمقابل، فإن نظرية الترجمة التي يكون همها الأوحد أن تبين الطريقة التي يتم بواسطتها نقل المرسلات، أي نظرية تتوخى الفهم،

تضع كمسلمة أن اللغة، أياً كانت، تتمتع بمقدرة على أن تقول بوضوح ما تم تصوره بوضوح، بحيث تقصي مسألة غياب المقابلات على مستوى المدلولات بصفتها مسألة غير سديدة لا صلة لها بالموضوع.

لقد سبق لي أن أجبت على الملاحظة التي أشار إليها رومان جاكوبسون في مقال مشهور (1971) والمتعلقة بصعوبة ترجمة I) hired a worker «استأجرت عاملاً» إلى الروسية بسبب غياب أي توضيح حول جنس العامل في اللغة الإنجليزية.

أجيب عن هذا التساؤل قائلةً إنه حين نعدل عن تصور الترجمة عملية تقضي بنقل المدلولات اللغوية وحين ننتهي من وصف أوضاع اللغة لنهتم بتحليل تسلسل الأفكار وتحولها إلى فعل كلام، حينها فقط يمكننا أن نتصور المناسبة التي تحوط بإصدار القول «فنترجم» بالفرنسية (التي تقتضي على غرار الروسية معرفة الجنس لنقل (worker) على مستوى اللغة) (I hired a worker) بـ (j'ai pris quelqu'un) (استأجرت شخصاً) وهي ترجمة فريدة بمعنى أنها صالحة مرة واحدة لأنها تؤدي الوظيفة نفسها على مستوى الكلام وتعبر عن معنى مستحدث كما هو الحال دوماً في الخطاب.

وكي أتوصل إلى هذه الترجمة كفاني أن أتخيل مناسبة تنطلق من الواقع: كنت أريد أن أتخلص من الأعشاب التي غزت حديقتي «فاستأجرت شخصاً» وهكذا، فجنس هذا الشخص ليس وقفاً على جنس الكلمة في اللغة إنما على نمط العمل الذي وكل إليه وعلى المكان الذي ينجز فيه العمل.

وفي مناسبة أخرى، يجد تعبير (I hired a worker) ترجمة أخرى...

وكلما أحسن الترجمان فهم ما يقال حمله ذلك على الابتعاد عن صيغ النص الأصلي واهتدى سبيله إلى عبقرية لغته وعفوية التعبير التي تتيح له إفهام الأفكار جلها بوضوح.

إن فصل الشكل والمعنى وإيثار التعبير عن المعنى على نقل المدلول الأصلي وإثبات أن العملية الترجمية تتضمن ثلاث مراحل هي: الخطاب الأصلي - تحصيل معنى وحدات الترجمة - التعبير عن هذه الوحدات في خطاب جديد، تشكل جميعها كلاً يصعب تقبله على من يرى في الترجمة عملية تستند إلى اللغات مستبعدة بالتالي الفاعل المتلقي (sujet pensant) الذي يقوم، مع ذلك، بدور فعال في إدراك المرسلة وإعادة التعبير عنها. ولأنني مدركة تماماً أنني اختلف مع النظريات اللسانية الحالية فإنني أقترح نظرية تأويلية في الترجمة مبنية على الفهم، تأخذ في الحسبان الواقع المعيش من قبل المزاولين لمهنة الترجمة ألا وهو عدم تطابق الدلائل أو الجمل في مختلف اللغات على مستوى المدلول بالطبع بل قدرة كل منها على التعبير عن المعنى تعبيراً تاماً على مستوى الخطاب.

ولست بمفردي في هذا الشأن، فردود الفعل التي تتضح حالياً تجاه تطبيق ما تم اكتشافه في الألسنية التحويلية تنحو هذا النحو (كاده (Kade)، 1975، فاندروسكا (Wandruszka)، 1975). ندرك أكثر فأكثر أن اللغة تقوم بوظيفة التواصل وأن شغل الترجمة الشاغل ينبغي أن ينحصر في ما تريد نقله وليس في وسيلة النقل. حتى أن جورج مونان (Georges Mounin) نفسه المدافع المستبسل عن هيمنة الألسنية على الترجمة يقترح أن نسعى إن أمكن، بعد الانتهاء من حصر محتوى ما، إلى التعبير عن ذات المحتوى في اللغة الأخرى، بيد أن قليلاً من المنظرين يرون أن محتوى الكلام لا يتقاطع مع محتوى اللغة، فالجملة ذاتها خارج حالة التواصل لا تنقل المحتوى ذاته حين يستخدمها الفاعل المتلقي المتوجه إلى فاعل متلق آخر ونتيجة هذا

الواقع الأساسية تكمن في أن الجملة في اللغة الأخرى ستقتضي وسائل لغوية تختلف عن تلك المتاحة عند ترجمتها بمعزل عن الخطاب.

هذا ولو كانت اللغات مجرد رموز تتألف من دلائل يسهل إدراكها بالسهولة نفسها التي ندرك بها دلائل الأنظمة ذات المفاهيم المغلقة أو لو كانت اللغات قابلة للتحويل إلى مدلولات بسيطة لأبصرت آلة الترجمة النور منذ زمن طويل بالتأكيد. ولطالما اعتقدنا أن الصعوبة التي تواجهها الترجمة الآلية سوف تزول مع زوال مشكلة تعدد المعاني وغموض الجمل فيصبح ممكناً عندئذ اختزال اللغات إلى بنى دلالية أكثر بساطة، أقرب إلى رموز يتم تركيبها وبالتالي نقلها بسهولة. تظل هذه الجهود مجدية على الأرجح بالنسبة إلى عناصر اللغة التي تحافظ على نفس الدلالات المباشرة عندما تنتقل من مستوى اللغة إلى مستوى الكلام، أي بغض النظر عن استعمالها في السياق مثل الأرقام وأسماء العلم إذا اكتفينا بالإشارة إلى العناصر الثابتة الأكثر بساطة.

هذا وأعتقد أنه يمكن اختزال بنى السطح الظاهري للنصوص العديدة المعدة للترجمة إلى بنى دلالية أكثر بساطة يمكن ترميزها في لغة الآلة وتدمج فيها المفردات الثابتة ولكن لابدَّ من أن تكون هذه العملية نتيجة نشاط تأويلي للنص يستدعي دوماً بشكل أو بآخر تدخل الإنسان ومعارفه وقدرته على الفهم.

عند قيامنا بالتأويل والفهم أو بالترجمة على طريقة فرويد، تتلاشى الأشكال الأصلية في بضع ثوان ويطفو المعنى بشكل طبيعي، مجرداً من أي مادة لغوية بحيث يأتي التعبير عنه تلقائياً بلا عناء.

وحين نقارن التعبير عن هذا المعنى بالطريقة التي تم فيها في الخطاب الأصلي نلاحظ أن اللغات تختلف تماماً في نظم أقوالها

للتعبير عن معنى مماثل. ولذا لابدَّ من أن نتخطى مقارنة المدلولات وأن ننتقل من اللغة إلى مستخدمها ونأخذ بالحسبان دافع القول والسياق المعرفي الخاص بالمتكلم. عند ذلك فحسب، سنتمكن من التعبير عن معنى الكلام في لغة أخرى فنكون قد ساهمنا بأنسنة نظرية الترجمة.

تراكيب الخطاب الثلاثة

يشير كل من ج. باربيزيه وف. دويزابو (Ph. Duizabo) والسيدة ر. فلافينيي (R. Flavigny) (1975) في دراسة تتناول علم النفس إلى وجود عرضين متلازمين متميزين في باثولوجية اللغة: 1 ـ الحُبسة (انعقاد اللسان أي فقد القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة أو عدم القدرة على فهم الكلمات المنطوق بها) المنسوبة إلى الآفات الجدارية الصدغية، 2 ـ اضطرابات السلوك اللفظي ذي الأصل الجبهي:

«إن الحبسة الناتجة عن الآفات الجدارية الصدغية اليسرى (عند الأيمن)...(تسبب) اضطرابات في اللسان تظهر على مستوى الكلمات والعبارات والترتيبات النحوية أو الدلالية مؤديةً إلى ارتكاب «أخطاء» من نوع حُبسة التسمية أو اختلاط الكلم الفونيمية أو الدلالية أو أخطاء نحوية ترد في كل مناسبة أو أياً كان مستوى الخطاب».

بالمقابل، فإن الاضطرابات في السلوك اللفظي ذات الأصل الجبهي تتميز بتلف اللغة اللفظية المعقدة (بكلماتها وجملها المعروفة) بينما تبقى اللغة البسيطة قائمة:

«يبين اختبار الاضطرابات ذات الأصل الجبهي أن الآفة تدمر أو تعطل عدداً من الدارات العصبية (المتعلقة بالعصبة) التي كانت تقوم مقام البرامج المرجعية بغية إيجاد حلول للمشاكل الحالية على ضوء

التجارب القديمة»[9] جاك باربيزيه والباحثان الآخران يتساءلون عند ذلك إذا «كان وجود هذين العرضين المتلازمين المتميزين لا يشرح تراتبية الأجهزة الدماغية التي تسمح لنا بالتواصل مع الغير».

أما بصفتي ممارسة في حقل اللسان والترجمة فقد تسوّل لي نفسي أن أجيب بالإيجاب لكثرة ما يقدم لنا هذا النموذج شرحاً رائعاً على الصعيد الحركي، للتجارب المَعيشة على الصعيد الإدراكي في ممارسة الترجمة الشفهية.

هذا ويبيّن تسلسل الترجمة التي تتم على وتيرة الكلام التفاعل المتواصل بين مخزونين تذكريين مختلفين، أحدهما معجمي ونحوي والآخر فكري أي غير لفظي. ونلاحظ أن الترجمة في بعض الحالات، تستدعي قدرة الذاكرة الاستحضارية لتبحث في المخزون اللفظي عن أشكال تتطابق في ما بينها في مختلف اللغات، وفي الحالات الأخرى، الأكثر وروداً، فإن الترجمة تقرن المخزون الفكري بالبنى اللغوية التي تم إدراكها لتجدَ معنى تعبر عنه بواسطة قرن المخزون الفكري بالمخزون اللفظي للغة الأخرى. وكونها تقع على تعبيرات تختلف عن تلك الناتجة عن ترجمة المدلولات الأصلية لهو مؤشر على تطور العملية.

---

(9) يضيف جاك باربيزيه في محاضرته المعنونة «مفهوم السلوك اللفظي، وتطبيقه على باثولوجية اللسان» أن «في الآفات الجبهية، يختلف السلوك اللفظي اختلافاً كبيراً (عن آفات الحُبسة)، وفقدان البرامج الجبهية يتميز بتقلص اللغة التلقائية ولم يعد الشخص يبادر في الخوض في أحاديث لا يستطيع أن يختار مواضيعها ولا أن يوجه معناها، فيجيب بطريقة لاإرادية تقريباً عبر المنطقة الممثلة لوظيفة اللغة النفعية التي ظلت سالمة، فيلجأ إلى اقترانات لفظية جد عادية، مردداً في غالب الأحيان الكلمات نفسها التي استخدمها محاوره وغارقاً في صمت تام قد يبلغ حد الخرس التام عندما يطل استحثاثه على الكلام».

إن الطابع المختلط لعملية الترجمة المكونة جزئياً من نقل للبنى اللغوية ومن إعادة التعبير عن الأفكار، جلي للغاية حين نحلل عن كثب شرائط التسجيل في الترجمة التعاقبية أو الفورية.

ويمكن أن نتساءل ما إذا كان المخزون اللفظي الذي يسمح باستحضار الأصوات وتمييزها مشكل بصفة عامة من جلّ الإدراكات الصوتية المقترنة بدلالة ما: الدوال والمدلولات في اللغة، بالإضافة إلى صوت ريح الميسترال المختلف عن صوت الترامونتان (اللذان يهبان في مناطق البحر المتوسط في فرنسا)، على سبيل المثال، وعشرات الآلاف من الأصوات التي نحفظها بدلالاتها لأننا نعيشها ككل لا يتجزأ. وقد نتساءل إذا كان تنظيم الدلالات في ما بينها واقترانها بدايةً بدوال وتشكل محتوى المخزون الفكري بواسطة هذا التنظيم، هو ما يجري تسميته بالذكاء مادمنا نعلم تماماً أن بنى الذاكرة بالمعنى الواسع هي بنى الذكاء (بياجيه وباربيزيه).

وعلى كل، فإن وجود مساحتين للتخزين ونوعين من الآثار التذكرية من شأنه أن يشرح بشكل رائع أن الخطاب الذي هو موضوع الترجمة الشفهية يختلف في وظيفته عن اللغة.

صحيح أنه يصعب رسم خط فاصل بين اللغة والخطاب إذ إن مادة الخطاب هي اللغة، ومع ذلك يمكننا القول إن اللغة من حيث التطور الزمني هي مادة دلالية مجمدة تعمل وفق قواعد عمل ثابتة. يمكن مراقبتها بصفة موضوعية لأنها تقع نوعاً ما بمعزل عن الشخص العاقل الذي يقوم بوصف حالة اللغة، في الوقت الذي ينبع الخطاب من الفاعل المتلقي، فإذا تكبد الخطاب قيود اللغة التي يتشكل منها فإنه بدوره يخضعها لقولبة الفكر. وهكذا يستعين الخطاب باللغة كما لو كانت قدراً، من دون أن يطرأ أي تغيير على القدر باستخدام اللغة ومن دون أن يختلط هذا الاستخدام بالقدر أيضاً.

إن عملية تحويل اللغة إلى خطاب تتم بسرعة فائقة وهي مجردة من أي عواقب ملموسة طالما أنها تقع في نطاق اللغة الواحدة بحيث تنزع إلى الخلط بين دلالة الجملة في اللغة والمعنى الذي تكتسبه عندما تتحول إلى قول على مستوى الخطاب.

ثمة خبر طريف ورد في جريدة «لوموند» اليومية في «الزاوية المعنونة: «يوماً بعد يوم» يدل على ما قد يمكن أن يؤول إليه الخطاب إذا كان تركيباً من الدلائل ضمن نظام له منطقه الخاص ولكنه مجرد من قدرة الإحالة إلى المضمر أي اللا منطوق. نذكر في ما يلي هذا الخبر:

«كان يا ما كان أستاذ رياضيات في جامعة القدس وهو اختصاصي كبير في نظرية المجموعات يدعى أ. فرانكل (A. Fraenkel). كان هذا الأستاذ المنحدر من أصول ألمانية يحرص دوماً على أن نتحلى في حياتنا اليومية بنفس المنطق الذي نتحلى به في الاستدلال الرياضي. وذات يوم وهو في حافلة تقله من مدينة تل أبيب إلى القدس، سألته امرأة كانت تجلس وراءه: «من فضلك يا أستاذ، هل يمكنك أن تغلق النافذة لأن الجو بارد». فأجابها الأستاذ قائلاً: «يا سيدتي، هل تعتقدين أنه إذا أغلقت النافذة فسيسخن الجو؟»

يثير الخبر الضحك لأن اللغة لا تعمل في فراغ من دون أن يضاف إليها مخزون فكري غير لفظي. بينما المنطق الرياضي يقتضي أن يتزود الدليل اللغوي بدلالة واحدة دون منازع، ضمن نظم متناسقة. أما إذا استخدمنا اللغة كأداة فلا يمكن أن نستغني عن إسهام المضمون التذكري غير اللفظي.

وقد يكون من الصعوبة بمكان أن نجد أمثلة لحالات حقيقية تصور التواصل اللفظي حيث يكون ترتيب الجمل محصوراً في نقل مضمونها الدلالي والمعجمي والنحوي المحض. بيد أن غياب العلاقة

بين الشكل المدرك المقترن بدلالته الدقيقة من جهة والدرايات المعرفية من جهة أخرى يمكن تلمسه بصرياً: فمن منا لم تتسن له فرصة مشاهدة صور لرحلة سفاري على الشاشة لدى أصدقاء يرغبون في عرضها عليه، فبالنسبة إلى صاحب الصور المحظوظ فإن شكل الصورة التي يريها لأصدقائه يستحضر المغامرة التي عاشها بأكملها وكذلك حرارة المكان وروائحه والناس الذين كانوا يحيطون به وحذاءه الضيق والآلام العضلية التي كان يشعر بها لفرط ما قضى ساعات طويلة في سيارة الجيب على الطرق المرجرجة... إلخ. أما بالنسبة إلى المشاهدين فإن الصور لا تعدو مجرد صور حتى ولو أضاف المصور إلى فن التصوير فن السرد ليقص علينا سحر الحدث الذي عاشه، ففي نظر المصور، تقترن مشاهدة الصور بواقع معيش يتسع نطاقه ويتجاوز الدلائل المرئية، بينما المشاهد لا يستطيع سوى فك رموز إدراكه البصري. صحيح أن الصورة كافية للتعرف على شجر ورجال ونساء وزرافات ولكنها غير قادرة على الإطلاق أن تجعل المشاهد يعيش ما عاشه المصور، إذ إن كل ثانية التقطها المصور تستحضر لديه حشداً من التصورات الذهنية تحيل إلى ذكرى متجانسة تذهب لملاقاة الصورة وتفسرها. أما المشاهد فقد عاش تجارب سابقة منفردة تسمح له بأن يتعرف على صورة الشجرة لأنه شاهد في حياته أشجاراً بما فيه الكفاية فيستطيع تعيين شجرة من خلال صورة هذه الشجرة بالذات، سيرى فيها مثلاً شجرة السَنط إذا كان يعرف هذا النوع من الشجر... إلخ، فالمعرفة عند المصور المطابقة لواقع معيش يمكنها أن تمتد أياماً بحيث يستدعي تفسير الصورة العناصر كافة التي كان لها تأثير ما قبل التقاط الصورة وأثناءها وبعدها. في الوقت الذي تتوالى فيه الصور لدى المشاهد من دون أن تكون للتصوّرات الذهنية المقترنة بها القدرة على إعادة تشكيل المعنى الذي توحي به الصور لمن عاش هذا الحدث.

ولا يمكن تفسير هذه الصور سوى بواسطة دلالات ترتبط ارتباطاً وثيقاً ودائماً بالدلائل (يتلقى المشاهد الصورة بالبصر بينما تتدخل في تحليلها من قبل المصور معارفه الذهنية غير اللغوية فيتخذ قراراً حيال معناها على أساس هذا التحليل). ولا يمكن قرنها بواقع معيش آخر. يشبه مصيرها مصير الكلمات في الخطاب في حال ما لم تقترن بفكرة مستمدة من معرفة بمعزل عن الدلائل، فالجمل التي تكتفي بتنظيم الدوال والمدلولات وفق دلالتها المحتملة التي يقر بها المتكلم والمستمع معاً قد تنتمي إلى طاحونة الكلام أو البيانو الآلي ولن تمت بصلة للغة البشرية، فهي قد لا تستدعي المخزون المعرفي الذي يجمع مجموع الذكريات ويسمح بالتوصل إلى الفهم الذي يتجاوز مجرد التعرف على المدلولات.

أما الترجمة الشفهية فهي تواجه بين المدلول والمعنى، فأحدهما قابل للترجمة بينما الآخر يعاد التعبير عنه، وبالتالي تكشف العلاقة القائمة بين اللغة والمخزون المعرفي غير اللفظي المكتسب وهو أحد الجوانب الأساسية للآليات اللسانية.

إن اللغة هي شيء يكتسب واستخدامها هو في آن معاً تطبيق وابتكار، فعندما أتعلم قول الجمل الشهيرة: (My tailor is rich) «خياطي ثري»، أو (Prête-moi la plume de ta tante) «أعرني ريشة عمتك»، أتعلم لغةً هي الإنجليزية أو الفرنسية ولكني لا أستطيع أن أعلم مسبقاً معنى هذه الجمل في حال توظيفها حقاً في سياق. بالمقابل، نعلم بالتأكيد معنى كلام ورد في مناسبة ما، فحينما تحدى «كامبرون» (Cambronne) الإنذارات الإنجليزية في واترلو قائلاً: (La garde meurt mais ne se rend pas) «الحرس يموت ولكنه لا يستسلم»، كان للأسطورة التي غلفت قوله دور في تزويد هذه الكلمة المؤلفة من خمسة حروف الأكثر استخداماً في اللغة الفرنسية بمعنى فريد... ففي كل الظروف تلتصق معارف خارجة عن اللغة بالمدلول

الذي تنطق به. وفي شهر مايو/ أيار 1968 حينما كنت أسمع الجمهور يردد (Nous sommes tous des juifs allemands) (كلنا يهود ألمان) كنت أفهم هذا القول ليس لأنني أتقن اللغة الفرنسية فحسب بل لأنني كنت أعيش أحداث تلك الأيام.

أما في حالة التواصل فللخطاب مفعول مزدوج: **أولاً** من خلال مادته أي اللغة وثانياً من خلال إشارته إلى المعنى الذي ينبغي بناؤه، فلنأخذ مثالاً جد بسيط: بعد غد تعني في اللغة بعد يومين، وفي ظروف محددة، قد لا يناسبني هذا المعنى وقد أطابق بين بعد غد ويوم الإثنين مثلاً إذا كنت أتحدث يوم السبت أو في 26 من الشهر إذا كنت أتحدث يوم 24 من الشهر.

إن إقامة تقابل بين بعد غد وبعد يومين ينم عن معرفتنا باللغة وهو يسبق استخدام هذه العبارات في الخطاب ويظل موجوداً حتى بعد زوال الخطاب. فيما التقابل بين بعد غد ويوم الإثنين لا يمكن إثباته إلا بتدخل معارف خارجة عن اللغة، فالتقابل الذي نحن بصدده يتلازم مع استخدام الألفاظ ويزول بزوال الظروف التي كانت تسوغه.

ومن الصعوبة بمكان أن نبرهن في نطاق اللغة الواحدة على وجود عمليات تخصص لمدلولات اللغة دوراً يختلف دلالياً عن الدور المخصص لها بصفة دائمة إذ مهما كانت هذه العمليات فعالة (actives) فإنها تجري على مستوى لاشعوري. ومع ذلك، يمكن أن نبرهنَ على وجود عتبتين في عملية الفهم بإلغاء إحداهما بوسيلة ما وهي عتبة الاستدلال الذي يطلقه الكلام في حالة التواصل.

آثرت لسنوات عديدة في حصة كنت أعطيها في سنة الماجستير في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بباريس إدخال جملة مبتذلة للغاية وخارجة تماماً عن السياق في عرضي هي (Mon chat est noir) (قطي أسود) أو (L'arbre est grand) (الشجرة كبيرة). ثم كنت أثير ضحك الحاضرين عندما كنت أجعلهم يسلمون بأن المعنى

الوحيد الممكن لجملة كهذه في السياق الذي أوردتها فيه هو أن الأستاذ معتوه، بالطبع هذا المعنى لا يتلازم مع المدلولات اللسانية إنما هو استنتاج من الاستدلال الوحيد الممكن انطلاقاً من هذه المدلولات. يمكننا بالتالي أن نبرهن بواسطة تراكيب نظمية واضحة تماماً في اللغة ولكن لا معنى لها في الخطاب على وجود عتبتين في الفهم: عتبة إدراك المدلولات القائمة على معرفتنا للغة وعتبة إدراك المعنى القائمة على استدلال يقرن مدلولات اللغة بمعارف غير لغوية.

حين نظل في إطار لغة واحدة، حين نكون مجرد مستمعين ولسنا مترجمين فوريين، لا نضطر إلى إعادة التعبير عن الخطاب في لغة أخرى فلا نرى تجسد الفرق بين الدلالة والمعنى. قد ندرك في أفضل الأحوال تتابع الأفكار وتجاذبها الملازمين لأي إدراك سمعي ذي معنى حين يحل السهو والتأمل محل الاستماع المتيقظ أو حين نحضّر رداً على المداخلة الجارية. إلا أن تتابع الأفكار وتجاذبها قد يتفاقمان أكثر بكثير مما هو ضروري للفهم فيلتهمان مدلولات الخطاب الذي لم نعد نستمع إليه.

بالمقابل، فإن شرائط التسجيل في الترجمة الفورية تبيّن بوضوح المعنى الذي انبثق منه التعبير في اللغة الأخرى وتثبت أن التواصل لا يمكن أن يتم على نحو صائب من دون اقتران الدلالات اللغوية بالمكملات المعرفية. يقول بول ريكور (Paul Ricœur) في كتابه **الاستعارة الحية** (*La Métaphore vive*) (1975).

«إن التمييز بين المعنى[10] والمرجع[11] سمة قوية من سمات الخطاب، فالتمييز هذا يصطدم بالمُسلّمة القائلة بثبات اللغة، أي

(10) للإشارة إلى المفهوم نفسه أستخدم شخصياً «الدلالة في اللغة».

(11) المرجع هنا ما يحيل إليه الكلام وفي مفهومي يطابق «المعنى».

بمثوليتها في طبيعة الأشياء نفسها، ففي اللغة لا وجود لمشكلة المَرجع إذ تحيل الدلائل إلى دلائل أخرى ضمن النظام نفسه. على مستوى الجملة، تخرج اللغة عن حدودها ويشير المرجع إلى سمو اللغة على نفسها».

إن الفصل بين البنى اللفظية والمعنى الذي يتحقق عند الاستماع يقابله من جهة إصدار الكلام، حرية كبيرة في اختيار التعبير. يتمتع الفكر باحتمالات تعبيرية أكثر بكثير مما يفترضه عدد المدلولات التي تظل بطبيعتها مرتبطة بدوالها. وهكذا، بغية التعبير عن الشيء نفسه لا يضطر الخطاب إلى استدعاء مرادفات في اللغة. أستطيع أن أقول مثلاً «يصل يوم الإثنين» وكذلك «بعد غد، اذهب لأستقبل س في المطار» وحتى «سيحضر بعد يومين»... إلخ وأكون بذلك قد قلت الشيء نفسه وفقاً للظروف.

يسعى الفاعل المتكلم إلى تكييف خطابه مع درايات سامعه، دراياته العامة، دراياته للأحداث الجارية، دراياته الفورية بمعنى تلك المستنبطة من الجمل المنطوقة، فالتعبير يسعى إلى تقابله مع المخزون المعرفي للمحاور والقابع في ذاكرته طويلة المدى أو متوسطة المدى أو قصيرة المدى أو الآنية ولا تعرقل البنى الشكلية للغة (الدال ـ المدلول) الحرية الخارقة التي نتمتع بها للتعبير عن الأفكار.

إن الكلام الذي نتبادله يومياً شفهياً كان أو كتابياً يمدنا بعدد لا يحصى من المعلومات سرعان ما تصب في العوامل غير اللغوية لتغني مخزوننا المعرفي على المدى القصير وأحياناً على مدى أطول من دون أن تكون قد غيّرت الأداة الناقلة لها وهي اللغة، ففي كل تبادل كلامي جديد يلتصق جزء من هذه المعرفة بالدلالة اللغوية مولّداً معنى جديداً بينما الدلالة التي قامت بدور المؤشر له تعود وتسقط في اللغة من دون أن تتلوّن في غالب الوقت بفارق دقيق جديد من حيث المعنى.

وبالتالي، تبدو اللغة وكأنها خبرة تذكرية مكتسبة، ذكرى يمر

عبر قالبها إنتاج واستقبال الأفكار ولكن هذا القالب الأساسي الضروري لا يختلط بالفكر والدرايات تماماً كالأوكسيجين الضروري للحياة الذي لا يختلط بها.

الخاتمة

لطالما سعينا إلى إقامة علاقة بين اللغة والعالم الخارجي محاولين أن نرى في كل لغة مرآة للفكر والذهنية الجماعية. أما البنيوية مع بلومفيلد (Bloomfield) وسوسور فقد حادت عن العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي واللغة والذهنية الجماعية لتركز تحليلها على العلاقات الجارية ضمن اللغة فاهتمت بآلية عمل نظام حيث القصد هو تعارض الفونيمات في ما بينها وتحديد الكلمات الواحدة بالنسبة إلى الأخرى.

حديثاً أثار النحو التوليدي لدى شومسكي (Chomsky) مشكلة القدرة على توليد عدد غير محصور من الجمل المفيدة وفهمها بواسطة لغة محصورة. وهكذا يكون النحو التوليدي في رد فعل محمود، وإن اتسم بالقصور ضد نهج بلومفيلد القاضي بمقولات الترابط بين الوحدات والذي يمكن اختزاله في آلة تتشكل من مثيرات واستجابات سلوكية، يكون قد أدخل من جديد جانباً ذهنياً تصورياً في دراسة آلية عمل اللغة وذلك بالبحث عن دلالات هي دلالات البنى العميقة تختلف عن المدلول اللغوي المحض واستشف الجانب التأويلي القاضي بأن التحويل النحوي عينه لا يحول بالطريقة نفسها دلالة الجمل. إلا أن النحو التوليدي يتورط في تحليل جمل اصطناعية وبإعطائه الأولوية للمقدرة (معرفة اللغة والحدث النحوي لدى الأشخاص) على الأداء (استخدام الكلام في التواصل) فهو يحرم نفسه من إسهام المعنى في تحليل الآليات اللغوية.

أما المترجم فهمّه الخطاب وهو ملزم بنقل المعنى ولذا لا يمكن

أن يكتفي بالعلاقات القائمة بين لغة ما والعالم الخارجي ولا بآلية عمل اللغة بصفتها نظام دلائل ولا بالآليات النحوية التي «تولّد» الجمل.

يلاحظ المترجم أن وراء تنظيم الحروف تبزغ كلمات تختلف دلالتها عن دلالة الحروف كما يلاحظ أن وراء نظام الألفاظ يتجلى معنى يختلف عن مدلول التنظيم اللفظي. هذا ويرى المترجم أن ما أتى به مارتينيه (Martinet) بالنسبة إلى خاصية التمفصل المزدوج للغة من خلال قابلية الكلام الإنساني للتجزئة إلى وحدات لغوية بسيطة مدلولات ـ فونيمات، ينبغي أن يستكمَل ليتم الاتصال بين المدلولات والمعنى عند نقطة التقابل بين الفكر واللغة.

أما الخطاب فهو النص وما يصطلح عليه بالأداء وهو كل ما ينطق به الإنسان أو يكتبه للغير، إنه التداول الفعلي للغة بغية تبليغ الأفكار، إنه نقطة التقابل بين فكر ذاتي فردي ولغة هي أداة تعبير جماعية.

والخطاب الشفهي يدور في الحدود الإيقاعية التي تفرضها الآليات النفسية الفيزيولوجية، فهو ليس بطيئاً للغاية ولا سريعاً للغاية حتى يتلقفه الذهن، فكل مجموعة من الدوال تبقى صامدة إلى أن يتم تنسيقها في مدلول جُملي وكل مدلول جُملي يبقى صامداً بدوره إلى أن يتآلف مع المكملات المعرفية السديدة للمستمع فتضفي عليه معنى. والمعلوم أن زمن الإدراك الذهني مقتضب والخطاب العادي أي التلقائي يجري على وتيرة 150 كلمة في الثانية تقريباً[12] وتظل كل مجموعة سبع أو ثماني كلمات ماثلة بشكل محسوس في الذاكرة مدة ثانيتين أو ثلاث.

---

(12) ج. م. كوتري (J. M. Cotteret) قد حسب أن في المقابلات المتلفزة خلال الحملة الانتخابية لشهر مايو/ أيار، المرشح جيسكار ديستان كان يتحدّث بوتيرة 148,7 كلمة في الدقيقة و المرشّح ميتران بوتيرة 129,4 كلمة. انظر: *Giscard d'Estaing, Mitterand: 54774 mots pour convaincre* (Paris: PUF, 1976).

كما أن الحضور المتزامن في الذاكرة المباشرة للصورة الصوتية لسبعة أو ثمانية مدلولات له تأثير خاص، ذلك أن في مرحلة إدراك الخطاب، لا يتم استحضار دلالة لفظة ما بمجرد صورتها الصوتية بل بمجموع الأصوات المدركة في آن معاً. هذا ما يفسر خلو الخطاب من تعدد المعاني والغموض إلا إذا قصدهما المتكلم عمداً فسعى إلى اختيار عباراته تبعاً لذلك.

هذا ومعدل الإلقاء الشفهي سريع بحيث يجعل المثيرات تتلاحق من دون أن تترك للمستمع متسعاً من الوقت لتكرار الكلمات المسموعة في ذهنه، مانعةً إياه بالتالي من حفظها عن ظهر قلب. وعليه، فإن سرعة تحول الأصوات إلى مدلولات والمدلولات إلى أفكار تخلف أثراً يمكن إعادة التعبير عنه من دون تكرار صياغته تكراراً دقيقاً.

وإذا أردنا أن نتجنب، في دراسة اللغة، الخلط بين ملامسة اللغة وملامسة المعنى فلابد من أن نراعي هذين المحورين: وتيرة بث الكلام وإدراكه ذهنياً ومدى الذاكرة المباشرة أو سعتها التخزينية، ففهم الخطاب لا يتحقق أولاً بواسطة الألفاظ، على غرار ما يتم في دراسة اللغة حين نقوم بعزل الألفاظ. إنما الفهم ينطلق من الأقوال التي ينبغي اعتبارها وحدات غير قابلة للتجزئة، يتجلى معناها في لحظة الإدراك الذهني وليس كنتيجة لتحليل دقيق.

يمكننا بالمثل التأكيد على أن الفكر الفردي الذي يعبّر عن ذاته بواسطة أداة اللغة يتجسد أولاً على شكل أفكار مادتها اللفظية هي الوجه الدال على قول بأكمله.

مذّاك، يمكننا التأكيد على أن الخطاب وليس اللغة هو الكفيل بمدنا بالطريقة التي تعمل بها اللغة، بحيث لا تعود اللغة سوى العنصر الراسب الذي يحتوي على الاستعمالات غير المحصورة للكلام، فللألفاظ والجمل والصيغ معنى في الخطاب يختلف عن مجموع

مدلولاتها في اللغة. وتكاد هذه الظاهرة لا تتجلى بوضوح في نطاق اللغة نفسها حيث إن التغييرات التي تطال المعنى لا تلازمها تغييرات في الدوال. وبالانتقال إلى لغة أخرى، تتجلى هذه الظاهرة بوضوح عبر الترجمة الفورية. وعليه، لا يمكننا أن نستبعد الفكرة القائلة إن الخطاب، مقارنةً باللغة، يتمتع بموارد دلالية ثمينة فنضطر إلى قلب الترتيب والنظر إلى اللغة بصفتها سليلة الخطاب وليست الرحم الذي يستمد منه الخطاب وجوده فحسب، فالمعنى ونقل هذا المعنى هما سبب وجود اللغة ومنشؤها الأولي ولذا من الأجدى أن نسلم بأسبقية الكلام على واقع اللغة، فوجود اللغة ليس الشرط الأول للتواصل إنما هو وسيلته وثمرة استخدام اللغة، الذي شكله الدّهر وعقده، مخضعاً إياه لنزوات مستخدميه، فيقحمون الاستعارات والكنايات، أياً كانت تسمياتها، وهكذا يحمّل الكلام بفائض من المعاني.

أما اللغة بمعنى الكلمة فلا تبدأ إلا مع تكريس المعاني المستحدثة في الخطاب، فتحاول اللغة أن تثأر بدورها وتفرض قانونها فتصبح غاية اكتساب وترسخ حدوداً نهائية لاستخدام الألفاظ.

صحيح أنه لابدّ من تعلم لغة إذا أردنا التعبير عن أنفسنا، ومتى تكلمنا بهذه اللغة يتحتم علينا التقيد بضوابطها وأصولها الشكلية وبعبقريتها الخاصة، وإذ نحن أحرار في تخصيص الألفاظ وأقوال الخطاب دلالات تسمو على دلالات اللغة، يصبح الخطاب مبدعاً للُغة.

مؤدى ذلك كله أنه لا يمكن لأي نظرية لغوية أن تكون كاملة مكتملة إذا لم تراع تداخل ثلاثة عوامل في آن معاً هي اكتساب اللغة واستخدامها وإبداعها.

د. سيليسكوفيتش (*)

(*) نشر هذا النص أول مرة في: *Les Etudes de linguistique appliquée (ELA)*, no. 24.

الترجمة الشفهية لخطاب لا تعني ترجمة اللغة

دفعتني الترجمة الشفهية الاحترافية من خلال ممارستي الميدانية وتدريسي لها، وكذلك دفعني العدد الكبير من التجارب التي خضتها، إلى الإقرار بأننا قد نخطئ إذا قمنا ببناء نظرية في الترجمة تقوم على مقارنة بين اللغات، إذ تسمح المقارنة اللغوية بملاحظة تباين اللغات في ما بينها، وبتعداد قائمة طويلة من وجوه الاختلاف، لكنها لا تؤدي إلى معادلات يمكن تطبيقها على الترجمة الإنسانية.

كي أشرح لماذا لا تعيق اللغات واختلافاتها عمل التراجمة، وجدت نفسي أقيم تمايزاً بين الدلالات التي يمكن إدراكها على مستوى اللغات خارج استعمالاتها في سياق من ناحية، والمعنى المستخرج من الأقوال عند الإدلاء بها من ناحية أخرى. وإذا ما راقبنا حالة اللغتين في عملية التواصل، أدركنا أنه ليس بالإمكان اعتبار الدلالات اللغوية متعادلة في الخطاب أو في أقوال ذات معنى كما كانت عندما جرى الحكم عليها بشكل منفرد.

بعبارة أخرى، نلاحظ أن لغات مختلفة تشير إلى أشياء وتصورات بطريقة يمكن دعوتها بالمتقابلة، ولكنها لا تعود تتقابل قطعاً في ما بينها عندما تتوالى في هيئة جمل تحمل معنى، فنحن لا نستعمل الدلالات ذاتها في لغات مختلفة للتعبير عن الأفكار ذاتها.

بعد هذا الطرح، ندرك أن البحث عن مقابِلات على مستوى الدلالات اللغوية من أجل القيام بالترجمة الشفهية، والتفكير في الاختلافات بين اللغات بوصفها معوقات، لن يكون مجدياً. في الواقع، ليس هذا ما يفعله التراجمة شديدو الأمانة تجاه مَن يترجمون له من الخطباء.

إذا ما قارنا ترجمة شفهية تدور والخطاب الأصلي جار في ظروف حقيقية، تمكّنا من تلمس ما دعوناه بالمعنى مقابل الدلالات اللغوية. تقوم عملية الترجمة على استخلاص المعنى الذي تشير إليه اللغة المصدر من صياغة التعبير فيها، من دون أن تكون مؤتمنة عليه، وثمة مرحلة تقع بين محطة ما قبل الترجمة، تقضي بمعاينة النص الأصلي وفهمه، ومحطة الترجمة التي تقضي بإعادة التعبير في اللغة الهدف. تقوم هذه المرحلة على الانعتاق من الدلائل اللغوية، وهو انعتاق يلازم إدراك الأفكار إدراكاً واعياً من خلال تجريدها من كسوة الألفاظ وإعادة التعبير عنها بعد ذلك، في أي لغة كانت. إن الترجمان لا يتساءل حين سماعه لقول ما: «ماذا تعني كل كلمة في هذا القول؟»، وإنما «ماذا تعني كل هذه الكلمات، كل هذه الجملة، الآن وهنا؟».

بعدما يتم تحصيل معنى الخطاب والوقوف عليه، تصبح صياغته وقفاً على الآليات اللغوية. وتجد الأفكار والمشاعر والمفاهيم التي يراد نقلها التعبيرَ عن نفسها بنفسها غالباً. كان لويس كارول على حق إذ يقول:

(Take care of the sense, the sounds will take care of themselves)

ما هي هذه الفكرة التي تم تحصيل معناها، التي أسلّم بكونها مرحلة وسيطة بين اللغات، والتي أعارضها بدلالة كلمة أو جملة؟

لقد دوّنت خلال مؤتمر حول فنون التسويق نظّمه في باريس مؤخراً بعض ناشري الجرائد عدداً من الأمثلة النموذجية لهذه الظاهرة. كان المدير التجاري للصاندي تايمز قد قدم بلاغاً عنوانه «موقف المستهلكين من المنتوج (الجريدة)، البحث عامل تغيير»، وقد كان يلخص دراسة قامت بها **الصاندي تايمز** من أجل تحديد هوية قرائها، وتكييف أبوابها مع أذواقهم بشكل أفضل. كانت الجريدة قد وضعت قائمة من الأسئلة تحت شكل إثباتات لتفاهات طلبت من قرائها الإجابة عنها بـ «موافق/ غير موافق». وقد ترجمت شفهياً هذه الأسئلة التي ذكرت في صلب البلاغ المقدم في هذا المؤتمر على النحو التالي في مجرى الخطاب بالفرنسية، والذي أمكنني تدوينه فوراً:

جريدة **تايمز**:

TODAY MOST PEOPLE DON'T HAVE ENOUGH SELF-DISCIPLINE

Interprète: Les gens se laissent complètement aller aujourd'hui

الترجمان: الناس متهاونون تهاوناً كلياً اليوم

جريدة **تايمز**:

I EXPECT MY CHILDREN TO HAVE A UNIVERSITY EDUCATION

Interprète: Il va de soi que mes enfants feront des études

الترجمان: من البديهي أن يواصل أولادي دراستهم

تايمز:

CAPABLE MARRIED MOTHERS SHOULD HAVE CAREER OPPORTUNITIES

Interprète: il faut que les femmes qui ont des enfants puissent, elles aussi, exercer un métier.

الترجمان: يجب أن يتاح للنساء اللواتي لهن أطفال، هن أيضاً، ممارسة مهنة

تايمز:

ITS ALL RIGHT TO GET A BIT DRUNK AT A PARTY

Interprète: il n'y a pas de mal à prendre de temps en temps un verre de trop quand on sort.

الترجمان: لا بأس في أن نتناول كأساً أكثر مما ينبغي من وقت إلى آخر عندما نسهر

تايمز:

MY FRIENDS THINK THAT I AM SUCCESSFUL

Interprète: Mes amis considèrent que j'ai une belle situation.

الترجمان: يعتبر أصدقائي أن لي مركزاً جيداً

تايمز:

I APPROVE OF SEPARATE SOCIAL LIVES FOR HUSBANDS AND WIVES

Interprète: Il est normal que mari et femme sortent séparément

الترجمان: من الطبيعي أن يسهر الزوج والزوجة كلّ حيث يشاء بشكل منفصل.

نلاحظ أولاً وقبل كل شيء أن هذه الأسئلة ليست عوارض مصطنعة، وأن لها هدفاً محدداً يرمي إلى الحصول على أجوبة هي من الأهمية بمكان؛ إذ قد تؤدي إلى تعديلات على صعيد تحرير المقالات في الجريدة. هذا التحديد في ما يخص طبيعة هذه الأقوال هام، لأن ذلك ما يميزها بشكل أساسي عن جمل مثل (John joue au golfe) «جون يلعب الغولف» أو (mon chien a des ailes) «الكلبي أجنحة»، وهي جمل يستخدمها علماء النحو التوليدي لدراسة

المضامين على المستوى اللغوي لا غير، وهم يبنون جملهم متحاشين بقدر الإمكان أي احتمال خلط فيها مع الحالة التواصلية اللغوية، بما أن ذلك بالنسبة إليهم لا يدرس إلا دلالة الألفاظ الناجمة عن لعبة التركيب النحوي.

وعلى العكس، وبغية دراسة الترجمة الشفهية، فإنه لمن الأهمية بمكان تحاشي بناء جمل أو نصوص لا تكون ثمرة حالة تواصلية واقعية يتم تسجيلها على الطبيعة. لذلك، لا تلجأ الترجمة الشفهية إلى لغويين اختصوا بدراسة ووصف اللغات، ولكن إلى لغويين بالمعنى الإنجليزي للكلمة، أي أناس يعرفون اللغات ويتقنونها بشكل صائب من دون حاجة الى تذكر قواعد عملها.

إنه لمن المستحيل تقريباً استبانة الفرق بين معنى ما ودلالة لغوية ما اعتماداً منا على لغة واحدة، فما الفرق بين جملة:

CAPABLE MARRIED MOTHERS SHOULD HAVE CAREER OPPORTUNITIES

التي جرى بناؤها كعارض مصطنع (Artefact) من طرف عالِم في النحو، وجملة:

CAPABLE MARRIED MOTHERS SHOULD HAVE CAREER OPPORTUNITIES

ذات معنى، بما أن للقول الشكل ذاته في كلتا الحالتين؟ لا فرق هنا للوهلة الأولى. ومع ذلك، إذا ما قارنا الجملة الإنجليزية مع ترجمتها الشفهية من ناحية، وترجمة دلالتها من ناحية أخرى، بدا لنا الفرق بين لغة أخذت بمعزل عن السياق وأفكار يمكن نقلها بواسطة هذه الجملة في حالة تواصلية.

يمكن لمعنى التعبير الإنجليزي أن يرتدي أشكالاً عدة في الفرنسية، وقد كانت الترجمة الشفهية التي أعطيت له في المؤتمر هي:

(il faut que les femmes qui ont des enfants puissent, elles aussi, exercer un métier).

«يجب أن يتاح للنساء اللواتي لهن أطفال، هن أيضاً، ممارسة مهنة».

كان بالإمكان أن يعطى المعنى بشكل مختلف:

(Les mères de famille doivent avoir la possibilité d'exercer un métier).

(Il faut donner aux femmes ayant des enfants la possibilité de travailler).

«يجب أن تتاح لأمهات الأسر إمكانية ممارسة مهنة»، أو «يجب إعطاء النساء اللواتي لهن أطفال إمكانية العمل» . . . إلخ. يمكننا أن نجد، كل في لغته، أشكالاً عدة للتعبير.

لنعد إلى الإنجليزية حتى نرى كيف كنا سنترجم هذه الجملة لو لم يكن لها معنى، لو كانت الدلالات وحدها التي تضفيها عليها اللغة الإنجليزية هي التي ستؤخذ بعين الاعتبار بمعزل عن رد الفعل الذي ترمي الجريدة إلى الحصول عليه من الأشخاص الذين تم استجوابهم. سنلاحظ عندئذ أنه مهما تعدّدت احتمالات التعبير عن معنى ما في لغة أخرى، لن يصل بها الأمر إلى أن تشتمل على احتمال مرامزة الدلالات المتوفرة في الوصف اللغوي، ما يشكل إدانة للمقارنة (Comparatism) كأساس للترجمة.

حسب قاموس **هارابس** *(Harrap's Shorter French and English Dictionary)* المقابلات الفرنسية للعناصر الدلالية المكوّنة للجملة الإنجليزية هي:

Capable: capable, compétent, maîtresse-femme

قادر على، كفؤ، امرأة حازمة

To marry: se marier, épouser, faire un mariage,
convoler, s'allier, s'apparenter,

تزوج، اقترن، أجرى زواجاً، اتحد مع، صاهر.

A married couple: un ménage etc.

أسرة، عائلة... إلخ

Mother: mère

أمّ

Career: carrière (course précipitée)

عَدْوٌ سريع، مهنة

Opportunity: occasion

فرصة

يوجد لكل كلمة إنجليزية مقابل واحد بالفرنسية على الأقل. ولكن للتعبير بالفرنسية عن معنى الجملة الإنجليزية، لا يمكن استعمال هذه المقابلات. لا يمكننا أن نقول بالفرنسية: (des mères mariées capables devraient avoir des occasions de carrière) «يجب على الأمهات المتزوجات القادرات أن يحصلن على فرص مهنة» لترجمة:

CAPABLE MARRIED MOTHERS SHOULD HAVE CAREER OPPORTUNITIES

بالطبع، يعلم الكل اليوم أو يفترض أن الكل يعلم أننا لا يمكننا ترجمة كل كلمة من كلمات الجملة الواحدة بعد الأخرى بحثاً عن مقابل في اللغة الأخرى. وإذا ما أخذنا بالتالي الجملة بأكملها، وحاولنا ترجمة دلالاتها جاهدين مع ذلك لقول الأشياء بطريقة أقرب إلى الطابع الفرنسي، سنحصل على الجملة التالية:

(il faudrait que les femmes mariées qui ont des enfants aient l'occasion de faire carrière si elles en ont la capacité)

«يجب على النساء المتزوجات اللواتي لهن أطفال أن يحصلن على فرصة لممارسة مهنة إذا كن قادرات على ذلك». والجملة

الفرنسية (si elles en ont la capacité) «إذا كن قادرات على ذلك» بعيدة كل البعد عما يقابلها على المستوى اللغوي أي (capable) بالإنجليزية، ولكنها أقرب بالفرنسية إلى ما تود **الصاندي تايمز** قوله في هذا السياق. تشير (capable) الإنجليزية هنا إلى «قادر على العمل»، «قادر على ممارسة مهنة» . . . إلخ. والحال هذه، إذا ما قلنا بالفرنسية (des mères capables) «أمهات قادرات» هذا قد يعني عند الاقتضاء (de bonnes mères, de bonnes épouses, de bonnes ménagères) «أمهات صالحات»، «زوجات صالحات»، «ربات بيت صالحات»، وليس ممكناً لأي من هذه الصفات أن تقترح للتعبير عن أن أولئك النساء يرين أنفسهن في وضع يعطيهن فرص عمل (career opportunities).

ولكن ليست الكلمة الإنجليزية (capable) هي الوحيدة التي لا يمكن استعمال مقابل لغوي فرنسي لها في هذه الجملة، إذ تفرض (mother) هنا بالفرنسي (mère de famille) (femme ayant des enfants) أي «امرأة لها أولاد» أو «أم أسرة»، ولا يمكن استعمال أم وحدها، بينما لا يوجد في اللغة مقابل أبسط من (mother) = أم، علاقة يفترض أن تكون أكثر ثباتاً. لا يمكن أن نقول بالفرنسية (mère mariée) «أم متزوجة»، ربما لأنه يبدو بالفرنسية أكثر منطقياً أن تؤخذ الأحداث حسب تسلسلها الزمني: نتزوج قبل أن ننجب أطفالاً (على أي حال هذا ما كان يجري العمل به في اللحظة التي بني فيها منطق اللغة!). إذاً فالمرأة امرأة متزوجة قبل أن تغدو أماً. وبالتالي، إذا أردنا الاحتفاظ في الفرنسية بكلمة متزوجة، فينبغي ربطها ليس بأم ولكن بامرأة. نقول امرأة متزوجة ولا نقول أم متزوجة. وباختصار، تتضمن هنا (married) بالإنجليزية فكرة أن زوج هذه الأم يرغب في أن تعنى امرأته به في البيت. وإذا كنا نريد بالفرنسية الإحالة الى فكرة الزوج،

يمكننا الاحتفاظ بكلمة أم في التعبير (mère de famille) «أم أسرة»، ولكن سيقف هنا منطقنا الديكارتي الجميل، لأنه إذا أمكننا قول إن الزوج عضو من الأسرة، من الصعب علينا اعتبار أن زوجه هي في الوقت ذاته أمه. . . ! يحافظ المعنى الخاصّ بالحالة التواصلية على مسافة بينه وبين دلالة اللغة الجامدة، فيقتضي على سبيل المثال أن نتخلى عن (capable) بالفرنسية لنقول (si elles ont en la capacité) «إذا كن قادرات على ذلك»، ولكن أيضاً (mères) أمهات بكل بساطة لنقول (mères de famille) (femmes ayant des enfants) «نساء لهن أطفال» أو «أمهات».

بإمكاننا أن نواصل إلى ما لا نهاية هذا النوع من تمارين الترجمة الذي نقوم من خلاله بالموازنة بين كل تعبير عن قول ذي معنى وبين مقابلاته في اللغة الأخرى، مرة على مستوى المعنى ومرة على مستوى دلالاته اللغوية الخالصة، ونرى من دون جهد المكملَ المعرفي الذي يقترن بكل فعل تواصلي مقارنة باللغة الأداة. وهكذا نكون قد حللنا ما يفعله التراجمة الجيدون بشكل عفوي عندما يشعرون أنهم لا يستطيعون أن يقولوا أُمّ بدلاً من (mother)، أو قادر على بالفرنسية بدلاً من (capable) بالإنجليزية. هذا وحين يمارس الترجمان الجيّد عمله، يدرك المعنى والمعنى وحده، وهو ذاته الذي يتلمّسه في سائر الظروف التواصلية، إذا كان قادراً على نقل معنى جملة (capable married mothers should have career opportunities) كما تصورتها الصانداي تايمز وكما فهمها القرّاء الإنجليز، فهذا يعني أن له سلوكاً لغوياً طبيعياً.

إن إدراك المقصد عبر اللغة، لا إدراك اللغة وحدها، هو أساس الترجمة الشفهية، وبما أننا لا يمكننا القيام بترجمة شفهية بشكل صائب اعتماداً منا على المقابلات الموجودة مسبقاً بين لغتين، ولا

يمكننا أن نرصف تعابير الواحد تلو الآخر أو كلمات مقابل أخرى، لا يبدي التراجمة اهتمامهم بمركبات اللغة الفردية إلا إذا فرضت بعض المرامزات نفسها بدقة (سيليسكوفيتش 1975). وإلا كان اهتمامهم بالمعنى فقط*تاركين حسب قول لويس كارول (Lewis Carroll)، (the words take care of themselves)، أي: «الكلمات تعنى بتوصيل معناها». للقيام بترجمة شفهية، علينا أن ننسى أن هناك مقابلات بين اللغات، وأن نعتبر أن الكلمات ليست سوى رسل يمكن لنا أن نتركها تذهب في حالها وتتوارى لأننا لا نحتاج إلى استحضار كلمات أخرى كي نكررها.

تقابل الترجمة الشفهية العملية التواصلية أحادية اللغة في سرعتها، تقرع الكلمات السمع بمعدل 150 كلمة في الدقيقة، ولا يبقى أي منها في الذهن أكثر من ثلاث أو أربع ثوان أبداً، ولا يعلق في الذاكرة أكثر من سبع أو ثماني كلمات في الوقت ذاته. تلاحق الجمل متلاش، ليس بإمكاننا أن نحفظ عن ظهر قلب دقيقتين من الكلام على الأقل (حوالى 300 كلمة). ومع ذلك، نتذكر فحوى هاتين الدقيقتين عدة ساعات بعد سماعنا إياها. نعرف من دون أدنى شك ومن دون حاجة بنا إلى تكراره على أنفسنا ما قاله لنا صديق أو جار خلال حديث قصير.

هذا ما اكتشفه التراجمة، وأعتقد أن لهذا الاكتشاف شأناً عظيماً في علم اللغة: ليست هناك أي فائدة تذكر من مقابلات دلالية تم تحديدها بعناية عندما يتعلق الأمر بنقل معلومة إلى لغة أخرى. وكي نستحضر عند الفرنسيين الفهم ذاته الذي يستحضره خطاب إنجليزي في حفل إنجليزي (أو خطاب ألماني في حفل ألماني، أو خطاب ياباني في حفل ياباني . . . إلخ) يجب الاستعانة بكلمات غير المقابلات الدلالية للكلمات الإنجليزية والألمانية واليابانية. . . إلخ. وهذا ينطبق على كل لغة، وعلى كل تشكيلة ثنائية اللغة، فاللغات

تختلف في بناء المرسلة نفسها، إذ لا تستعين بالقطع الدلالية نفسها. بعد أن تم هذا الاكتشاف، توقف التراجمة، الذين عليهم الترجمة على وتيرة عملية القول الشفهي للخطاب، عن الانشغال بالدلالات اللغوية، وجهدوا في إعادة التعبير عن المعنى بلغتهم. وأياً كانت البنى، والدلالات، وعلم النحو في اللغة المصدر، كل هذا لا يزعجهم.

لا يولي الترجمان الذي يركز على فهم الأفكار، مثله مثل أي مستمع عادي، اهتماماً بما تعنيه الكلمات، ولكن بما يريد الشخص الذي يتكلم قوله. فهو لا يتصرف على مراحل، لا يبدأ بتسجيل ملاحظات تفترض أن (married mothers) تعني أسرة، زوج، أولاد. وفي ذهنه، ليست الدلالة اللغوية لـ (married) = متزوجات ولـ (mothers) = أمهات، ولا يدرك إلا في ما بعد أن (married mothers) في هذه الحالة على التحديد يجب أن تصبح «نساء لهن أولاد» أو «أم أسرة». كلا، فبالسرعة التي تجري بها عملية القول، يفهم الترجمان معنى القول ككل، ويتماثل هذا الكل مع فكرة خاصة به في اللحظة التي يستعد لقولها: يترك عندئذ الكلمات تقول وحدها ما يوجد في ذهنه، وهذا ما تفعله في الحال. لنعرض من جديد تأكيدات **الصاندي تايمز** والترجمة الشفهية التي أعطيت لها على إيقاع تقدم السلسلة الخطابية الطبيعية:

تايمز:

TODAY MOST PEOPLE DON'T HAVE ENOUGH SELF-DISCIPLINE

الترجمان: الناس متهاونون اليوم تهاوناً كلياً

تايمز:

I EXPECT MY CHILDREN TO HAVE A UNIVERSITY EDUCATION

الترجمان: من الطبيعي أن يواصل أولادي دراساتهم

تايمز:

ITS ALL RIGHT TO GET A BIT DRUNK AT A PARTY

الترجمان: لا بأس أن نتناول كأساً أكثر مما يتبغي من وقت الى آخر عندما نسهر

تايمز:

MY FRIENDS THINK THAT I AM SUCCESSFUL

الترجمان: يعتبر أصدقائي أن لي مركزاً جيداً

تايمز:

I APPROVE OF SEPARATE SOCIAL LIVES FOR HUSBANDS AND WIVES

الترجمان: من الطبيعي أن يسهر الزوج والزوجة كل بشكل منفصل.

تبيّن هذه الأمثلة أن الترجمة الشفهية لا تعتمد على اللغة لنقل دلالاتها، فهي تنطلق من اللغة لفهم الفكرة التي يريد الشخص إيصالها، ومع تلاشي التعبير الأصلي، تعبّر عن هذه الفكرة بعفوية من دون الرجوع على الإطلاق الى الشكل الذي كانت ترتديه في اللغة الأولى. ولا تبقى الأشكال اللغوية حاضرة في ذهن المستمع إلا ثلاث أو أربع ثوان، وهذا أيضاً معدل التباين بين الخطاب والترجمة الفورية. إنه الوقت اللازم من أجل أن يتراكم عدد كاف من الكلمات ليولد فكرة، ومن أجل أن تتلاشى الدلالة الفردية لهذه الكلمات غير تاركة إلا المعنى الذي لا يمثل أي صعوبة في التعبير عنه بما أن الكلمات التي تنقله تأتي إلى شفاه الذين يتحكمون بلغتهم الأم عفوياً.

قمنا في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين (ESIT) بعدد كبير من التجارب حول النموذج أعلاه، لإثبات أن المعنى الذي يفهم من الأقوال الحية ينبغي ألا يخلط مع دلالات اللغة، وأن العلاقة القائمة بين الأفكار والكلام ليست كتلك الموجودة بين الدوال والمدلولات.

كتب جان بياجيه في كتابه **الوعي**[1]: «... إنها عملية تأويل (بمعنى أنها عملية تكوين مفاهيم لشكل ما قد يكون لفظياً أو تصويرياً) تسمح بدمج إدراك ما... وهي (. . .) التي تشكل الوعي به. من دون هذه العملية يبقى الإدراك، وإن كان واعياً في درجة «بسيطة»، متلاشياً. حتى أننا سنميل إلى الاعتقاد أن الإدراك الباطني ليس إلا إدراكاً من دون تأويل يلازمه وعي بسيط ولكنه غير كاف لاختراق حقل تكوين المفاهيم، وبالتالي ليكون هناك «شعور بالوعي»». إذا انطلقنا من وجهة النظر هذه، نقف على السلوك اللغوي للأفراد الذين هم في حالة تواصلية ونلاحظ أنهم طالما يبقون في لغتهم لا يجنّدون عن وعي الكلمات التي يستعملونها، ولا يسمعون عن وعي تلك التي يتلقونها. إنه لمن النادر أن يختار المرء عن عمد كلماته، ولمن النادر أن يتذكر تلك التي قيلت على ألسن الآخرين.

يلاحظ رومان جاكوبسون أيضاً، من بين ملاحظاته العديدة عن اللغة، طبيعتها اللاإرادية. بعد فترة تعلم اللغة، تقع اللغة الأم في نطاق العمل اللاإرادي، وتصبح أداة فورية وطبيعية بشكل تكون فيه جاهزة للتعبير عن مقصد كالأيدي للقيام بالحركات، لإشعال سيجارة، أو كتابة رسالة، نحن ننجح في هذه الحركات من دون أن يكون توجيهها الواعي ضرورياً. وكذلك نحن نقول ما نريد من دون أن نختار أي فونيم يشير إلى المقصد، ونحن نكتب من دون أن نوجه يدنا مع كل خط سميك أو رفيع.

يوافق المعنى حالة من الوعي بينما تكون الأداة اللغوية المستعملة للإبلاغ من باب اللاإرادي. وعندما تكون الترجمة الشفهية جيدة، بمعنى أنها عندما تكون مفهومة على أكمل وجه من طرف من

---

(1) Jean Piaget, *La Prise de conscience* (Paris: Presses universitaires de France, 1974), p. 259.

يسمعها، يمكن استعمالها كعدسة مكبرة في دراسة الطريقة التي يعمل بها كل من اللغة والذهن في شروط الحالة التواصلية الحقيقية. إن المعنى المبلغ عنه بواسطة فعل الكلام لهو أوسع وأضيق في آن من الدلالات اللغوية. خذ كلمة من لغة ما، وافحصها. في كل الأحوال، يمكننا أن نلصق بها عدة دلالات محتملة. الشيء ذاته صحيح إذا ما نظرنا الى عدة جمل بشكل منفرد. وعلى العكس، خذ كلمات أو جملاً في حالة تواصل فوري تجدْ أن المتكلم لا يستخدم إلا جزءاً من دلالاتها السديدة، وبالمقابل، يلحقها بمكملات في المعنى نادراً ما تبقى كما هي في ظرف معيّن. (كلمة الجنرال طويلاً ما عنت ديغول كما استخدمت كلمة المارشال للإشارة إلى بيتان). تتوقف هذه المكملات المعرفية على الظروف التي أنتج فيها القول والمعلومات التي احتوتها الجمل السابقة له كمعارف يتقاسمها المتحاورون. وهكذا فإنه للضمائر (je) «أنا» و (vous) «أنتم» في اللغة مثلاً دلالة نحوية ذات صلاحية عامة، ويمكن انطباقهما على كل من يقول «أنا» وكل ما يشار إليه بـ «أنتم». وطالما بقيت هذه الضمائر بمعزل عن الخطاب، ليست لها غير دلالات محتملة، ولكن عندما أقول هنا أمامكم (je vous parle) «أنا أتكلم إليكم»، أنتم يا من تسمعونني ستلحقون بهذه الضمائر مكملاً معرفياً يأتي من طرفكم لا من اللغة، حيث تبقى كلمتا «أنا» و«أنتم» على حالها من دون تغيير. يولد المعنى في وعي المستمع إذاً من إدراك دلالة لغوية ثابتة تندمج مع المناسبة التي تقال فيها.

لنترجمَ شفهياً، يجب ألا ننسى أبداً أن هدف العملية هو نقل معنى، وأنه من الجدير عدم إلصاقه بكلمات وبنى جمل النص الأصل التي يجب ألا تترجم كما هي عليه، فما هي سوى إشارات تدل على الطريق الذي يجدر اتباعه لا الطريق ذاته.

تختلف الترجمة الشفهية الجيدة، الترجمة التي تزيل الحواجز بين اللغات، عن الترجمة الكتابية بالقدر الذي لا تتوقف فيه عن الموازنة بين كلمات وجمل من أجل الاحتفاظ بدلالاتها في اللغة الهدف. وليس موضع الخلاف في طبيعة صيرورة الترجمة الكتابية بقدر ما يتعلق بطرائقها، إذ يضيف المترجمون مرحلة إلى صيرورة فهم المعنى وإعادة التعبير عنه: إنهم يعودون إلى النص الأصل. يبحث المترجمون، مثلهم مثل التراجمة، في المراحل الأولى من الترجمة الكتابية عن معنى النص، ويعبرون عنه في اللغة الأخرى. بعد أن تتم الترجمة الأولى هذه، يعملون جاهدين للوصول إلى تطابق بين تعبيرهم والدلالات اللغوية للغة المصدر (دوليل (Delisle) 1980). لكنها المرحلة الأولى، مرحلة فصل المعنى والدلالات اللغوية هي التي تعطي للمهنتين الأختين خصائصهما المشتركة ـ كل ترجمة كتابية هي ترجمة شفهية، حتى وإن لم تكن كل ترجمة شفهية ترجمة كتابية!

ثمة من يرغب في أن تكون الترجمة الكتابية جد أمينة لدلالات اللغة المصدر، وهؤلاء يمكن مقارنتهم بأناس يدّعون قطع نهر من دون تغيير الضفة التي يقفون عليها. نحن نغيّر لغة أو لا نغيّرها، نحن نقطع مجرى الماء أو نبقى على اليابسة.

يعتمد برنامج التأهيل المتبع في «مدرستنا (ESIT)» على مبدأ أساسي: لنقل مرسلة، لجعلها تمر بتمامها في اللغة الأخرى، يجب التركيز على المعنى.

كيف اكتشف التراجمة أن ترجمة الدلالات بالسرعة التي تتقدم بها السلسلة الكلامية، وإن تمت بطريقة صحيحة، لا تزود بالمعنى؟ كيف انتبهوا الى أن قول جمل بالفرنسية تكتسي أشكالاً وردت بها بالإنجليزية، بالألمانية، باليابانية، لا تنقل للمستمعين الفرنسيين أفكاراً كانت واضحة مع ذلك في روايتها الأصلية؟ أولاً وقبل كل

شيء، لأنه يلزمهم عند القيام بترجمتهم بالسرعة الطبيعية للكلام أن يكونوا جد واضحين من أجل أن يفهمهم الحاضرون، فكل جملة لا تكون مفهومة في الحال تؤثر بدورها في الجمل الأخرى التي تليها، والتي تتلاحق بشكل مطرد.

ثانياً، لأنهم يشاركون في المؤتمر الذي يترجمونه، ويمكنهم أن يتأكدوا من ردود فعل الحضور إذا كانوا قد فهموا ترجمتهم. وعلى العكس، بإمكانهم إدراك أن الالتصاق الشديد بالدلالات اللغوية قلّما يسمح بتمرير المعنى فوراً.

هذا وتعطي طريقة الترجمة التي تحترم الدلالات الأصلية نتائج مضحكة أحياناً، وإليكم مثلاً على ذلك: استلم مدير شركة فرنسية كبرى رسالة شكر من الاتحاد السوفياتي حيث أنهى اثنان من مهندسيه دورة دامت عدة أشهر وتقول الرسالة في جزء منها:

Gospodin V...i gospodin A ...proïavili sebia kvalifitsirovannie, rabotosposobnie, disciplinirovanie rabotniki,

متبوعة بالترجمة الفرنسية:

Monsieur W.. et Monsieur A .... se sont montrés des travailleurs qualifiés, aptes au travail et disciplinés...»

لقد أظهر السيد س. . . والسيد ص. . . أنهما عاملان كفؤان، قادران على العمل، ومنضبطان. . .».

برطم المهندسان، ولإزالة السخرية، احتاج الأمر الى ترجمة أخرى جيدة للنص الروسي كما هو آت:

Monsieur W... et Monsieur A... ont fait preuve de compétence, de conscience professionnelle, et d'un grand sérieux dans leur travail...

«لقد أثبت السيد س. والسيد ص.... قدراً من الكفاءة والضمير المهني وجدية كبرى في عملهما...».

أذكر أني ترجمت شفهياً ذات يوم للجنرال ديغول (De Gaulle) أثناء زيارة رسمية قام بها رئيس وزراء يوغوسلافيا، كانت الكلمات الأولى التي نطق بها رئيس الوزراء بحضور ديغول (Vi ste vrlo svezi). وكلمة (Svez) بالصربية تعني طازج، وينطبق المصطلح على المنتجات الغذائية والناس في آن، فعلى سبيل المثال (Sveza riba) أو (svses meso) تعنيان سمك طازج أو لحم طازج، ولكن يقال هذا أيضاً للأشخاص الذين لهم سحنة حسنة. أضف الى ذلك أننا في يوغوسلافيا نبدأ غالباً الكلام في امتداح سحنة محدثنا، وصحته الجيدة. عندما نترجم شفهياً، ليس لدينا بالطبع الوقت للتفكير في كل هذا، لكنني كنت أعلم تمام العلم أنني لن أقول للجنرال إن شكله طازج، ولا إن له سحنة حسنة. سمعت نفسي أقول: «انك لتبدو شاباً، يا جنرالي». على الرغم من رعونتها، كانت كلماتي تعبّر عن معنى إطراء قيل بكل صدق، وهكذا فُهم الإطراء الذي أسعد الجنرال، رغم ايماءة التعب التي ذكر بها سنه.

أعدَّ فريقُ البحث الذي أُشرفُ عليه في جامعة السوربون الجديدة، بعد أن لاحظ منذ سنوات في مؤتمرات دولية لا يمكن حصرها أن المعنى هو الإدراك وليس الدلالات اللغوية، أعد الفريق نظرية تأويلية في الترجمة تنطبق على الترجمة الشفهية والترجمة الكتابية للنصوص المعاصرة في آن (تطرح الناحية الجمالية للأدب مشاكل شكلية خاصة، من اللازم معالجتها على حدة). تعارض نظريتنا التأويلية في الترجمة النظريات اللغوية التي تخلص إلى استنتاجاتها من المقارنة بين اللغات، وتصل إلى ما كان اليونان يسمونه معضلة، بمعنى تناقض لا حل له في مسألة منطقية: يقول المدافعون عن النظريات اللغوية في الترجمة إن اللغات ليست قابلة للترجمة بسبب اختلافاتها العميقة، في حين أنه لإقامة نظريات عن الترجمة، تظل اللغات هي موضوع دراستهم، حتى رومان جاكوبسون

(1959) الذي كتب في مقال شهير حول الترجمة إن التجربة المعرفية يمكن نقلها أياً كانت اللغة، يجد الترجمة صعبة من حيث إن «اللغات تختلف أساساً بما يجب عليها التعبير عنه وليس بما يمكنها التعبير عنه»، والحال تلك بين الفرنسية والصربية. ولنعبرَ عن فكرة (tante) «عمة»، نجد أن الصربية تستخدم (tetka)، (unja) و(strina)، بينما لا تملك الفرنسية سوى كلمة واحدة، ولكن يمكنها أن تعبّر عن كل مصطلح من المصطلحات الثلاثة بقولها (la sœur du père ou de la mère) «أخت الأب أو الأم»، أو أيضاً (la femme de l'oncle paternel / celle de l'oncle maternel) «زوجة العم» أو «زوجة الخال»، أو كذلك (Tante Huguette/ Tante Sophie) «العمة أوغيت» أو «العمة صوفي». ووفق جاكوبسون، تأتي الصعوبة من اللغة التي لا تمتلك الكلمة المحتوية أو اسم الكل، فعليها أن تحدد طبيعة القرابة لترجمة كلمة «عمة». وهذه حال الصربية. وفي نظر المترجم، لا وجود لهذه المشكلة ضمن الحالة التواصلية، فإما أن يزودنا النص نفسه بدرجة القرابة في مكان آخر، فيصبح من السهل ترجمتها، وإما يعدل عن ذلك، مما يدل على أن درجة القرابة من دون أهمية: سينطبق عند ذلك المصطلح الأكثر استعمالاً بين المصطلحات الثلاثة في الصربية (Tetka). ليست أخت الأب فحسب، بل كل قريبة، حتى أنها كل صديقة بعمر الوالدين. (Tetka) تترجم إذاً «عمة»، من دون إضافة أي تحديد لقرابة، بما أن القارئ الصربي سيجهل ـ بمقدار القارئ الفرنسي ـ إن كان المعني أخت الأب أو الأم، أو قريبة أو صديقة.

يتوجب الحذر من الخلط بين ترجمة اللغة وإعادة التعبير عن المعنى، بين اللسانيات وعلم الترجمة. في عالمنا اليوم، ومع الدور الذي يؤديه التواصل في كل الميادين، الاقتصادية والتكنولوجية

والعلمية والمالية والسياسية. . . إلخ، يصبح من الأهمية بمكان أن نفهم جيداً آليات الترجمتين الكتابية والشفهية، ولم يعد اليوم وارداً أنه يمكننا الاكتفاء بلغة كونية. لقد وصل بروز اللغات الوطنية واستعمالها في كل ميادين التواصل إلى نقطة لا رجعة فيها. منذ العام 1960، وهي السنة التي أطلق فيها الروس أول قمر اصطناعي لهم، زاد عدد النصوص المترجمة والمؤتمرات التي تلجأ إلى الترجمة الشفهية بسرعة، وفي المستقبل، لن تقف الترجمة الكتابية عند حدود الأدب، كما هو الحال منذ قرون، ولكنها ستطال كل ميادين النشاط الإنساني. ومتى أدركنا بوضوح أن الترجمة هي الفهم اختفت ساعتها مواطن سوء الفهم والضغينة، والارتياب التي مازالت تسود غالباً في العلاقات بين البلدان وبين الأفراد الذين من الصعب التفاهم في ما بينهم عبر حواجز اللغات.

د. سيليسكوفيتش(*)

(*) نشرت الصيغة الأولى لهذا النص في: *The Incorporated Linguist*, vol. 16 (1977)، تحت عنوان: «Take Care of the Sense and the Sounds will Take Care of Themselves or Why Interpreting is not Tantamount to Translating Languages».

نظرية المعنى وآلة الترجمة

إن الأخبار التي تصلنا عن التصور الجديد إلى الترجمة الآلية المسماة «الذكاء الاصطناعي» مشجعة لدرجة أنني أعلن على الملأ أنه يسرني كثيراً أن أتطرق إليها ضمن دفتي هذا البحث نظراً إلى ما تتضمنه من أفكار مجددة، بعيدة كل البعد عن التصورات اللغوية والنحوية المحضة التي وجهت الأبحاث حول الآلة لمدة خمسة عشر عاماً، فعلى امتداد هذه الفترة، بدا لنا أنه تم تجاهل واقع أن المحادثة تتم عبر تبادل أفكار بواسطة أداة اللغة وليس عبر تبادل نبذ من الفرنسية أو الإنجليزية، كما تم تجاهل أننا نترجم مرسلة يحتويها نص ما ولا نترجم لغةً.

أما الأبحاث السابقة فكانت تنطلق من الفرضية القائلة إنه بعد التعمق في دراسة آليات عمل الدلائل الألسنية، يتسنى لنا الاستفادة منها لكي نزود الآلة بالتعليمات الضرورية للانتقال من لغة إلى أخرى، وعليه ـ والخطأ يكمن هنا بالتحديد ـ، للانتقال من نص إلى آخر، لن أبالغ وأزعم أن الاهتمام الحالي باللسانيات يجد تسويغه الوحيد في هذه النقطة بالذات، إلا أنني أعتقد أن الحاجات إلى التحليل اللغوي التي نشأت جراء الأبحاث حول آلة الترجمة ليست غريبة عن ازدهارها. وبالفعل، فكيف لا نبذل قصارى جهدنا لمواجهة

رهان كهذا، في فترة تزداد فيها الحاجة إلى الترجمة على قدر انفجار المعلومات ويرتدى فيها التبادل الاقتصادي والتجاري في عالم بلا حدود أهمية كبيرة، فإن لم تضطلع الترجمة بدورها وقعنا لا محالة تحت هيمنة لغة واحدة ذات طبيعة نفعية سوف تؤدي بالتأكيد إلى دحر اللغات والثقافات الوطنية شيئاً فشيئاً.

والخبر الطريف أن يكون عقيد من أصل فرنسي، العقيد دوستر، من عداد من أعطى دفعة للأبحاث حول آلة الترجمة ومن شجع على اعتماد الترجمة الفورية في الأمم المتحدة، فانتشرت منها لتعم العالم بالنجاح الذي شهدناه. بيد أن هذا النجاح لم يُعز للنظام في حد ذاته الذي تم تصوره لأغراض الترجمة الآلية إنما للجهود الباهرة التي بذلها التراجمة العاملون وملؤها ذكاء وفطنة. وبفضل الجهد المنهجي الموازي الذي تم بذله في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين (ESIT)، فإن نظام الترجمة الفورية قد أعطى اليوم نتائج مُرْضية تقريباً.

هل شهدت الآلة التحول الذي شهدته الترجمة الفورية؟ أو هل بإمكانها أن تشهد هذا التحول في ما بعد؟ تتوالى الأنظمة جيلاً بعد جيل، على وتيرة تطور التحليل الدلالي والنحوي، كما يتم تخزين قواميس غنية أكثر فأكثر بالمفردات المنعزلة والعبارات الجاهزة في الذاكرة. هذا وتتضاعف البرامج الفرعية النحوية والصرفية منها، بينما البرامج المنطقية تتيح إزالة غموض الاشتراك اللفظي والمجانسات الكتابية وحصر العبارات والجمل. . . إلخ. ومع ذلك، ليست الآلة قادرة على الترجمة بالمعنى الصحيح للكلمة.

إنني شخصياً أنسب هذه الصعوبات إلى واقع أن الأنظمة المتوالية تتقيد جميعاً بالتقليد اللساني. وما من نظام من بين تلك الأنظمة التي تم إعدادها خلال الخمس عشرة سنة المنقضية، من أمثال: LOGOS, XYZYX, SMART, SYSTRAN, TAUM-METEO TAUM-AVIATION...

قد أسس على مراقبة الترجمة الإنسانية أو على تقليد الطرق التي تنتهجها، فكل هذه الأنظمة تنطلق من الفرضية الضمنية القائلة إنه من الممكن أن نترجم نصوصاً عبر ترجمة لغتها وما من نظام يأخذ بالاعتبار المعارف غير اللغوية التي يأتي بها الترجمان دوماً أثناء إنجاز عمله.

ونظراً إلى الازدهار الذي شهدته اللسانيات بفضل هذه الأبحاث، ظن باحثون بارعون أن في مقدورهم شرح الترجمة الإنسانية انطلاقاً من الأسس اللسانية، فقيدوها هي أيضاً وأقحموها في التحليل الدلالي والنحوي. وكتب علماء بنيويون أمثال جاكوبسون وكاتفورد (Catford) ومونان دراسات لامعة ومفارقة لم تساهم في حل مشكلة ترجمة النصوص على الإطلاق، مع أنها قامت بتحليل مشاكل ترجمة الكلمات والبنى النحوية تحليلاً دقيقاً ومسهباً. ثم جاء شومسكي الذي قام من خلال النحو التوليدي هذه المرة بتعميم الخاصيات التي تم اكتشافها في اللغة ليس فقط على الترجمة وإنما على خاصيات العقل البشري أيضاً.

ظل المترجمون حائرين، فاللسانيات أربكتهم، إذ إنهم من خلال الخوارزميات ونظام التشجير، المفترض منهما أن يكشفا عن بنى عميقة أسفل البنى السطحية، لم يكونوا ليتعرفوا على الوسائل التي كانوا يستخدمونها للوقوف على معاني النص أو لإعادة التعبير عنها، ففي نظرهم، يبقى السؤال مطروحاً تحت شكله الأولي: هل يجوز أن نطلب من الآلة أن تقوم بغير المرامزة، بمعنى استبدال كلمة في لغة بكلمة في لغة أخرى؟ هل يجوز أن نتوقع منها أن تدرك يوماً معنى النصوص، أي القصد الذي ينبغي للمترجم إعادة التعبير عنه؟

انطلقتُ من العملية الترجمية كما تدور في الترجمة الفورية لأذهب إلى نقيض التوجهات اللسانية وبدأت منذ خمس عشرة سنة

بوصف تطورها، فبينت أن المعارف غير اللغوية والذاكرة في مختلف درجات ثبات المعلومات وترسخها في الأذهان تقوم بدور هام بمقدار البنى اللغوية إن لم يكن أكثر، وأنها، أي هذه العناصر، حاسمة بالتالي لإنتاج التبادل اللفظي لدى الراشد وفهمه. والاعتقاد أن الترجمة هي المرور مباشرةً من لغة إلى أخرى هو التسليم بسعة المعرفة فحسب، والقول إن الترجمة هي المرور عبر المعنى هو التسليم بالعقل والإدراك.

هذا وأتت التطورات الأخيرة للمعلوماتية في أوانها لتدعم مقولتي، فاسم النظام في حد ذاته (SAM) (Artificial Intelligence) «الذكاء الاصطناعي»، رمز للتوجه الجديد الذي برز في الترجمة الآلية. وفي مقال نشر في تقرير المؤتمر العالمي لعلم النفس الحادي والعشرين المنعقد في باريس عام 1976، درس كل من ك. ك. ريسبيك (C. K. Riesbeck) ور. شانك (R. C. Schank) وضع هذا التوجه الجديد. وسأستخلص من هذا التقرير بعض المبادئ لأبيّن كم تتطابق مع نتائج البحث في مجال الترجمة البشرية الذي يتم في مدرستنا (ESIT).

1) لا يمكن استخلاص معنى جملةٍ ما تندرج في سياق الكلام من دلالتها خارج السياق.

ويدلي ريسبيك وشانك بمثال الجملة: (I just came from New-York) (ها قد عدت من نيويورك للتو). تنطوي هذه الجملة على دلالة تضفيها عليها معرفتنا للغة الإنجليزية، ولكن دلالتها لم تتضح بعد، فهي للرد على جملة (Would you like to go to New-York today?) «أتود الذهاب إلى نيويورك اليوم؟»، قد تكتسب معنى كلا تقريباً، وبعد الجملة (Would you like to go to Boston today?) «أتود الذهاب إلى بوسطن اليوم؟» تكتسب معنى: (No, I am tired to travel) «كلا، سئمت من السفر»، وبعد (Why do you seem so out

of place?) «لماذا تبدو وكأنك لست معتاداً على المكان؟» قد تكون هذه الجملة (I just came from New-York) «ها قد عدت من نيويورك للتو» هي الرد... إلخ.

وهكذا يكتشف المنطقيون أن معنى جملة ما يتجاوز مجموع دلالاتها التي تزودها بها اللغة. أما نظريتنا إلى الترجمة القائمة على المعنى فقد اكتشفت ذلك منذ أمد. لننظر بالفعل كيف سنترجم الجملة (I just came from New-York) في الحالات الثلاث المذكورة أعلاه:

المرامزة: (Je viens d'arriver de New-York) (ها قد عدت من نيويورك للتوّ)

الترجمة رداً على السؤال (Would you like to go to New York today?) (هل ترغب في السفر إلى نيويورك اليوم؟) (J'en viens!) «عدت من هناك حالاً!». وعلامة التعجب تعبّر بشيء من التلبك عن المقاومة التي تثيرها مجرد الفكرة والتي كان من شأن السمات النغمية على المستوى الشفهي أن تعبّر عنها أحسن تعبير.

الترجمة رداً على السؤال (Would you like to go to Boston today?) «أتود الذهاب إلى بوسطن اليوم؟» قد يكون (J'arrive à peine de New-York) (وصلت للتو من نيويورك) ويشير الرد إلى أن الرغبة في ركوب الطائرة مرة ثانية منعدمة تماماً.

الترجمة للرد على السؤال (Why do you seem so out of place) «لماذا تبدو وكأنك لست معتاداً على المكان؟» قد تكون (Je suis New Yorkais et je débarque!) «إنني من نيويورك، وقد وصلت تواً، ولا دراية لي بأي شيء!»، فالترجمة تعتمد صياغات مختلفة وفق المعنى الذي يرتديه القول ذاته، وهذا دليل على أن المعنى لا يحدده النظم اللغوي للقول فحسب، وأن الترجمة التي لا تهتم سوى بالدلائل الألسنية ليس من شأنها أن تعبّر عن معنى المرسلات تعبيراً

صحيحاً. وجدير بالذكر أن إحدى الأوليات الأساسية لنظرية المعنى هي أن اللغات تقتضي ترجمات مختلفة حسبما تعلق الأمر بالتعبير عن معنى الألفاظ خارج السياق أو معنى المرسلة. ويعلن ريسبيك وشانك، وهما محقان في ذلك، ما يلي:

(To talk about the meaning of a sentence out of context is a nice, abstract linguistic exercice, but it has little to do with how people actually function).

«إن التحدث عن معنى جملة خارج السياق لهو تمرين طريف ومجرد ولكنه في الواقع لا يمت بصلة كبيرة لكيفية تفكير الناس».

ثم يستنتجان قائلَيْن بصدد الآلة: (A parse must be done in contextonly) «لابدَّ من القيام بالتحليل النحوي للكلمات والجمل في السياق وحده».

وهكذا يطرحان مسألة المعنى الذي قلنا مراراً إنه حصيلة مكمل ذهني (هي الدرايات التي من خارج اللغة) للدلالة اللفظية، سمينا هذا المكمل «مكملاً معرفياً».

وعليه، فالمناسبة التي تستحضرها الجملة الوحيدة السابقة لتلك التي نحن بصدد تحليل معناها محدودة جداً في الواقع، والمكملات المعرفية لا تستمد وجودها مما قيل للتوّ، فالمعرفة العامة والمخزون المعرفي لكل واحد يتدخلان باستمرار، كاشفين بصفة طبيعية عن المعاني المختلفة للجمل ذات البنى النحوية المماثلة التي تخفق آلة الترجمة واللسانيات التوليدية في التغلب على صعوبتها، هذا و لم يعثر على طريقة تجعل الآلة تميز بين:

(he washed the dishes with OMO) و (he washed the dishes with Susan) «غسل الصحون بالأومو» و«غسل الصحون مع سوزان».

هذا المثال المقتطف من نظام (UTAH) يشرك محللاً إنسانياً مع الحاسوب وهذا المحلل مكلف بحل مواطن اللَّبس التي يستحيل على الآلة تذليلها وهذا خير دليل على أن علم النحو لا يميّز دوماً معنى الجمل بينما المترجم يستمد من مخزونه المعرفي المكمل الذي سيعطي كل جملة معناها السديد، فلا يصعب عليه ترجمة إما (il lavait la vaisselle avec de l'OMO) «غسل الصحون بالأومو أو أي صورة أخرى تنجم عن معنى مختلف» وإما (il lava la vaisselle avec Susan) «غسل الصحون مع سوزان».

2) اللبس وأحادية المعنى

اللبس يقف حجر عثرة أمام إعداد آلة الترجمة القائمة على التحليل اللغوي في ما تبيّن الترجمة أن الألفاظ والجمل يتم إدراكها ضمن عملية التواصل وتكتسي معنى أحادياً. ويعطي ك. ك. ريسبيك ور. شانك المثال التالي:

(Hunting dogs can be dangerous) التي قد يلتبس معناها خارج السياق. هل نصطاد الكلاب؟ أم أن الكلاب هي التي تصطاد؟

بيّنت لنا جلُّ أبحاثنا أن الكلام أحادي المعنى، فالترجمي يكاد لا يواجه مشاكل اللبس التي يطاردها اللغوي ويعالجها المحلل النفساني. بل بالعكس، هو يتحقق من أن التراجمة الذين يترجمون بمعدل سرعة الكلام يثبتون يومياً أن اللسانيات لابدَّ من أن تحذر من تعميم النتائج التي توصلت إليها في دراسة اللغات على حالات التواصل نظراً إلى أنها تعالج هذه اللغات بوصفها أشياء مستقلة عن الآليات الدماغية للأفراد، فعلى سبيل المثال لا يمكن الخلط في الشفهي بين (kernel) و(colonel) بالإنجليزية إلا إذا نطق بهذين اللفظين خارج السياق، ولن نتردد في الدلالتين المحتملتين لـ (What disturbed John was being disregarded by everyone) إلا إذا كانت

هذه الجملة، بدلاً من أن تنطوي على مرسلة على مستوى الخطاب، تقدم على مستواها النحوي خارج عملية القول، فضمن الخطاب، لن يفكر الترجمان في (kernel) عندما يسمع (colonel)، تماماً كما قد لا يتساءل إذا كانت متاعب جون سببها عدم اكتراث الناس به أو إذا كان يشكو من متاعب لا يهتم بها أحد، فضرورة المرور عبر المعنى للقيام بالترجمة تحتم علينا إدراك الخطاب إدراكاً متسقاً مترابطاً يستبعد الاشتراك اللفظي ومواطن اللبس كما يقصي المرامزة.

3) الذاكرة بواسطة الفهم

تبيّن دراسة الترجمة الشفهية، التعاقبية والفورية، أن فهم الكلام لا يتناول أجزاء لغوية منعزلة، والترجمان لا يستند إلى الدلالات المباشرة للسلسلة الصوتية وإنما إلى ذكريات أيضاً تترك آثاراً ليست دلالاية فقط. وإذا كان الترجمان لا يستحضر جل المعاني المحتملة للجملة كي يختار أحدها، وإذا كان يدرك مقصد المتكلم مباشرةً، فهذا معناه أنه يملك جهازاً تذكرياً كسائر البشر.

لنأخذ مثالاً تزودنا به الألسنية الأمريكية:

(John went to the store for mother)

إذا ترجم المترجم في حالة ما ومن دون تردد «ذهب جون إلى المحل ليحضر أمه» وفي حالة أخرى «ذهب جون ليقوم ببعض المشتريات لأمه» (وفي حالات أخرى، يترجم بطريقة مختلفة أيضاً حسب المعنى الذي قد تكتسيه الجملة نفسها...) فهذا لأنه احتفظ بذكرى المكان حيث تقيم أم جون. ولنلاحظ أيضاً أنه فيما لو لم يكن المتكلم يعرف أن هذه الذكرى لاتزال حاضرة في ذهن محاوره لاختار طريقة أخرى للتعبير عن نفسه!

هذا ولا تؤدي الكفاءة اللغوية دوراً بمفردها في إدراك جملة حقيقية، إذ لابدَّ من تدخل نصيب من الدرايات لا ترتبط مباشرةً

بالقول، فعند الإنسان، المعرفة ملازمة للذاكرة، والذاكرة المعرفية بالتحديد، تلك التي لا تحتفظ بالكلمات وإنما بالمعرفة المنعتقة من غلافها اللفظي وفهم اللغة مرتبط بالذاكرة المعرفية بقدر ارتباطه بالكفاءة اللغوية. وحين يكتب ريسبيك وشانك: (Parsing is really a memory process) «التحليل النحوي للكلمات عملية تذكرية بالفعل»، فهما بذلك ينضمان إلى رؤيتي التي طورتها في كتابي الصادر عام 1975 تحت عنوان: **الكلام، اللغات، والذاكرة** *(Langage, langues, et mémoire)* ويتناول موضوع الترجمة التعاقبية.

تعتبر محاولة تكييف الآلة مع عملية الكلام تقدماً كبيراً. بالفعل، فحين كانت اللسانيات التوليدية تؤكد أن مواطن اللبس كلية الوجود، كانت تعني بذلك أن ما ينطبق على الآلة ينطبق كذلك على الإنسان، فيما الاستدلال العلمي ينبغي أن يسير في مسار معاكس: الانطلاق من الإنسان والتعميم على الآلة من أجل خلق عملية تجد نموذجها في العقل البشري.

4) المعنى يفهم أولاً ثم يحلل

ويذهب الكاتبان إلى أبعد من ذلك، فيلاحظان أن المعنى ليس ثمرة بناء يمر على التوالي بالمحتوى الدلالي للألفاظ و يخضع للتعديل الذي تدخله قواعد الصرف والنحو عليه فالمثال الذي أدلي به (That mug of coffee was delicious) «كان كوب القهوة لذيذاً»، يطرح مشكلة منظومة الفهم، فهل نبدأ بالاعتقاد أن الكوب كان لذيذاً لنستبعد هذا التأويل ونقوم في ما بعد بتخصيص المسند إلى القهوة؟ يقول الكاتبان: (The order of processing is backwards) «نظام التقدم يسير باتجاه عكسي». نحن نفهم معنى الجملة ككل، وإذا كان هناك تحليل، فهو لا يأتي إلا في مرحلة ثانية، فيستخلصان في صدد الآلة

(A parser must take care of syntactic considerations only when required to do so by semantic considerations).

ينبغي للمحلل النحوي أن يرعى اعتبارات التركيب وعلاقاته بالإعراب إذا اقتضت ذلك الاعتبارات الدلالية.

تشير ماريان لودورير (Lederer, 1981) إلى الظاهرة نفسها في كتابها حول الترجمة الفورية (1981)، فخلال بضع كلمات، ربما كلمتان أو ثلاث، وأحياناً أكثر أو أقل، لا يجلي اللفظ أي معنى، ثم في لحظة ما قد يختلف أوانها عند المستمعين وفق المعرفة التي تتوفر لدى كل منهم عن الموضوع المعالج، ينجلي المعنى، بحيث تصبح الكلمات التي تتلو تحمل جانباً من الإطناب.

وبدراسة ردود فعل الترجمان عن كثب، نلاحظ انطلاق الفهم بفترات منتظمة ولكنها متقاربة كفايةً لكي يقع دوماً في المدى السمعي. وهكذا فإن فهم الخطاب ليس نتيجة توليف عناصر لغوية ينبغي أن تشكل على أقل تقدير جملةً كما يود النحويون، ولا يحدث خطياً كما يلاحظ ريسبيك وشانك، إنما يحدث الفهم عبر اقتران المؤشرات الدلالية للألفاظ بمعرفة مسبقة، تبعاً لتناسق منطقي.

هذه الملاحظة تنسف صلاحية التأكيدات التي سمعناها مراراً، رغم أن الممارسة قامت بدحضها، وهي أن الفرق في البنى النحوية من شأنه أن يطرح مشاكل على الترجمة الفورية يستحيل تذليلها تقريباً.

وعلى سبيل المثال تصبح الترجمة إلى الفرنسية، انطلاقاً من الألمانية، تمريناً مريعاً نظراً إلى وقوع الفعل في آخر الجملة. بالطبع، هذا ليس صحيحاً، لأن كل قول يتم سمعه يفتح حقلاً دلالياً وحقلاً معرفياً في آن معاً. أما الحقل الدلالي فهو الكلمات التي يستحضرها الموضوع المعالج عادةً بينما يجمع الحقل المعرفي التجارب والدرايات التي تتوفر لدينا عن الموضوع. والحقل الدلالي يتيح إعادة تشكل الألفاظ فيما لا يتم بعد إدراك شكلها بالكامل، إذ

نقوم باستباق وجودها ذهنياً حتى قبل أن يتم سمعها، أما الحقل المعرفي فيزودنا بالمكملات المعرفية التي تحول الدلالات اللغوية إلى معنى وتجعلنا نتوقع بقية الأدلة والبراهين في الخطاب. وهكذا في ظل الوضع الاقتصادي للسنوات الأخيرة، لم يكن أحد في حاجة إلى الاستماع لنهاية الجملة:

(Der Wert des französischen Francnimmt im Vergleich zur DMark ständig...)

لكي يفهم أن الفرنك قد انخفضت قيمته، فالمناسبة التي تحيط بإصدار القول تستهدف واقعاً معروفاً بشكل جزئي لدى المحاور، فيكمل الأخير الجملة قبل نهايتها، كما يعمل باستمرار على إظهار المضمر في الخطاب. يقول ريسبيك وشانك:

(People have a fair way of expectations about what they will hear before they actually hear it. These expectations become more and more precisely defined as the input information grows larger).

أي أن توقع الناس لما سيستمعون إليه قبل حدوثه فعلياً يتضح أكثر فأكثر مع اتساع رقعة المعلومات لديهم.

ويستنتجان الآتي بالنسبة إلى الآلة:

(Parsing is expectation-based)، «التحليل النحوي يقوم على التوقع».

وعليه، فإن فهم اللغة يمكن شرحه ليس بواسطة وجود ذكريات معرفية فحسب بل بواسطة استباق دلالي ومعرفي دائم. إذا كان المتحاورون يفهمون بعضهم بعضاً في مجرى الخطاب، وإذا كان الترجمان لا يشعر بصعوبات لترجمة خطاب بالألمانية رغم وقوع الفعل في آخر الجملة، فلأننا نتبيّن تطور الجملة قبل انتهائها بكثير.

وبهذا تكتشف المعلوماتية الفرق الذي نقيمه بين اللغة والنص أو الخطاب، فالنصوص تسرد عبر اللغة كل المعارف التي تحتويها المكتبة الوطنية، كل المعلومات التي تنشرها الصحف اليومية

والمجلات، كل الأفكار التي تنطق بها الأقوال المدلاة عبر العالم. وتحتوي النصوص على معان يتم بلورتها بفضل التقاء عابر بين أقوال ومحتويات تصورية لربما لن تقترن ببعضها بعضاً في ما بعد أبداً. وللغة دلالات تنسب للترابط الثابت بين الدلائل ومحتوياتها الدلالية ولا تكشف إلا عن التعريف الذي يأتي به القاموس *Robert Webster* . . . إلخ.

إن مبادئ نظام الذكاء الاصطناعي التي ذكرتها آنفاً لا تعني أن آلة الترجمة قد أبصرت النور أخيراً. بيد أن التطابق بين هذه المبادئ والاستنتاجات المستخلصة من المراقبة، ومن الممارسة وتعليم الترجمة، تتيح لنا التأكيد على أن آلة الترجمة تسير في الطريق الصحيح، نظرياً على الأقل. ثمة شيء أكيد على كل حال، هو أن الأبحاث حول الذكاء الاصطناعي والأبحاث التي تتم في مدرستنا (ESIT) تبيّن أن اللسانيات والترجمة هما مجالان متجاوران ولكنهما لا يتطابقان، وأن اللسانيات حين درست اللغات بمعزل عن حالة التواصل قد وضعت نفسها في مأزق، إذ حاولت أن تعمم ملاحظات تناولت جملاً منعزلة وكلمات على الترجمة التي هي مثال الحالة التواصلية. واعتباراً من اللحظة التي يتم فيها إدراك هذا الخطأ يمكن أن نأمل مستقبلاً مثمراً للأبحاث ونشهد ميلاد آلة للترجمة هي بدورها ثمرة اتحاد وثيق بين الذكاء الإنساني وسرعة التنفيذ التي تتميز بها الآلة.

د. سيليسكوفيتش(*)

(*) هذا النص هو إصدار مفصل لمقال صدر عام 1980 في: *Traduire*, no. 104.

مستويات الترجمة

ننزع إلى الكلام عن الترجمة بالمفرد كما لو كانت هناك طريقة واحدة للعبور من لغة إلى أخرى، إلا أنه ليست هناك ترجمة واحدة. تتنوع الترجمة حسب الموضوع الذي ترتبط بنقله. لنأخذ الكلمة الألمانية (hartnäckig): يمكن ترجمتها بـ: عنيد، متصلب الرأي، مثابر، أو صلب الرقبة، أو ذو الرقبة الصلبة. يمكن للترجمة التعبير عن دلالية كلمة «متصلب الرأي»، ويمكنها أيضا نقل مبرر اللفظ (Motivation) (الدافع وراء تسمية اللفظ بهذا الشكل دون غيره) صلب الرقبة.

عديدة هي الحالات التي تتطلب ترجمة على مستوى المبررات. وبمعزل عن النص، يمكن أن يتعلق الأمر بوصف لغوي. أما في النص، فيمكن للمبررات التي تمضي عادة من دون أن نفطن لها أن تصبح فجأة محسوسة. إنها حالة التلاعب بالألفاظ مثلاً، كان أحد الزملاء يقول: «اجلسوا، فنحن في جلسات الألسنية...». يجب على الترجمة عندئذ أن تأخذ ذلك في الحسبان. في معظم الأحيان ليس الهدف أن ندرك المبررات الواردة في النص الأصلي، بل علينا أن نترجم على مستوى الدلالية.

أن تترجم كلمة (hartnäckig) مرة بصلب الرقبة، ومرة أخرى بمتصلب الرأي، فالكلمة الأصلية نفسها لن تتبدل إنما يختلف إدراكها، فيتحول تعريف أصل الكلمة المتضمن في «صلب الرقبة» إلى دلالة عُبّر عنها بـ «متصلب الرأي».

نرى أن هناك حتى الآن مستويين ممكنين إلى الترجمة نادراً ما يمتزجان من لغة إلى أخرى، بحيث إننا إن أردنا التعبير عن دلالة مماثلة يجب انتقاء مبررات مختلفة، أما إن أردنا الاحتفاظ بمبررات مماثلة، فلن نعبّر عن الدلالة نفسها. وهكذا يقال بالألمانية (Nährling) للتعبير عن مبرر «رضيع»، ولكن (Säugling) لترجمة دلالتها. بشكل عام، ننزع إلى التفكير أنه يكفي إقامة التقابل الدلالي لإنجاز الترجمة، وهذا بغضّ النظر عن صعوبة إقامة هذا التقابل أحياناً. وفقاً لهذا النسق، تكون الترجمة قد أنجزت على مستوى اللغة لا على مستوى النص والخطاب؛ لكن في الواقع، فإن المدلول النطاقي الذي يميّز الكلمات، بعبورها من مستوى اللغة إلى مستوى استعمالها في خطاب ما، يفرض اختيار كلمات أخرى عندما نجري ترجمتها. وعليه، نجد ما وراء الثنائيةِ (مبرر/ دلالة)، الثنائية (دلالة/ معنى).

لنضع أنفسنا أول ذي بدء في لغة واحدة، ولنعط مثالاً نرى فيه كلمة تأخذ معاني مختلفة بينما لا تتبدل دلالتها: الباب يبقى باباً عندما يصرخ أحد الركاب: «الباب!» وهو في الحافلة. ومع هذا، سيفهم السائق معنى هذه الكلمة بشكل معاكس وفقاً للحالة: إذا ما أعاد إغلاق الباب بأسرع مما يجب حائلاً دون نزول أحد الركاب، فسيعود إلى فتح الباب، إذا ما نسي إغلاقه عند انطلاقه، فسيغلقه. «باب» تعني دائماً باباً، لكنها تشير إلى عمليات مختلفة حسب الحالات. لقد تبدل معنى الكلمة، من دون أن تتبدل دلالتها. ويمكن

للترجمة أحياناً، الاكتفاء بالدلالة من دون الإساءة إلى المعنى، ولابدَّ لنا، في معظم الأحيان، ومن أجل التعبير عن معنى مماثل، إيجاد دلالات مختلفة.

نقدم في ما يلي بعض الأمثلة لما سبق:

ترجمة دلالة هذه الكلمات بمعزل عن الخطاب

عربية	إنجليزية	فرنسية
في، لـ	in	dans, à, y, en ...
كان قد جلس، كان يجلس، كان يحتضن	sat	était assis, s'asseyait, couvait
مشكل، حالة	problem	problème, cas...
واحد من ثلاثة	one of the three	l'un des trois
سافر	to travel	voyager
في ما بعد	later	plus tard
في زيارة	on a visit	en visite
عبأ	drum up	mobiliser
عمل	business	affaire

ترجمة معنى هذه الكلمات في الخطاب

عربية	إنجليزية	فرنسية
من	in	de
كانوا جالسين	sat	étaient installés
يتناقشون بحماس شديد	discussing a problem	discutaient ferme

l'un d'entre eux	one of the three	أحدهم
se rendre	to travel	-
le jour même	later that day	في اليوم نفسه
-	on a visit	يقوم بزيارة
décrocher	drum up	يفوز بـ
contrats	business	عقود

ها هو النص الذي أخذت منه هذه الكلمات:

One morning **in** June 1976, three Americans **sat** in the Lowndes Hotel, knightsbridge, discussing a **problem. One of the three** was due **to travel** to Libya **later that day on a visit** which could possibly **drum up** more **business** for their company.

وترجمته الفرنسية:

Un matin de juin 1976, trois Américains **étaient installés** à l'hôtel Lowndes à Londres et discutaient ferme. L'un **d'entre eux** devait se rendre **le jour même** en Lybie dans l'espoir d'y **décrocher** de nouveaux **contrats** pour leur société.

وترجمته:

في صباح يوم من أيام حزيران/ يونيو 1976، كان ثلاثة أميركيين جالسين في فندق لاوندز في لندن يتناقشون بحماس شديد. كان على أحدهم أن يقوم في اليوم نفسه بزيارة إلى ليبيا على أمل الفوز بعقود جديدة لشركته.

لماذا لم يطبق المترجم مقابلات الدلالات المشار إليها أعلاه؟ وفيما لو فعل ذلك، لماذا ستكون ترجمته غير صائبة؟

تدل الكلمات المنفردة في لغة ما على مفاهيم يكتسبها الفرد تدريجياً مع كفاءته اللغوية إجمالاً، والحالة هذه تمتلك الإنجليزية والفرنسية، كما رأينا ذلك، مفاهيم متماثلة. لكن المترجم، كالقارئ تماماً، لا يقف على هذه المفاهيم منعزلة عن بعضها بعضاً، ففي

سرد ما، ندرك مجموعات من المفاهيم تطابق مدى الإدراك البصري. ولهذه المجموعات معان يربطها المترجم بدلالات.

لم تتبدل الإنجليزية بمرورها من الدلالة إلى المعنى مثلها مثل الباب في الفرنسية إذ ما كانت لتتبدل بمرورها من دلالتها إلى معان كـ أغلق أو أفتح، لكن في الترجمة عند المرور من المستوى الدلالي إلى مستوى «المعنى»، يتم اختيار الدلالات الأكثر قدرة على التعبير عن هذا المعنى.

لقد رأينا الآن ثلاثة مستويات، وبالتالي ثلاثة احتمالات إلى الترجمة:

ترجمة مبرر الألفاظ،

ترجمة دلالة الأقوال أو الجمل،

ترجمة المعنى، أي ما تشير إليه الجمل المنطوق بها في النصوص أو الخطابات.

4) المراحل الثلاث (مبرر، دلالة، معنى) قلّما تلاحظ في اللغة نفسها إلا حين تخاطب الذهن فيدركها بشيء من الدقة، لكن هذه المراحل نفسها تقتضي في الترجمة، سمات شكلية مختلفة.

لن نستفيض في هذا العرض، ولو أن اختيارات أخرى تفرض نفسها في الترجمة، مثل: تماثل أو تعادل الأساليب النغمية، والصيغ الأسلوبية، والنحوية. . . وهلم جراً.

انطلقت من الترجمة الشفهية، التي أمارسها وأدرسها، لأُنظّر في الترجمة. تحتوي الترجمة الشفهية للخطابات التلقائية على مجمل العناصر التي تفسر خاصيات العملية التواصلية، ففيما لا يبدي المترجم أمام النص المعد إلى الترجمة اندماجاً في الحالة التواصلية بشكل واضح وفوري، يشارك الترجمان المتكلم والمتلقي الحالة التواصلية نفسها كما يشاركهم المكان واللحظة والمرجعيات المعروفة

من الجميع. في هذا الوضع، تدخل كل العناصر الخارجة عن النص بشكل تلقائي في الترجمة الشفهية للقول، بما أن أداة التواصل نفسها «طبيعية». ويُعد الإلقاء وسرعة الكلام وقواعد النغم في الخطاب الشفهي عوامل إلى الترجمة الشفهية. لا يمكن للترجمان أن يتوقف عند كلمة ويسأل نفسه: هل تتلون هذه الكلمة بميزة إضافية ما؟ هل جرى تكييف معنى وحدة دلالية صغرى إضافية؟ و هل وجب نقل مبرر ما؟ إذ إن سرعة الكلام تتكيف مع مستوى الفهم وبالتالي مع مستوى الترجمة المطلوبة. وهو يتبع وتيرة بحيث لا يتم استذكار كلمة بمفردها، ومعالجة جملة بمعزل عن غيرها وإنما كل جملة تتلوّن بذكرى متنصلة من ألفاظ الجمل السابقة.

إن أحادية المعنى من طبيعة الخطاب الشفهي، بفضل سرعته أساساً، والذكرى التي تفسر العناصر التي تشكله. عندما أقرأ كتابات تتكلم عن غموض الجمل، وعن تعدد معاني الكلمات، وعندما أسمع من يقول «السياق اللفظي يزيل الغموض»، «يبدد تعدد المعاني»، يتكون لدي انطباع أن هناك من يتخيل نوعاً من مسخ يحرر النص، أو أن النص يعمل وحده! لا النص، ليس مادياً إلا من حيث شكله الخطي: أسود على أبيض، الذي يخضع لكل تأويلات القارئ، إذ لا يمكننا مقاربة نص من دون تأويله، أي من دون أن نسند إليه، حسب الاختيار، جانباً معرفياً، أو دلالياً، أو جانباً مرتبطاً بالمبرر، أي كل ما يخرج من ذهن القرّاء أو من ذهن مترجم النص. بعبارة أخرى، ليس السياق ما يزيل الإبهام بل ما يزيله هو أن مدانا البصري يشمل جملة برمتها وليس حرفاً بمفرده أو كلمة فقط، وأن أذننا تمتلك مدى يستحضر، سمعياً، حداً أدنى من 7 إلى 8 كلمات في الوقت نفسه، وأن ذاكرتنا المعرفية تستذكر معنى عدد غير محدد من الكلمات مشكلة سياقاً معرفياً يزود القارئ كما يزود المترجم بإطار تأويلي ذي مضامين مضمرة كثيرة.

كما أن تحليل الترجمات التي تدور على إيقاع الكلام الطبيعي لا تكشف بصفة واعية عن وجوه الإبهام ولا عن عمليات إزالتها، وإنما عن تجلي معنى، ومعنى واحد لا غير. يكون هذا المعنى واضحاً على الدوام عندما نضع أنفسنا في مستوى الشيء الذي تشير إليه الجملة أو يشير إليه القول وليس في مستوى الدلالية.

تقود ممارسة الترجمة الشفهية وتعليمها مباشرة إلى استنباط قواعد للتنظير في الترجمة. وأود هنا أن أستعرض بعجالة بعضاً من المسائل الخاطئة التي تثار حول الترجمة. أولاً وقبل كل شيء، هناك من يسلم أن معرفة حدسية ناقصة وغير كافية للغات تحملنا غالباً على التشكيك بمستوى الترجمة الواجب الانطلاق منه. عندما يصرح ريغان بخصوص القرار السوفياتي لتأجيل إنشاءات صواريخ SS 20 في أوروبا الشرقية: (A freeze would leave us on very thin ice) لا يقصد قول شيء آخر غير: موافقة الولايات المتحدة على تأجيل انتشار أسلحتها النووية سيكون مجازفة كبيرة. إن التقارب بين (freeze) و(ice) لم يكن أبداً مقصوداً من طرف ريغان، كما لم يُثِرْ انتباه المستمع الأميركي، وعلى المترجم ألا يبحث عن التلاعب بالألفاظ كما ينبغي له أن يفعل بخصوص «اجلسوا، فنحن في جلسات الألسنية».

لا تفتأ صعوبة اللغات تبرز كإحدى الحجج التي تثار عندما نتكلم عن الترجمة. اللغات صعبة لمن لا يتقنها. ولا تسمح الترجمة الشفهية، وهي ترجمة تتم بسرعة الخطاب بعدم التمكن من اللغة الأصلية فحسب، بل ينبغي ألا تشوب هذا التمكن أدنى شائبة. إن التنظير في الترجمة انطلاقاً من الترجمة الشفهية لهو إقصاء لمشكلة صعوبة اللغات من مشاكل الترجمة وإعادة وضعها حيث ينبغي أن تكون، أي في ميدان إتقان المعارف اللغوية. ترتضي الترجمة الكتابية

هذا النوع من البلبلة لأن النص، يمكن للكل أن يستحوذ عليه، يمكن للكل أن يحاول ترجمته. النص بريء، النص شهيد. وهكذا يصبح من البديهي أهمية الشروع في اكتساب معرفة اللغات قبل البدء بتعليم الترجمة.

ولكن ما هو إذاً تعليم الترجمة؟ هو تفكيك العملية إلى أزمان أربعة:

1) العمل على إدراك معنى جزء من نص، المعنى بوصفه الشيء المشار إليه لا الشيء المدلول، أي ما تشير إليه الكلمات الفرنسية، أو الإنجليزية أو الألمانية في النص، لا ما تدل عليه.

2) العمل على نقل الفكرة المحتواة في الفقرة إلى اللغة الأم. والمقصود القيام بتلخيص بسيط، جد عام، يرمي إلى إعتاق الذكرى من الألفاظ وإبراز الأساليب اللغوية المرتبطة بالفكرة وليس بدلالية اللغة الأخرى.

3) العمل على الرجوع إلى النص ونقل جزء منه في كل تفاصيله.

4) العمل على مقارنة الأصل بالترجمة بما يفترض ذلك من تمحيص، وتصويب، وتصحيح، وإقامة معادلة كاملة بينهما بقدر الإمكان.

أود أن أعرض هنا نتائج هذه الطريقة من خلال مثال توضيحي. في بداية التعليم، ينبغي اختيار نصوص معاصرة، وينبغي أن يعرف الطلبة المناسبة التي تندرج فيها هذه النصوص، وأن يكونوا على علم بالعناصر غير اللغوية التي تضاف إلى كل قول حقيقي. أنقل هنا نصاً اشتغلنا عليه منذ بضعة أشهر، إنه خطاب قاله تيد كينيدي (Ted Kennedy) في اللحظة التي كان يتنافس فيها مع كارتر (Carter) لتعيين المرشح الديمقراطي في انتخابات الرئاسة الأميركية. كانت المناسبة

معروفة، وكانت كل الصحف قد تكلمت عنها، لذا كان من السهل تحديد الخطيب، والكل يعلم أيضاً ما كان يمثله كارتر للأمريكيين في وقت لم يكن فيه الاختيار بينه وبين ريغان مطروحاً بعد. يتكلم كينيدي في فترة الاجتياح الروسي لأفغانستان مؤاخذاً كارتر على النداء الذي وجهه إلى العالم السياسي ليخفف من انتقاد سياسته الخارجية، تحت ذريعة أنه في لحظة الخطر يجب الالتفاف حول رئيس الولايات المتحدة، يجيب كينيدي:

(Many Americans feel that once the President of the United States has made an assessment and set a course, the rest of us should stand silent in the ranks even if we have a different view of the national interest. That is not the lesson of our liberty - or the heritage of our history).

ترجم المقطع بالشكل الآتي:

«Pour nombre d'Américains, du moment que le Président des Etats-Unis a formulé un jugement et décidé de la marche à suivre, il n'y a plus qu'à l'accepter et à se taire, même si l'on a une conception différente de l'intérêt national. Ce n'est pas là l'attitude que nous enseigne notre histoire, ce n'est pas ainsi qu'a toujours parlé chez nous la voix de la liberté».

«يرى العديد من الأمريكيين أنه بمجرد أن يبدي رئيس الولايات المتحدة رأياً ويرسم معالم الطريق، ليس لنا إلا أن نقبله ونخرس، حتى إن كان لنا تصور مختلف للمصلحة الوطنية. هذا لا يمت بصلة لما تعلمناه في تاريخنا وفي نضالنا من أجل الحرية».

(Pour nombre d'Américains...) (Many Americans feel...)

«يرى العديد من الأمريكيين...» تجد الفكرة الأصلية نفسها في الترجمة، ولكن لدينا انطباع أن الانعتاق من الألفاظ الذي حدث بين القراءة الأولى وإعادة التعبير أدى إلى إعادة توزيع الوحدات الدلالية الصغرى، اختفت (feel)، وحل محلها «يرى». قامت الترجمة في قسم كبير منها على معنى منعتق من ألفاظه يتخلص من وجود أدنى

السمات الدلالية، لقد أشبعت كل جملة بسياقها المعرفي والمقاربة التي تسمح لنا هنا بمقارنة الترجمة بالأصل هي فعل يتلو الترجمة.

المقارنة بين اللغات لا تفضي إلى الترجمة، لكن القيام بالمقارنة بين الترجمات والنصوص الأصلية يسمح بمعاينة آليات عمل الترجمة وبمقارنة الأقوال التي بين أيدينا واللغات التي صيغت بها. يجب أن نقلب رؤيتنا لعملية الترجمة رأساً على عقب، إنها لا تنطلق من المقارنة بين اللغات لتحقيق المرور من لغة إلى أخرى، فالترجمة تنجز أولاً، ثم تأتي بعد ذلك المقارنة بين اللغات. هكذا يتحدد الفعل الترجمي بطابعه الفردي. في حين أنه يوجد تفاعل دائم ذو طابع جماعي بين الترجمة والمقارنة، ويتطور هذا التفاعل بشكل لولبي لا نهاية له: فمن ترجم (I have been) بـ (je suis) «أنا»، أو (you should) بـ (il faut que vous) «يجب عليك» قبل غيره، سمح بمقارنة أولى بين اللغات، لأن المعنى المشار إليه بهذه الألفاظ في النص الذي كان يترجمه هو نفس ذلك المعنى بالفعل. وإنه لأمر بديهي أن يجري تدريس هذا التقابل في ما بعد مع الإشارة إلى صواب تطبيقاته. ولكن من الخطر استخلاص أنه يمكن إقامة كل التقابلات وتحديد كل شروط تطبيقها. ربما يصلح هذا الاستخلاص على مستوى دلالة اللغات، لكنه قد يؤدي إلى المفارقة على مستوى معنى الأقوال، إذ تقتضي ترجمتها، كما رأينا، تغييراً على مستوى المفردات في اللغة الأخرى. بما أن المعنى مستحدث دوماً، تبقى الترجمات المنجزة على مستواه في جزئها الأكبر غير متوقعة.

لنر ما جاء في المثال المذكور أعلاه:

(Many Americans feel) (Pour nombre d'Américains) «يرى العديد من الأمريكيين»،

(once the President of the United States has made an assessment)

(du moment que le Président des Etats-Unis a formulé un jugement)

«بمجرد أن يبدي رئيس الولايات المتحدة الأميركية رأياً»

(and set a course)

(et décidé de la marche à suivre)

«ويرسم معالم الطريق»

(the rest of us should stand silent in the ranks).

(Il n'y a plus qu'à l'accepter et à se taire).

«ليس لنا إلا أن نقبله ونخرس».

سنلاحظ هنا أن (the rest of us) و(in the ranks) لم تترجما، ومع ذلك فهي الفكرة نفسها، التي نجدها معبّراً عنها بالفرنسية حسب وسائل دلالية مختلفة. وتبدي الجملة التالية حالة ينتقل فيها المعنى على المستوى الدلالي في النص المترجم بشكل صحيح:

(even if we have a different view of the national interest)
(même si on a une conception différente de l'intérêt national)

«حتى وإن كان لنا تصور مختلف للمصلحة الوطنية».

الباقي مثير للاهتمام، لأن المفاهيم تغدو أكثر قوة، وتصبح مخاطبة المشاعر أكثر حساسية، بحيث تتموضع الترجمة على هذا المستوى:

(That is not the lesson of our liberty - or the heritage of our history) :تـــرجـــمـــت

(Ce n'est pas là l'attitude que nous enseigne; notre histoire, ce n'est pas ainsi qu'à toujours parlé chez nous la voix de la liberté) :بـــــــــ

«هذا لا يمت بصلة لما تعلمناه في تاريخنا وفي نضالنا من أجل الحرية».

أما الترجمة التي تتم على المستوى الدلالي فكانت ستفقد الطابع الانفعالي للأصل:

Ce n'est pas la leçon de notre liberté, ni l'héritage de notre histoire.

ليس درس حريتنا، لا وليس إرث تاريخنا. يمقت المترجم الذي استحوذ على المعنى ترجمة هذه الجملة على المستوى الدلالي. بما أن «الشيء» المشار إليه واضح، لا يمكنه الوقوع على السمات الدلالية للأصل من دون أن يخون شعوره الأعمق للفكرة المفهومة، وبدلاً من دلالة الأصل يفضل إبراز المحتوى التصوري والانفعالي لكلمة كينيدي. هذا لا يمت بصلة لما تعلمناه في تاريخنا وفي نضالنا من أجل الحرية.

نحن لا نجد سوى ثلاث كلمات تقابل ترجمة دلالية: (lesson) التي نجدها في تعلمناه، (liberty) = نضال من أجل الحرية و(history) = تاريخ. تبقى هذه المعالم الثلاثة لكن الترجمة في مجموعها قد أقلعت للتعبير بشكل عفوي عن المعنى.

أصل إلى خاتمتي. يوجد مستويات إلى الترجمة بقدر ما توجد مستويات للغة. وسوف تتغير الترجمة حسب المهمة التي أوكلت إليها. ستكون مختلفة حسب ما يعزى إليها من موضوع سواء كان إعادة التعبير عن السمات النغمية أو الشكل الصوتي للدوال، أو المبررات أو السمات الدلالية الأدنى للألفاظ، وأخيراً نقل المعنى. لهذا السبب سيكون من الأفضل الحديث عن ترجمات، أو بالأحرى العمل على التمييز الكلي الذي أقمناه في «مدرستنا (ESIT)» بين الترجمات المنجزة بمعزل عن النص أو الخطاب، والتي لا تقوم بالتالي إلا على مستويات اللغة، وتلك التي تستند إلى نصوص، لها، تحديداً، معان لا تحتوي اللغات عليها.

* * *

نقاش:

ف. جنتيّوم (V. Genthilhomme) (بيزانسون):

لدي ثلاثة أسئلة:

بدا لي أنك كنت تستشهدين بنظريات أفعال الكلام عندما كنت تتكلمين عن «باب»، وخاصة بانقسام المعنى إلى ثلاثة أجزاء، كما ورد لدى الفلاسفة الإنجليز، إذ كان يلزم التمييز بحق بين مستويات مختلفة لفهم الجملة نفسها. هل هذا ما قصدت؟ سؤالي الثاني هو الآتي: حسب وجهة نظرك، هل التماثل موجود؟ أم أن التماثل ليس إلا تعادل تقريبي؟ وسؤالي الثالث: بدا لي أنك كنت تلمحين إلى المناطقة الذين كانوا يميّزون، لنقل بالفرنسية، بين (sens / signification) «معنى ودلالة»، كما يصوره المثال التافه (l'étoile du jour, l'étoile du soir) «نجمة الصباح ونجمة المساء» اللتان تعنيان كلتاهما «فينوس»، ولكن لا تعبران على الإطلاق عن الحالة نفسها.

د. سيليسكوفيتش:

عندما تتكلم عن أوستن (Austin) وفلاسفة أوكسفورد، يجب التفريق تماماً بين ما دعي بالقصدية التي هي هدف قول ما، وما أسميه معنى هذا القول. سأعطيك مثالاً وجدته من وقت غير بعيد في

أطروحة: «هناك مجرى هواء» قد يعني ذلك «أغلق النافذة». أبداً لن يترجم المترجم «هناك مجرى هواء» بـ «أغلق النافذة»، لأنه لو فعل ذلك لوضع نفسه موضع قصد المؤلف لا المعنى الذي يعبّر عنه قوله. القصد غير موضح، ويبقى بالتالي في حالة افتراضية، بينما المعنى محدد بوضوح. عندما أؤكد أن موضوع الترجمة هو المعنى، أي دلالية مطبقة على الخطاب، لا أعني إطلاقاً أن الترجمة تقوم على شرح مقاصد افتراضية، وسأعطيك مثالاً يقارن بين قصد ومعنى قول ما. يقول الزوج لزوجته التي على وشك الخروج: «اشتريتُ الجريدة». ربما كان القصد: لا جدوى من أن تشتريها، ولكن ليس هذا سوى فرضية. وعلى العكس، معنى هذا القول هو الشيء الذي يشير إليه في تلك الحالة. يتشاطر هذان الزوجان معرفةً تسمح لهما بالتواصل على مستوى أسماء شاملة، للإشارة إلى أشياء خاصة تماماً. والحالة هذه، نحن في نهاية مابعد الظهيرة، الجريدة تشير إلى **لوموند**. يقيم استعمال كلمة جريدة في هذه المعرفة المشتركة في تلك الساعة من النهار معادلة مطلقة بين جريدة و**لوموند**. الشيء ذاته «اشتريت»، تأخذ المعنى الذي لا جدال فيه لـ دفعت 3،50 فرنك لبائع الجرائد. مرة أخرى «جريدة» و«اشتريت» سيشيران إلى معان أخرى في الخطاب ولكن، في ذلك اليوم على التحديد، وفي تلك المناسبة، كان لهما هذا المعنى ولا معنى غيره. إذاً الحديث عن المعنى، ليس أبداً الحديث عن القصد، يشار إلى المعنى بوضوح ويعاد التعبير عنه بوضوح في الترجمة، على عكس قصد القول.

هذا هو جوابي عن **سؤالك الأول**.

يدور **سؤالك الثاني** حول التماثل والتعادلات. لا شيء يماثل شيئاً آخر تمام التماثل. تعرف أن (le même) الشيء نفسه يترجم بالإنجليزية بـ (similar)، وهو أمر طريف في حد ذاته على مستوى

اللغات. لا يمكن لشيئين مختلفين أن يتماثلا كلياً، ومع ذلك نحن نفهم الأشياء نفسها عبر وسائل مختلفة. يتكلم كل واحد منا بلهجة تختلف بشكل طفيف، بنبرة الصوت، بطريقة تعبير، بانتقاء المفردات. ولكن في معظم الحالات (يجب عدم المبالغة في صعوبة الفهم) نحن نفهم الشيء نفسه. عندما أتكلم عن التماثل، لا أتكلم عن تماثل الوسائل، أتكلم عن تماثل النتيجة، المعنى الذي يبقى لنا هو ذكرى معرفية خالصة من كل شكل، لكنها متماثلة في فحواها الذي لا شكل له. طبعاً إذا ما استمعت لأحد يتكلم في ميدان لا أعرفه، مستخدماً معارف لا أشاركه إياها، لن أتعرف إلى معنى ما يقول، سأسمع كلمة جريدة من دون أن أعرف أن الجريدة المقصودة هي **لوموند**. لن أمتلك المعرفة التي تسمح لي في ظروف أخرى بأن أفهم. ما أدعوه تماثلاً يستمد معناه من مفهوم المماثلة لدى بياجيه: والمتماثل هو المتشابه بما فيه الكفاية من أجل إدراجه في الفئة ذاتها... أظن أنه يتحدث عن طبقة. عندما أصل إلى المعنى، في مناسبة محددة ومعارف مشتركة بين المتحاورين، يكون المعنى الذي فهمته قابل للتمثل لما يعنيه من تكلم. وسائل مختلفة لكنها تصل إلى نتيجة قابلة للتماثل وبالتالي متماثلة في الممارسة.

سؤالك الثالث:

«نجمة المساء ونجمة الصباح»، مثال بوهلر (Morgenstern, Abendstern) هو على أحسن ما يرام بالألمانية لكنه غير قابل للتطبيق بالفرنسية، لا أحد أبداً يقول نجمة المساء. نقول نجمة الراعي أو فينوس. هذه ترجمات رديئة لا فائدة منها تماماً من أجل النظرية. بيد أن الحق أنه توجد دلالات لغوية معارضة هي إجراءات متماثلة. يعطي ج. م. زمب (J. M. Zemb) مثالاً أفضل، القنطرة على الراين التي تربط ستراسبورغ بكيهل. في كيهل تسمى (Strassburgerbrucke)

ولكنها في ستراسبورغ قنطرة كيهل. إنه مثال مشابه تمام التشابه، ولكن أكثر واقعية، أقل تأثراً بالترجمة.

ماذا يعني هذا؟ هذا يعني ـ وستتحدث مدام لودورير بخصوص هذا أحسن مني ـ أن القول ليس أبداً شرحاً كاملاً للشيء المعين. هو يحيل أكثر مما يعبر: يحيل الدال إلى المبرر، وهذا إلى الدلالة، وهذا إلى معارف تعطي معناها للقول، وهذا للمقاصد... إنه التمييز الذي حاولت القيام به بين الدلالة في حد ذاتها والمعني الذي تحيل إليه. لا تحيل الدلالات نفسها بالضرورة إلى الأشياء نفسها، ويمكن أن يصل هذا إلى الحالة المفارقة والمسلية التي تقول فيها دلالتان العكس تماماً للإحالة إلى الشيء نفسه.

ب. فاردار (B. Vardar) (إسطنبول):

ثمة تفصيلان: الأول يدور حول الصعوبات اللغوية التي يبدو لي أنك تغضين النظر عنها. عندما تتساوى الجدارة، نقول إنه يمكن للغة أن تترجم بلغة أخرى نوعاً ما على مستوى البنية السطحية للنص، بينما، عندما يكون المقصود لغة ثالثة، ببنية مختلفة، علينا اختراق بنى عميقة. إذاً أود أن أستخدم المصطلح «الغيّومي» (نسبة إلى غوستاف غيوم (Gustave Guillaume)) لأقول إنه من اللازم الأخذ بعين الاعتبار ما نسميه (infieri) في عملية الترجمة، بمعنى لحظة تحقيق الكلام، في ترجمة نص من الفرنسية إلى اللاتينية، هذا الزمن ليس بالطول الذي هو عليه عندما يكون المقصود فلنقل، ترجمة نص فرنسي شفهي أو كتابي بالهنغارية أو بالتركية. يجب أيضاً الأخذ بعين الاعتبار مسائل المصطلح. إذا ما كان لدينا مثلاً نص فرنسي في اللسانيات نود ترجمته إلى الإيطالية، لن يكون الوقت الذي ننفقه في إيجاد المصطلحات بالطول نفسه عندما يكون المقصود القيام بالترجمة نفسها إلى لغة أخرى.

د. س.:

يسعدني قولك، لأن هذه هي المشاكل التي تعترض كل الطلبة، هؤلاء الطلبة الذين يقولون لنا: ولكن الألمانية أكثر صعوبة من الإيطالية إلى الترجمة بالفرنسية. أبداً هذا ليس صحيحاً، فالإيطالية أكثر سهولة إلى الترجمة الرديئة إلى الفرنسية. هناك خلط دائم للأفكار، فمن الصعب أن نترجم من الإيطالية إلى الفرنسية بشكل جيد لأننا نقع تحت تأثير تخدير دائم تحدثه الكلمة. لو كنت قد تمكنت من تطوير هذا المثال، لكنت قد بينت لكم أن (frankly) بالإنجليزية، التي ترجمها كل الطلبة بـ «صراحةً» بينما كان المقصود قول «عموماً، جهراً، أمام الجميع». كلما اقتربت الكلمة اقتربت اللغات، كانت صعوبة الترجمة الجيدة أكبر، إذاً عند الترجمة من الألمانية (أنا لا أعرف الهنغارية)، حقاً يجب معرفة الألمانية، (وبمعرفة لا أعني مجرد المعرفة ولكن أيضاً الحدس العميق للغة)، لكننا ننجو من تخدير أشكال الأصل ولم يعُد علينا مقاومة المبرّرات والدّلالات من أجل التعبير عن المعنى، وبهذا نكون قد تغلّبنا على ثلث المشاكل على الأقل!

إذا ما أخذت مترجماً لا تتجاوز معرفته للغات معرفة حامل الليسانس من جامعاتنا، سيتمكن من دون شك من تقديم شيء أكثر قابلية للفهم ابتداءً من الإيطالية عنه من الألمانية، لأن قارءها الفرنسي سيعيد بناء الشكل الدارج بطريقة أسهل فعندما يقرأ **معبر تحتي** سيقرنها بـ (sotto-passagio) أي معبر نفقي أسهل من أن يفكر في الحبر إذا قرأ «لون» كمقابل (fabre). أستشهد هنا بمثالين حديثين لمعرفة اللغات الرديئة.

قلت «جدارة متساوية»، أفترض أنك تعني ضمناً «كفاءة جيدة أيضاً» وليس «عدم كفاءة متساوية». في هذه اللحظة، انطلاقاً من

جدارة كاملة، من الأسهل تعلم الترجمة انطلاقاً من الألمانية عن تعلمها من الإنجليزية أو الإيطالية.

يفهم الطالب بسهولة أكبر المبادئ الجيدة، لأنه يتأكد بنفسه من عتامة ترجمة لا تعتمد على المعنى، من يترجم انطلاقاً من الإنجليزية أو الإيطالية سيقوم بجهود أقل، والموقف مبرر ربما لأن ترجمته، مهما كانت رديئة، تسمح بإعادة الأشياء إلى أصولها، بقدر ما تغزر الفرنسية بالكلمات الدخيلة، بقدر ما تقترب الإيطالية من لغتنا.

غالباً ما تكون الترجمة الفورية انطلاقاً من الألمانية أفضل من اللغات الأخرى، لأن التراجمة الذين يعرفون حقاً اللغة ويعرفون الموضوع ملزمون من طرف البنى الألمانية نفسها بأن يأخذوا المعنى دليلاً، اذا لم تنفصل ترجماتهم عن الأشكال الألمانية، فستكون مضحكة.

د. سيليسكوفيتش(*)

(*) محاضرة قُدمت في ندوة «علم اللسانيات النطقية والترجمة» في كانون الأول/ ديسمبر 1981، نشرت في مجلة *Contrastes* خارج سلسلة A1 في 1982، تحت عنوان «ترجمة ومقارنية» (Traduction et comparatisme).

الفصل الثاني

الترجمة والكلام

الترجمة الفورية
مَرقَب اللغة

سمحت لنا دراسة الترجمة الفورية بملاحظة عدة ظواهر في السلوك اللغوي للأفراد، ما كانت أصلاً لتبدو للعيان في دراسات اللغة.

وتقيم الترجمات الفورية التي ندرسها تواصلاً كاملاً بين متكلمي لغة «س» ومستمعي لغة «ص» الذين هم بحاجة إلى الترجمة. قد تكون هذه هي حال كل الترجمات الفورية، ومع ذلك، فإن الأداءات التي تدعى «ترجمات فورية» ليست كلها ممثلة لشروط العملية الطبيعية الخاصة باللغة. ومثلما هي الحال في كل المهن، نجد في مهنة التراجمة الأحسن والأسوأ. هذا وقبل البدء بأي دراسة للترجمة الفورية، يجب على الباحث التأكد من أن النقاشات التي تجري بواسطتها تدور كما لو كانت تجري في لغة واحدة.

وهكذا يمكننا أن نُظهر عبر الترجمة الفورية كيف تفهم أقوال الآخر وكيف تعبر الأفكار عن نفسها.

لقد اختير المقطع الموجز جداً باللغة الإنجليزية وترجمته الفورية التي ستكون موضوع تعليقاتنا بحسب هذه المعايير، ولن يسمح لنا هذا المقطع بقول كل شيء بخصوص الفورية، ولا بما

تتضمنه من وجهة نظر عن اللغة والذاكرة. لقد قمنا بأعمال أكثر عمقاً في الموضوع (لودورير 1981)، وما نرمي إليه هنا ببساطة أن نعطي فكرة عن بعض النتائج التي سمحت بالتوصل إليها دراسة الفورية.

في ما يلي، نورد مقتطفاً صغيراً من طاولة مستديرة نظمتها صناعة السكريات عن دور السكر في صناعة المشروبات غير الكحولية. إن السيد بروكس من كندا هو الذي يتكلم، هذه هي جمله الأولى:

I don't really want to get into the paper that I am presenting this afternoon, but it bears upon the matter that at present is being discussed. I think this is an extremely important point. Apart from certain necessary defensive work from sucrose manufacturers and sucrose users, there is a real need to identify where, within the normal society, sucrose and similar sugars are playing important positive roles. Dr Kingsbury's comments with regard to the sportsmen are pertinent. He is right also to identify the possibility of other needs at other times.

وهذا هو تدوين للتسجيل الذي سنرى فيه تنامي النص الأصلي والترجمة بالتوازي:

Apart from certain necessary defensive

أعتقد أن المسألة جدّ

work from sucrose manuf-

هامة. عدا بعض الأعمال

acturers and sucrose users

التي هي بالضرورة دفاعية

there is a real need to identify

من طرف صُناع وصناعات تستعمل السكّ

where, within the normal society

روز، يجب تحديد

sucrose and similar sugars are

ال

playing important positive roles.

دور الإيجابي والهام للسكروز والسكاكر الأخرى

Dr. Kingsbury's comments

لدى من هم في صحة جيدة.

with regard to the sportsmen

ما قاله لنا السيد كنجز-

are pertinent. He is right also

باري منذ حين بخصوص الرياضيين لهو

to identify the possibility

وثيق الصلة بالموضوع. وهو أيضاً

of other needs at other times.

محق بقوله إن هناك

I don't think the topic is a simple one

حاجات أخرى في أوقات أخرى أو بالأحرى لدى أشخاص

when it gets down to it.

آخرين.

سنلاحظ أن الترجمان في بداية التدوين لم يزل يعيد الجملة السابقة، وأنه خلال إتمامه ترجمة هذا المقطع، كان المتكلم قد لفظ الجملة اللاحقة. يتلقى الترجمان تدفقاً متواصلاً من المعلومات، وقد نخطىء في منهجيتنا لو حللنا الترجمة الشفهية، على الرغم من وضعها هنا على الورق، كما لو كنا سنحلل ترجمة كتابية.

لقد قسم مقطع الـ 36 ثانية هنا بشكل اعتباطي إلى أجزاء يستغرق كل منها ثلاث ثوان من أجل أن نبدي بيانياً الشكل الذي يدور فيه الخطابان المتوازيان للمتكلم والترجمان خطاباً مقابل آخر،

وقمت بمطابقة الكلمات التي ينطقانها في آن واحد على التقريب كي أنقل من جديد وعن كثب إن أمكن ما نسمعه عندما نصغي إلى التسجيل الفوري للخطابين في لغتين مختلفتين.

عملية الفهم

حين ننظر إلى التدوين، ندرك أن الترجمة الفورية تتتبّع الخطاب الأصلي بشيء من الانقياد في بعض الأوقات وفي أوقات أخرى، يتوقف الترجمان عن الكلام تاركاً المحاور يتقدمه مسافة كبيرة. وأحياناً، يتدفق فيض الكلمات التي تخرج من فمه بسرعة فائقة وعادةً ما يحدث ذلك عقب توقفه عن الترجمة. إلى ماذا تعزى هذه التغيرات وكيف يمكن تفسيرها؟

لنر الجملة: (He is right also to identify the possibility of حتى other needs at other times) (. . He is right also).، إلقاء الترجمان جد سيال، ويجري بسرعة. «ما قاله لنا السيد كنجزباري منذ حين بخصوص الرياضيين لهو وثيق الصلة بالموضوع. وهو أيضاً محق. . .» يتبع من دون تردد الجملة السابقة، ولكن منذ سماع (to identify the possibility) يتوقف الترجمان خلال أكثر من ثانية، وهو توقف لافت للنظر في إلقاء بهذه السرعة. ويبدو أنه انقطع عن الكلام بانتظار أن يتلقى كمية من المعلومات هو في حاجة إليها من أجل فهم ما كان المتكلم يريد قوله (To identify the possibility) . لا معنى لها في ذاتها، ويحتاج الترجمان إلى المزيد كي يستطيع أن يضفي معنى على هذه المجموعة من الكلمات، إنه بحاجة إلى سماع (of other needs at other times). وبلمح البصر، يمكنه ساعتئذٍ الربط بين هذه الكلمات والمعلومات التي احتفظ بها في ذاكرته المعرفية. وبفضل استماعنا للشريط المسجل نحن نعرف أن الترجمان

كان قد ترجم مداخلة كنجزباري قبل عشر دقائق من ترجمة المندوب الكندي، وهو بذلك يبرهن على أنه يتذكرها بما أنه عند سماعه لـ (Dr. Kingsbury's comments) يقول «ما قاله لنا السيد كنجزباري منذ قليل».

ومن الطبيعي أن ينجم ما يقوله هنا عن معنى، يتركب من معارف أولية وفهم فوري للغة. ومع ذلك، فإن فهم (to identify the possibility of other needs at other times)، يتطلب أكثر من تذكر بسيط للمداخلة التي سمعها أو ترجمها قبل قليل. ولو كنا نترجم ببساطة بمجرد نقل لغة إلى لغة أخرى لما كان هناك ما يمنع الترجمان من قول «تعيين احتمال حاجات أخرى في أوقات أخرى». الجملة الإنجليزية (He is right also to identify the possibility of other needs at other times) ليست مركبة إلا من كلمات جد شائعة، مصفوفة ضمن ترتيب نحوي يمكن نقله إلى الفرنسية بسهولة. وفي ترجمته للنص، كون الترجمان قد اختار أن يقول شيئاً آخر «وهو أيضاً محق في قوله إن هناك حاجات أخرى في أوقات أخرى أو بالأحرى لدى أشخاص آخرين» لهو الدليل على أننا في حضور عملية أكثر تعقيداً من مجرد فهم اللغة الإنجليزية. في البداية، يقوم الترجمان بترجمة حرفية (of other needs at other times) بـ «حاجات أخرى في أوقات أخرى»، وعلى ما يبدو يرمي إلى اللحاق بالمتكلم، ولكن ما أن يفهم ما يود هذا قوله حتى يصحح نفسه مضيفاً «أو بالأحرى لدى أشخاص آخرين».

فهم المعنى هو إضافة عنصر معرفي إلى دلالة اللغة. وما حصل هنا هو أن الكلمات (other needs at other times) قد اندمجت بالمعرفة السديدة المخزونة في الذاكرة سابقاً، كما تبديه الإضافة... «أو بالأحرى لدى أشخاص آخرين» التي تحيل إلى معلومات تلقاها

الترجمان قبل ذلك بعشر دقائق. ولدى بحثنا عن مداخلة كنجزباري، وجدنا الجملة الآتية: «There are definitely times when there is a physiological need for sugar in the drinks, not only I think for athletes and sportsmen, but also in children, convalescents, people that aren't physically very active...»

من الجلي أن الترجمان لم يكن يتذكر هذه الجملة بحذافيرها، لكنه تذكر فحواها واستنهضته الكلمات (other needs at other times)، ومن تلاقي هذه وتلك انبثق المعنى.

اختيار الكلمات: الآليات السيكولوجية

ليس الفهم هو الآليّة الوحيدة التي تعدّ من خاصيات دماغ الإنسان ويمكن دراسته عبر الترجمة الشفهية. لا يكتفي الترجمان بالاستماع، إنه يتكلم، وعلى الرغم من أن الكلمات التي ينطق بها مقيدة بما يفهم من مقصد المتكلم، تعتمد هذه الكلمات أيضاً إلى حد ما على اللغة المستعملة من طرف هذا.

في المثل الذي أعطيت، ترجمت الكلمات (sucrose and similar sugar) بالفرنسية إلى «للسكاروز والسكريات الأخرى». ويبدو أن الكلمة الفرنسية سكاروز قد ذكرت لتقترن بـ (sucrose)، والشيء نفسه مع سكر مقابل (sugar) أو كذلك إيجابي وهام مع (important positive)، . . . إلخ.

إن الكلمات التي يمكنها أن تعتبر مقابلات للأصل، لهي كذلك لعدة أسباب لا تعكس آليات سيكولوجية مشابهة. وسنجد في نص آخر أوردناه في هذا الكتاب ذكر ثلاث طرق يبدو أنها أساس وجود تقابل بين الكلمات في الترجمة. لقد دعونا أولى هذه الطرق «انزلاق صوتي»: هنا (positive) بالإنجليزية تعادل (positif) بالفرنسية أو

(important) بالإنجليزية تعادل (important) بالفرنسية. يقلب تعديل بسيط للفظ كلمة من نظام صوتمي إلى آخر، فتغدو الكلمة الإنجليزية كلمة فرنسية. في بعض الأحيان، عندما يكون الانزلاق الصوتي تحت سيطرة المعنى كما هو هنا، يكون هذا الانزلاق مبرّراً كلياً، وعلى العكس، في حالات أخرى، يمكن له أن يكون مصدراً هاماً لعدوى لغوية: مثلاً (material) بالإنجليزية تصبح في الغالب (matériel) بالفرنسية أو (to ignore) تصبح (ignorer)، . . . إلخ. في الترجمة الفورية، حيث تتواجد اللغتان معاً في مدى الذاكرة المباشرة، ينزع الترجمان إلى سلوك طريق مختصر والاكتفاء بتغير صوتي متوهماً أن الكلمات المتشابهة صوتياً ستكون متماثلة دلالةً. والصراع ضد هذه النزعة الطبيعية لهو واحد من المشاكل الأساسية إلى الترجمة بين زوجين من اللغات المتقاربة كالإنجليزية ـ الفرنسية أو الفرنسية ـ الإيطالية.

ترجمة المعاني الأولية هي الطريقة الثانية لإيجاد تقابلات للكلمات: الكلمة الفرنسية التي تخطر أول ما تخطر على البال بوصفها مقابلاً للغة الإنجليزية ستستخدم في الترجمة. لدينا في المقطع أعلاه بحسب هذا النسق من الأفكار (sugar = sucre, needs = besoins manufacturers = fabricants, sportsmen = sportifs) . . . إلخ. تقابل العملية الجارية هنا ما يعتقد عامة أنه الترجمة الشفهية: معرفة ونقل دلالات اللغة. والأرقام هي المثل النموذجي لهذه الآلية في الترجمة الشفهية، ومع ذلك، يخشى الكثير من التراجمة، حتى المهرة منهم، أن يقابلوها أثناء عملهم، لأنهم، وإن استوعبوا من دون جهد دلائل وحججاً معقدة، لا ينجحون دائماً في سماع وترجمة الأرقام، حتى عندما لا يكون في الخطاب إلا رقمان. ولقد سمحت لنا معالجة الأرقام من طرف الترجمان بملاحظة مثيرة

للاهتمام مرتبطة بالتفاوت القائم بين الترجمان والمتكلم. عندما تترجم الأرقام بشكل صائب، وإن دخلت في محاجة معقدة، نلاحظ أن الترجمان قد أدرك المتكلم فجأة، ولفظ الرقم في الترجمة أول ما سمعه. ويبدو أنه لترجمة الأرقام بشكل صائب، عليها أن تعاد في الوقت الذي لم تزل فيه ضمن مدى الذاكرة المباشرة.

إن ترجمة المعاني الأولية منهجية تنجح أحياناً ولكنها تفشل في أغلب الأوقات. هنا ترجمة (sucre) لـ (sugar) شيء لا غبار عليه، ولكن غالباً ما لا تكون المعاني الأولية المترجمة من دون الأخذ بالاعتبار للمعنى المناسب واضحة على الفور، وهكذا تترجم مثلاً إلى الفرنسية كلمة (challenge) الإنجليزية ودائماً بشكل تلقائي بـ (défi) تحدي، أو (to account for) تفسير سلوك ما بـ (rendre compte) تقديم بيان على الرغم من أن الفعل (expliquer) فسر موجود بالفرنسية بالمعنى نفسه لِ (to account for).

أخيراً الطريقة الثالثة في البحث عن تقابلات هي الاستحضار عن عمد لمصطلح محدد محل آخر، وهكذا كان (saccharose) سكاروز محل (sucrose) بالإنجليزية، في هذه الحال، علة الترجمان ليست فقط أن يجد مصطلحاً لا يرتبط بشكل تلقائي في ذهنه بالمصطلح الإنجليزي، مثل (sucre) سكر بـ (sugar)، ولكن أن يمنع نفسه أيضاً عن وعي من الانزلاق الصوتي (sucrose) (كلمة تبدو طبيعية تماماً عند لفظها على الطريقة الفرنسية!). وفي أحوال أخرى، عليه أن يستبعد المعنى الأولي، فمثلاً (shoe brake)، كابح ذو نعل لابدَّ من أن يخالف الرغبة الأولى لقول (soulier) حذاء مقابل shoe، ومع ذلك، فإن الجمع بين نعل ـ (shoe) بعدما كرر عدة مرات سيصبح في النهاية تلقائياً. في حال سكاروز، يمكننا أن نفترض ـ والمقطع المترجم يأتي في اليوم الثاني من الإجتماع ـ أن ذكر الكلمة لم

يفرض على الترجمان جهداً واعياً، بما أنه من المحتمل أن يصبح التقابل، بقوة التكرار تقابلاً آلياً، ولكن ما كان من اللازم ذكره هنا، فالأمر شائع في الترجمة الشفهية، وهو تلك الظاهرة التي ترتكز على ضرورة استحضار كلمة أو تعبير بشكل واع.

التجليات اللفظية للمعنى في الترجمة الشفهية

سنلاحظ في مقطعنا الإنجليزي ـ الفرنسي وجود مزيج يسترعي الانتباه لما يبدو وكأنه ترجمة حرفية، وجمل، مع أن كلمات المتكلّم تنجلي من ورائها، إلا أنها لا تشبه هذه الكلمات حرفياً، فالترجمان ينقل بالفرنسية عدداً من الكلمات والجمل التي يسمعها بالإنجليزية. والجملة (A part certains travaux nécessairement défensifs de la part des fabricants) هي ترجمة حرفية لـ (A part from certain necessary defensive work from sucrose manufacturers)، «عدا بعض الأعمال التي هي بالضرورة دفاعية من طرف صناع السكاروز..». هذا لا يعني أن الترجمان يسعى إلى إراحة نفسه من خلال قيامه بهذه الترجمة. تظهر الطريقة التي يترجم بها لاحقاً (within the normal society) بـ (bien-portants) «من هم في صحة جيدة» على أنه لم يكرر فقط (defensive work)، ولكنه فهم ما تعنيه هذه الكلمات: لا يقتصر عمل صناعيّي السكر على الترويج لمنتجاتهم والتسويق لها من أجل زيادة مبيعاتهم، فهم يموّلون أيضاً أبحاثاً عديدة عن دور السكر في مرض السكري وفي الأمراض القلبية ـ العرقية وفي تسوّس الأسنان . . . إلخ، على أمل أن يثبتوا أن السكر ليس ضاراً بالصحة كما يعتقد الرأي العام إجمالاً، فالاجتماع الجاري يضم عدداً من الباحثين الذين يقدمون النتائج التي توصلوا إليها في ميادين مختلفة. يعرف الترجمان كل هذا، وهو بالنتيجة لا يمكنه إلا أن يفهم ما تعنيه (defensive work). ويبدو التجلي اللفظي

لفهمه في ترجمته الفرنسية: (il faut préciser le rôle positif et important du saccharose et autres sucres chez les bien-portants) «يجب تحديد الدور الإيجابي والمهم للسكروز والسكريات الأخرى لدى من هم في صحة جيدة». لا شيء في هذه الجملة يشبه صوتياً أو دلالياً التعبير الإنجليزي» (within the normal society). ولا يمكن الحصول على مثال أفضل من هذا على الطريقة التي يُفهم بها شيء ما يمكن نقله تحت شكل غريب كلياً عن الشكل الأولي، بل للحفاظ عليه لوقت يتجاوز مدى الذاكرة المباشرة، والتعبير عنه في اللحظة الأكثر ملاءمةً للجملة الفرنسية.

(Defensive work) كانت تعني: (recherches sur différentes maladies) «أبحاث عن أمراض متعددة». (Normal society) حيث يلعب السكر دوراً إيجابياً تعني (bien-portants) في صحة جيدة، وعندما يعبّر الترجمان بمساعدة كلمات فرنسية مختلفة عن الكلمات الإنجليزية، يثبت أنه فهم ليس فقط هذا الجزء من الجملة، ولكن الجزء الأول أيضاً (defensive work). ونجد في الجملة نفسها مثالاً مشابهاً للتباين اللغوي: (sucrose users) ترجمت بـ (industries utilisatrices de saccharose) صناعات تستعمل السكاروز. وبما أن موضوع المائدة المستديرة كان دور السكر في صناعة المشروبات غير الكحولية، فقد كان من الواضح أن المتكلم في حديثه عن (sucrose users) لم يكن يقصد المستهلكين المحليين بل الصناعيين، وهذا ما قاله الترجمان بشكل أوضح.

إن المعادلات: (users = industries utilisatrices) الصناعات المستخدمة و(normal society) = (les bien-portants) في صحة جيدة وكذلك قبل قليل (comments = vient de dire) ما قاله لنا، هذه المعادلات تلقي الضوء على التمييز الذي ينبغي أخذه بالاعتبار بين

المعنى والدلالة اللغوية، فالترجمان لا يعبر في ترجمته، عن دلالة الكلمات، وهذا في حد ذاته واقع ملموس وجليّ يمكننا استخدامه للوقوف على الفكر غير اللفظي.

ليس الأمر أن نتبيّن كيف يركب التراجمة نحوياً جملهم بشكل تستجيب فيه إلى أصول لغتهم الأم، وإنما أن نلاحظ أن صياغتهم لا تعكس تمكن أصحابها من اللغتين فقط وقدرتهم على إقامة تقابلات بين اللغتين بل أكثر من ذلك. إنها مرآة للعملية الفكرية التي تدور أثناء ترجمتهم الشفهية، وبالطبع هذه العملية الفكرية ليست موجودة فقط لدى التراجمة، ولكنها تنطبق على آليات الفهم عامة.

وحدات المعنى

تدفع التحليلات العديدة لشرائط تسجيل الترجمات الفوريّة التي قمنا بها إلى الإدلاء بمفهوم وحدات المعنى، فهذه الوحدات عبارة عن أجزاء من معنى تظهر على فترات غير منتظمة، ولكنها جد متقاربة في ذهن أولئك الذين يستمعون لخطاب ما يريدون فهمه. في البداية، عندما تُلفظ بعض الكلمات فقط كالتي في المثال هنا (to identify the possibility) يتعرف المستمع إلى الكلمات (على الأقل في معظم الحالات، حتى ولو احتاج مجرد التعرف على الكلمات إلى الاعتماد على المعنى غالباً)، ولكن لا تحصل أي عملية ذهنية أخرى. ومع ظهور (other needs) تبدو الكلمات الموجودة في الذاكرة المباشرة وكأنها تتداخل، فتتزود فجأة بمعنى. لقد انصهرت في الأثر غير اللفظي للمعارف التي تراكمت منذ بداية الاجتماع. إن وحدات المعنى هي حصيلة التقاء بعض الكلمات الموجودة في الذاكرة المباشرة بالتجارب أو الذكريات المعرفية سابقة الوجود التي تستحضرها هذه الكلمات. يترك الانصهار هذا أثراً معرفياً في حين

تستقبل الذاكرة المباشرة الكلمات التالية وتحتفظ بها لهنيهة، فتتكرر العملية إلى أن يتم خلق وحدة معنى جديدة ستضاف إلى وحدات سبق واحتوتها الذاكرة المعرفية.

لقد لاحظنا في كل الترجمات الشفهية التي درسناها الظاهرة الآتية: يلتصق التراجمة في بداية ترجمتهم الشفهية بكلمات المتكلم عن كثب، وتبدو ترجمتهم شبيهة بالترجمة اللغوية. ولا تلبث كلما تقدم الاجتماع أن تطرأ اللحظة التي تنصهر فيها الكلمات بالمعارف السابقة بالنسبة إلى كل قول، فينجلي المعنى. هذا ما نراه عندما يتراجع نصيب المرامزة لدى التراجمة، لا تعود المرامزة متجسدة إلا عندما يشرع المتكلم في عرض معلومات جديدة، تتشكل وحدات المعنى بسرعة تختلف باختلاف الزاد المعرفي المتوفّر لدى التراجمة، عند سماعهم للقول، أما ترجمتهم، فتصبح حينئذٍ رهناً بإستراتيجيتهم «القولية».

توقع الكلمات، استباق المعنى

ليست وحدات المعنى تجزيئاً صرفياً للغة إلى وحدات نحوية، ففي الحياة اليومية يحصل أن نفهم أحياناً ما يود المتكلم قوله قبل أن ينهي جملته. وهذا ما يحدث أيضاً للتراجمة. يمكن للاستباق أن يأخذ أشكالاً عديدة: إما أن يقول الترجمان حقاً كلمة (فعل مثلاً) قبل أن يكون المتكلم قد لفظ الكلمة المقابلة، أو أن يدرج في المكان المناسب من جملته الفرنسية كلمة تلفظ ـ إذا ما قارنا لحظة لفظها بالكلمة الأصل ـ بعد هذه بزمن قصير جداً، وفي مكان لائق للغاية من سلسلة الكلام، كان الترجمان، من دون أدنى شك، قد خبرها في ذهنه قبل أن يسمع الكلمة الأصل، وهذه هي الحالة الأكثر وروداً.

من الأفضل عندما ندرس حالات استباق المعنى أن نميّز بوضوح بين استباق المعنى واستباق كلمات اللغة. في الحالة الأولى،

إن الترجمان الذي يختزن وحدات معنى في ذاكرته المعرفية الواحدة تلو أخرى (حيث تنصهر الوحدات في الأخرى وتساهم في فهمه لبقية الخطاب) لديه فكرة عن مقصد المتكلم. وفي الحالة الثانية، يتوقع ظهور كلمات تتلازم غالباً مع كلمات أخرى. في المقطع المذكور أعلاه نجد مثالاً على هذا التوقع. يقول المتكلم من أجل أن ينهي جملته:

«...where, within normal society, sucrose and similar sugars are playing important positive roles».

يصمت الترجمان الذي كانت سرعته في الترجمة كبيرة نوعاً ما عندما كان المتكلم ينطق ببداية هذه الجملة: «... society, sucrose and similar sugars are playing important...» في هذا الوقت، الكلمة الوحيدة التي يقولها المترجم هي (le) ولكن عند (important) يفهم ويعود إلى ترجمته: «...rôle positif et important du saccharose et autres sucres chez les bien-portants » «الدور الإيجابي والمهم للسكاروز والسكريات الأخرى لدى من هم في صحة جيدة» كلمة دور بالفرنسية قيلت عندما لفظ المتكلم (important). وكل واحد منا ينتظر بالفعل أن يسمع كلمة دور (أو أي كلمة أخرى لها نفس المضمون الدلالي) بعد:

«There is a real need to identify where, within the normal society, sucrose and similar sugars are playing important...»

لكن استباق المعنى هو شيء آخر، ولإثباته، عليّ أن ألجأ إلى الترجمة الشفهية من الألمانية إلى الفرنسية إذ إنه من السهولة بمكان إيجاد براهين على نوع الاستباق هذا: بما أن البنيات النحوية للغتين مختلفة اختلافاً كبيراً فقلّما نجد ترجمات حرفية. المثال الآتي مأخوذ من دراسة معمّقة للترجمة الفورية نشرت سابقاً (لودورير، 1981).

في اجتماع لخبراء السكك الحديدية صرح ممثل هيئة مالية دولية مركزها سويسرا بما يلي:

«Die Schweizerischen Bundesbahnen haben uns angeboten deinstes Presseveranstaltung, die vom Vertreter des kommerziellen Dienstes... »

لنتوقف هنا من أجل تبيان ما قال الترجمان في الوقت نفسه باللغة الفرنسية: «Les CFF nous ont offert de nous organiser... » «إن الخطوط الحديدية الاتحادية السويسرية قدمت لنا يد العون لتنظيم». . . يتزامن قول الكلمة الفرنسية (organiser) مع قول آخر كلمة ألمانية استشهدت بها: (Dienstes). وها نحن نرى بوضوح أن «يد العون لتنظيم» هي استباق. وهكذا فإن كلمة (Organiser) هي استباق لغوي: «Die Schweizerischen Bundesbahnen haben uns angeboten diese Presseverastaltung...» تستدعي هذه الجملة شيئاً ما يعادل دلالياً (organiser)، وبالفعل، كانت الكلمة الألمانية (durchzuführen)، ولكن من أين جاءت «يد العون لـ(تنظيم)»، في حين أن كلمة (organiser) كان يمكن أن تتوقع بصفتها تلازماً لفظياً لكلمة (Veranstaltung)؟ إن استباق معنى يد العون جرى تسويغه بنهاية الجملة الألمانية:

«Die Schweizerischen Bundesbahnen haben uns angeboten diese Presseveranstaltung, die vom Vertreter des kommerziellen Dienstes in der Gruppe Guignard vorgeschlagen worden war, gemeinsam mit uns durchzuführen»

تقديم يد العون كانت تستبق إذاً (gemeinsam mit uns durchzuführen).

يفسر استباق المعنى عند المستمع بتدخل المعارف السديدة التي يمتلكها ذات الصلة بالموضوع المعالج، في حالتنا هذه، كان المتكلم قد ذكر بالتفصيل طوال دقائق الإجراءات التي اتخذتها شركته لتنظيم حملة إعلامية تقدم من خلالها أنواع مختلفة جديدة لعربات المسافرين. ونتيجة لذلك، عندما يقول: «Die Schweizerischen

لا Bundesbahnen haben uns angeboten diese Presseverastatung»
يمكن لهذه الكلمات أن تؤدي مباشرة إلى (durchzuführen) لأن شركة المتكلم عينها تشارك في هذه الحملة. نرى هنا، مرة أخرى، مثالاً على التدخل الدائم للذاكرة المعرفية في عملية التواصل.

* * *

لقد حاولت من خلال هذا المقال القصير وبمساعدة بعض الأمثلة التي أخذتها من 36 ثانية من خطاب، إعطاء فكرة عن آليات استيعاب الخطاب والترجمة الشفهية وتعقدها.

لو كانت الترجمة الفورية تقتصر على ترجمة دلالة الكلمات التي يلفظها المتكلم على التوالي، أو لو كانت عبارة عن إعادة تنظيم نحوي وبحث عن مصطلحات تقنية، لقدّمَت للباحث مجال بحث مهم بالتأكيد، ولكنه محدود. وبما أنها على العكس من ذلك تقتضي نشاطاً ذهنياً غزيراً ومعقداً، فهي تبدو وكأنها تستطيع أن تفتح درباً واعداً لدراسة آليات الفكر التي تؤدي دوراً في الفهم والتعبير. هذا الدرب لم يكن لينفتح والآليات الفكرية لم تكن لتخرج من «صندوقها الأسود» لو كانت المقارنة بين الترجمة الفورية والخطاب الأصلي تفضي إلى النتيجة نفسها التي يؤدي إليها التحليل المقارن للغات. والحال هذه، فإن الترجمة الفورية تتجاوز المقارنة بين الأنظمة اللغوية لتطال آلية عمل اللغة.

م. لودورير(*)

(*) صدرت الصيغة الأولى لهذا النص بالإنجليزية في: David Gerver and H. Wallace Sinaiko, eds., *Language Interpretation and Communication* (New York: Plenum Press, 1978).

آليات الكلام كما تُرى عبر الترجمة

الترجمة تعني في نظري ـ وبصفتي المروجة لنظرية المعنى في الترجمة ـ نقل معنى المرسلات التي يحتوي عليها نص ما، وليس تحويل اللغة التي صيغ فيها هذا النص إلى لغة أخرى. والمعنى في النظرية التي أقترحها لتأمل طلبة الحلقة الثالثة الذين يرغبون في تحضير دكتوراه في علم الترجمة الشفهية والترجمة الكتابية عندنا، هو فكرة المتكلم أو ـ إن فضلتم ـ مقصده، وعند المستمع هو المدرَك.

يوجد بين المعنى الذي ينقله نص ما واللغة التي صيغ فيها فرق جوهري يفسر ألا تكون آلية عمل الكلام هي آلية عمل اللغة، وأن تكون الترجمة فعلاً تواصلياً وليس فعلاً لغوياً.

على مستوى الآليات العقلية، المعنى هو نتاج الإعداد المعرفي المتجدد على الدوام الذي يطلقه كل قول عند المتخاطبين (كاتب ـ قارئ، متكلم ـ مستمع)، بينما الدلالات نتاج مكتسبات منجزة بشكل نهائي تقريباً في اللحظة التي يكتمل فيها نمو الشخص الفاعل المتكلم والمدرك. والدلالات اللغوية ـ المعجمية، الصرفية أو النحوية ـ مرتبطة ببنى صوتية يمكن للفرد استحضارها وإنتاجها بمعزل عن كل إبلاغ لكلام ذي معنى، إنها ذكريات حية، عادة ما تسمى معرفة للغة أو

كفاءة. وعلى العكس، فالمعنى حالة ذهنية عابرة لا تسم الذاكرة حتماً بشكل دائم، ولكنها تتعلق طويلاً بما فيه الكفاية بكل كلام مسموع، بكل خط مقروء، لبناء معرفة مؤقتة. وبينما أصبح حسن استخدام الدلالات منذ زمن بعيد من باب الأفعال اللاإرادية وردود الفعل المحضة، يفترض المعنى لينجلي حالات إدراكية عاجلة، دمج الكلام المسموع في مجموعات معرفية أكثر اتساعاً، أو مقصد يوجه كلمات تشير إلى أفكار ينبغي نقلها أكثر من إيجاد تعبير لفظي لها (لنتكلم وكذلك لنفهم، نحن نجند كل أفكارنا عن وعي ولغتنا عن غير وعي).

سنجد في هذا المقال بعض الأمثلة مما نودّ قوله بخصوص المعنى، موضوع الترجمة، بالتعارض مع دلالة الأقوال اللغوية، وسنرى في ما بعد أن هذه ليست إلا سمة قاسمة، «مجازاً مرسلاً» مثلما دعتها م. لودورير (1976) للدلالة على مجموع معرفي أكثر اتساعاً.

سيبيّن المثال الأول أن المعنى ـ وهو وليد دمج قول ما في معارف خارجة عن دلالاته ـ هو أمر مستحدث. عند نهاية درس للترجمة الشفهية، في أحد أيام شهر آذار ـ مارس، قلت لطلبتي: «عما قريب السبت!»، ثم طلبت إليهم أن يقولوا لي كيف فهموا هذه الجملة، وبعبارة أخرى ما كان معناها. كنا يوم الخميس، وكان يمكن لأي واحد أن يقول: «السبت، بعد غد»، مفسراً الجملة بإضافة إدراك ذهني واحد، متعلق باليوم الذي كنا فيه، لكن المناسبة لم تكن لتختزل في تواريخ متعاقبة قد لا تسوغ تدخلاً من طرفي. هب الطلبة، الذين كانوا يعرفون أن الفصل الجامعي سيكتمل في الغد، كلهم بصوت واحد: «العطلة!». كانوا يستخدمون معارفهم استخداماً عادياً، وذلك بإجراء عملية بناء معرفي على ردود الفعل الدلالية

الناتجة عن الأصوات(*). يدرك كل من يشارك في لحظة معينة بحالة تواصلية معنى ما يقال، وباستثناء بضع كلمات تسترعي الانتباه، هم لا يدركون إلا المعنى. إن الحالة التواصلية عابرة بالقدر نفسه الذي تكون فيه الساعة التي تمضي، مستحدثة بالقدر نفسه الذي تكون فيه اللحظة الحاضرة نظراً لجل العوامل التي تقترن بها، ولكن بوصفها مشتركة بين كل المشاركين فيها، ليست أبداً حاضرة حضوراً ظاهراً في قول المتكلم، بيد أنها تدعم ضمنياً على الدوام كلامه وما يدركه أولئك الذين يتوجه بالحديث إليهم.

إنها تلك المكملات المعرفية التي تحول الدلالة إلى معنى مقيمة على المكتسب الماضي حاضراً معيشاً أكثر اتساعاً من الإشارة التي تم تلقيها.

سيبيّن قول ثانٍ ما يجري عندما لا يمتلك مستمع عرضي المعارف الضرورية لإضافة مكمل معرفي لقول يصله. سنرى أنه لا يمكنه الوصول إلى المعنى بغياب هذه المعارف. في أسبوعية لو بوان الصادرة في 28 مارس/ آذار 1977، يقوم ج. ك. جيلبير (J. C. Guilbert) بتحقيق صحافي عن الفرقة الأجنبية في غويانا، فيكتب:

«Derrière moi, dans la pirogue,au fil de l'eau, une voix fortement timbrée d'une accentuation slave signale : « tiens,v'là une caisse de bière! »

(*) أتكلم لغرض التبسيط عن رد فعل دلالي عند بروز الصوت، ولا أرمي، لهذا، إلى أن أضع نفسي في خط المذهب السّلوكي الذي يرى أنّ السلوك ينشأ عن ارتباط بين المثير والاستجابة. وعلى العكس، أعتبر مع بياجيه أن كل إدراك حسي يقوم على عملية استكشاف بالقياس (الاستيعاب) مع ما هو معروف ومنطبع بادئ ذي بدء (التصوّر العام) والذي يجري تعديله (التكيّف) تماماً كما هي الحال مع تعيين أصوات اللغة. هذه الأصوات التي ليست أبداً متماثلة بدقة: نبرة الأصوات، وقوة عملية القول، ولهجات في تباين دائم، . . .إلخ. ولذا، يكون استكشافها بمثابة استيعاب دوماً، لكن الاستيعاب يتحقق بلا علمنا.

Tous regardent. Et un papillon bleu, aux reflets violets, de voleter. Puisqu'il y a de tout à la Légion, aurais-je à mes côtés un poète dada ?

Explication : les papillons bleus sont rares et recherchés. Ainsi les Légionnaires les attrapent et les vendent aux marchands chinois de Cayenne pour le prix d'une caisse de bière. Les Chinois, ensuite, les encadrent et les revendent aux touristes »

«خلفي، في الزورق، على مجرى الماء، يقول صوت يرن بنبرة سلافية قوية: «أنظروا، ها هو صندوق بيرة!» فنظر الكل، وإذا بفراشة زرقاء ذات تموجات بنفسجية ترفرف. وبما أنه يوجد كل شيء في الفرقة، فهل أحظى بشاعر دادائي إلى جانبي؟

شرح: الفراشات الزرقاء نادرة ومطلوبة، فيصطادها جنود الفرقة الأجنبية، ويبيعونها للتجار الصينيين في كايّين مقابل صندوق بيرة. وبعد ذلك، يؤطرها الصينيون، ويعيدون بيعها للسياح».

لم يكن ممكناً للصحافي أن يفهم ما كان قد فهمه كل الجنود في الحال، وكان سيحدث انقطاع في عمليّة التواصل لو لم يحصل على معلومات مكملة ضرورية لتحقيق معنى هذا القول!

عامةً، هناك القليل من «الإخفاقات» من هذا النوع في التواصل الأحادي اللغة، ومن العادة ألا نعي المكمل المعرفي الذي يعطي للقول معناه في كل الأحوال. ولكن ما أن يتعلّق الأمر بتمرير معنى قول أجنبي، حتى ندرك أن هذا القول مؤلف من شيء ما، محمول عبر القناة المادية للقول، يجدر بنا أن نقيم له حساباً من أجل أن نجد في لغته التعبير الذي سيعيد تجسيد النص الأصلي.

تتميز الترجمة بظاهرة قلّما تثير الانتباه: كلما امتد القول الأصلي إلى أبعد من كلمة منفردة، ابتعدت ترجمته في لغة أخرى عن تقابل دقيق. ويتجلى ذلك باديء ذي بدء مع ترجمة المفردات المركبة التي تتشكل، في اللغتين، من كلمات تختلف في تقابلها

الخاص بها. لنأخذ الكلمات المنفردة: (key, hole, lock) مفتاح ثقب وقفل، ففيما لم نعد نعي، عند التحدث، المبرر الكامن أصلاً في هذه الألفاظ والذي يجعل اللغات تسمي الأشياء على هذا النحو أو ذاك، يتصور لنا أنه يكفي أن نقرن مدلولات اللغة الثلاثة بدوالها الثلاثة من أجل «تسمية» الشيء ظناً منا أن «الشيء» نفسه يقال بالإنجليزية بواسطة الألفاظ الثلاثة الآتية: (lock, key, hole). ولكن ما أن نأخذ (keyhole) وثقب قفل، ندرك أن العبارة، في كل واحدة من اللغتين، تكتفي بالإشارة الى الشيء فتختار إحدى سماته الخاصة وتترك للمتلقي عناية إكمال المقصود.

وبتدقيق النظر، نلاحظ أن للدلالات اللغوية صفة جزئية في جميع اللغات تظهر ما أن نقارن بين اللغات من دون أخذ الكلمات المنفردة بعين الاعتبار.

في الحالة التواصلية أحادية اللغة، إذا ما تعلق الأمر بـ (keyhole) أو (trou de serrure) بالفرنسية ثقب قفل، لم نعد ندرك تجلّي الظاهرة بفضل الترجمة إلا عندما نواجه مفردات بسيطة، وسيستمر انطباعنا عن أن اللفظة تدل على الشيء، وأننا بقولها نقول الشيء بأكمله.

ظاهرة «الجزء للكل»، الظاهر الذي يحيلنا إلى المُضمر، هذه الظاهرة الحاضرة منذ اللحظة التي نحلل فيها مبرر كلمة منفردة (Säugling-nourrison ـ رضيع)، والجلية ما أن نرمّز مفردة مركبة (keyhole ـ ثقب قفل) لهي ظاهرة تميز اللغة بمجموعها، وتفرض على المترجم الجيد منهجية في الترجمة.

عندما نحلل أن الكلمات لا ترتبط بالشكل نفسه في اللغات المختلفة لهدف التعبير عن المعنى نفسه، نفهم أنه للانتقال من نص

إلى آخر علينا أن ندرك مجموع الأشياء أو المفاهيم المشار إليها في التوليف النحوي للأقوال من أجل الوقوع، في اللغة الأخرى، على القول الذي سينفخ فيها روحاً جديدة. والقول المترجم لا ينجم عن اللغة الأصلية ولكن عن معنى أكثر اتساعاً من دلالات القول.

في المثال الذي ذكرناه (keyhole) بالإنجليزية و(trou de serrure) بالفرنسية، ثقب قفل، الربط بين الشيء وتسميته سابق الوجود في كلتا اللغتين، ويمكننا إذاً الترجمة بتقريب التسميتين (keyhole)= ثقب قفل. إضافة إلى ذلك، لا يصلح هذا المثال إلا بما يميز الاختلافات بين المفردات المستعملة من أجل تسمية الأشياء نفسها في لغات مختلفة، فهو يسمح بإدراك المبدأ وبتطبيقه على مجموع النصوص والخطابات التي نترجمها كتابة أو شفهياً. إذا كان الربط بين (keyhole) = ثقب قفل مستحدثاً كما كان الربط بين السبت = العطلة أو صندوق بيرة = فراشة زرقاء، ولابدَّ للانتقال من (keyhole) إلى ثقب قفل أن نرى أكثر من المفتاح والثقب الذي يدخل فيه، لابدَّ أن نرى القفل. وهذا المثال ليس مرسلة، وليس فهماً بحيث لا تتطلّب الصيغة اللغوية الواضحة فيه مكملاً معرفياً بشكل عفوي وفي كل الأحوال، وليس إعادة تعبير جيد في لغة أخرى تأخذ بعين الاعتبار المجموع الذي تم تشكله على هذا النحو بدلاً من السمات الدلالية للأصل، ولا تعينه بالدلالات السديدة في هذه اللغة.

عوّدنا التحليل الكلاسيكي للنصوص على أن الأعمال الأدبية لا تبوح بمعناها إلا إذا انضاف زادٌ معرفي إلى قولها. وما تضفيه الترجمة من جديد هو البرهان على أن المكمل المعرفي هذا ضروري لكل فهم. وفيما يشكل تبحراً في العلم في حالة تحليل النصوص، يعتبر زاد المعارف العادية أمراً ضمنياً في التبادل اليومي، يتم غالباً من دون

علمنا، لكنه يحدث حتماً كلما كان هناك تواصل حقيقي بواسطة اللغة. في كل مرة يدرك الكلام المرسل إليه أو يصيب نص القارئ الذي كان يستهدفه، ينتج عند المتلقي ليس فقط تعيين للأشكال اللغوية، بل ضم معرفي يُظهر مجموعاً أكثر اتساعاً تحت القول اللغوي.

إن مبدأ الترجمة بسيط أياً كانت صعوبة تطبيقه. إنه اعتبار القول دوماً وأبداً كالسمة الشكلية للمجموع الأكثر اتساعاً الذي يتم نقله، ثم إيجاد السمة القاسمة القابلة للاستعمال في اللغة الأخرى، من أجل إفهام الفكرة ذاتها، انطلاقاً من هذه البنية المعرفية الأكثر اكتمالاً. إذا كنا، ابتداءً من (keyhole)، غير قادرين على أن نفهم أن «ثقب المفتاح» هذا يدخل في «آلية» اختصاصها قفل بابٍ وفتحه، هذا يعني أننا نفتقد إلى المعارف الضرورية لفهم مجموع أكبر من السمة المنطوق بها. إذا كنا، ابتداءً من (keyhole) ومعرفة «الشيء» برمته، غير قادرين على أن نجد بالفرنسية السمة القاسمة التي بمقتضاها ومن أجل تسمية هذا الشيء نقول «ثقب قفل»، هذا يعني أننا لا نعرف اللغة التي نجهد أنفسنا في الترجمة إليها بما فيه الكفاية. أمّا إذا حلّلنا طويلاً دلالة الترابط بين المصطلحات (keyhole) لنخلص إلى أنه ما أن تقام مقابلات الدلالات اللغوية في اللغة الأخرى، نكون قد ترجمنا حقاً (trou pour la clef) «ثقب من أجل المفتاح»، فنكون قد طبقنا طريقة في الترجمة خاطئة تماماً بالنسبة إلى الآليات المعرفية التي تندمج فيها اللغة الفاعلة والمتفاعلة.

ما أن نكتشف أن الدلالة اللغوية للأقوال ليست إلا السمة القاسمة لمعنى ما، وأن اللغات لا تختار السمة نفسها للدلالة على المعنى نفسه، حتى يمكننا التنديد بطرق الترجمة التي تنصب على القبض على اللغة وحدها لعدم فهمها أن الترجمة هي أولاً وقبل كل شيء إدراك المعنى عبر اللغة.

لا يمكن للترجمة أن ترتضي بمرامزة الدلالات، تحت طائلة أن تقدم لقارئها تسميات مركبة بشكل جد غريب، بحيث تحجب المرسلة أكثر مما تكشف عنها والمفروض أن تنقلها. للبرهنة على ذلك، يكفي أن نأخذ أمثلة لها معنى، أي أمثلة مستمدة من أقوال تم إدلاؤها فعلاً، وفهمت لكوننا المرسل إليه الفعلي، مع تجنب الكلمات المنفردة أو الجمل الخيالية التي لا يمكنها، تحديداً، أن تبوح بغير دلالاتها.

في استطلاع للرأي أجرته جريدة إنجليزية ترغب في أن تفهم بشكل أفضل أي نوع من القراء لها، زوّد سؤال طرح ضمن عشرات الأسئلة الأخرى بقول يحمل معنى: السؤال من واقع الحال، لا يستدعي أي معرفة خاصة ويندرج في السياق الاجتماعي - الثقافي ذاته الذي للمقال الحالي. لمعناه إذاً حظوظ لكي يفهم هنا كما في لندن. السؤال المصاغ تحت شكل تأكيد يتطلب جواباً من نوع «موافق» أو «غير موافق» هو الآتي: (It's alright to get a bit drunk at a party). اختيرت هذه الجملة عن عمد للمعنى الذي تحمله فضلاً عن دلالتها، ويمكنها بالتالي أن تخضع في آن واحد لترجمة تدور حول الدلالات، وأخرى تأويلية تهتم بالمعنى.

لنر أولاً ما يعطيه نقل الدلالات اللغوية من دلالة إلى أخرى، بمعنى دلالة الكلمات أو التراكيب النحوية بمعزل عما تعنيه في الحالة التواصلية.

It's alright to get a bit drunk at a party

It's alright: طيب، جيد، ماشي الحال، موافق، يكفي... إلخ.

to get drunk: ينتشي، يسكر، يثمل... إلخ.

a bit: قليلاً، بلا إفراط، نوعاً ما... إلخ.

a party: حفلة، كوكتيل... إلخ.

يقوم التقابل بين كل كلمة من هذه الكلمات على مطابقتها الدلالية: بالمناوبة يمكن لـ (to get drunk) أن تعني: ينتشي، يسكر، يثمل... إلخ. والشيء ذاته في ما يخص المقابلات الأخرى إذ تتعلق كل منها بدلالات بمعزل عن كل استعمال لها، وعن كل هدف يرمي خطاب إليه، ويمكن اعتبارها مطابقة للأصل الإنجليزي. ويختلف الأمر تماماً عندما نريد تقويلها بالمعنى ذاته الذي للعبارة الإنجليزية. ومثالنا على ذلك، صف التراكيب النظمية الواحد إلى جانب الآخر: (ça va de s'enivrer un peu) «ماشي الحال أن ننتشي قليلاً» تثير الدهشة بالفرنسية بسبب غرابة توليفها، ومن كان من المتوقع إجابتهم عن السؤال الإنجليزي من دون تردد، لن يحملوا على محمل الجد سؤالاً صيغ بهذه الطريقة.

في ترجمة ترمي إلى إعادة معنى القول الإنجليزي، سنعمل جاهدين على تحاشي القيم الدلالية الإنجليزية وعلى قول الشيء ذاته بالفرنسية، وذلك باختيار التعبير بحسب المعنى المراد نقله. يمكننا أن نقول مثلاً: «لا بأس في أن نتناول كأساً أكثر مما ينبغي من وقت إلى آخر عندما نسهر» أو أيضاً «ليس الأمر بذي بال كبير أن نعود من حفلة ثملين بعض الشيء».

يمكننا صف أكثر من شكل لقول هذه الفكرة بالفرنسية من أجل تحقيق الهدف الذي كان يرمي إليه استطلاع الرأي الإنجليزي والحصول من قارئ فرنسي على ردود فعل مشابهة لتلك التي ستكون له فيما لو طرح عليه السؤال بلغته. على كل حال، ثمة شيء أكيد: ما أن يتعلق الأمر بقول لا يقتصر على إثارة دلالة كل واحد من عناصره بل إصابة معنى، لا يمكننا الاكتفاء بصف دلالات متقابلة إذا أردنا أن نقوم بترجمة مرضية.

نتساءل أحياناً إذا ما لم يكن هناك خطر في تطبيق النظرية

التأويلية هذه على الترجمة، فبالفعل، على ماذا نعتمد لنؤكد أن هذا القول في لغة (س) له المعنى ذاته لهذا القول في لغة (ص) الذي من المفروض ترجمته، إذا ما تخلينا عن المقابلات اللغوية المقررة سلفاً؟ الجواب بسيط: إنه المتلقي دوماً، والحالة هنا المترجم الذي يضفي على الحروف المطبعية التي يدركها مضموناً دلالياً، دلالات اللغة أو معنى براغماتياً، عملياً.

إنه المتلقي دائماً وأبداً الذي يتصرّف، إن تعلق الأمر بالدلالات الفردية المعزوة إلى الأصوات أو بالمعنى المعزو إلى القول، فإن المتلقي هو الذي يتلقفها بحيث يعزو للقول معنى لا يختلف عمّا يرمي المؤلف إليه، لا يمكنه أن ينسب دلالة **كلب** إلى صوت **قط**. ولا محالة في أن إدراك الكلام ينطبع بالذاتية، ومن العبث أن نندم على ذلك غير أنه من الأهمية التحقق منه.

ليس الاختيار بين أمانة موضوعية وذاتية خائنة، فلا يمكن أن نكون أمناء كلياً إلا بتكرار الدال نفسه، وفي هذه الحالة، نكون قد تخلينا عن الترجمة... يقوم الخيار بين موضوع **الدلالة** وموضوع **المعنى**، الواحدة ذاتية كالآخر، ولا يتميزان إلا بواقع أن أحدهما هو التجلي اللاواعي لمفهوم انطبع مسبقاً في الدماغ، بينما الآخر يجري بناؤه إن لم يكن بصفة كاملة مادام «الدلالة» قد أدرجت فيه، فعلى الأقل بضم مكمل معرفي إلى هذه الدلالة.

بطرح «ليس الأمر بذي بال كبير» كمعادل في المعنى لـ (It's alright to get a bit drunk at a party) وعلى العكس برفض مرامزة الدلالات «ماشي الحال أن ننتشي...»، تقترح الترجمة التي تصب في نظرية المعنى نموذجاً بمراحل ثلاث يصلح لترجمة النصوص المعاصرة وكذلك إلى الترجمة الشفهية للخطابات: 1 ـ فهم اللغة،

2 ـ فهم المعنى، 3 ـ نقل المعنى، وهي بهذا ترفض النموذج الثنائي للترجمة اللغوية: 1 ـ فهم اللغة، 2 ـ نقل الدلالات فيها (من دون إنكار صلاحية هذا النوع من الترجمة للقواميس المزدوجة اللغة، وللنحو المقارن، وتعليم اللغات).

بمعاينة أن اللغات على اختلافاتها لا تعبّر عن المعنى نفسه بدلالات مماثلة، تكشف نظرية المعنى عن الدور الجوهري الذي يلعبه المُضمر المعرفي الذي يلازم ظاهر القول. ويحيلنا هذا إلى مجموع أكثر اتساعاً منه ومفهوم كما هو عليه عبر اللغة. لكن الجزء الذي يشير إلى الكل في لغة ما لن يكون نفسه في لغة أخرى. وإذا ما توجب على اللغة الفرنسية أن تقول شيئاً مغايراً للغة الإنجليزية، فهذا لأن الأفكار التي يراد نقلها ليست شفافة إلا عبر أقوال سديدة. ومنظر الترجمة الذي يدرك أن التعبير عن الفكرة نفسها يفرض من لغة إلى أخرى أساليب لغوية أخرى لا علاقة لها بنقل الدلالات نفسها، سيستدرج حتماً إلى التمييز ثم إلى تحليل المعنى والدلالة عن كثب. وفي اللحظة التي يتحقق له فيها أن ترجمة نص ليست ترجمة لغة، سيخلص إلى أن فهم معنى قول ما في التواصل داخل لغة واحدة يغاير فهم مجموع العناصر التي يتكوّن منها، وبهذا، سيلقي بنظرة جديدة على آلية عمل الكلام.

وهكذا يجري نهج ترجمية تقام على أفعال الكلام الواقعية من أجل تحديد مفهوم المعنى ثم تعود من الترجمة الكاشفة للمعنى إلى مبادئ آلية عمل الكلام، مسلمةً بكونيتهما ومقترحة بالنتيجة طريقة إجرائية إلى الترجمة تنقل محورها من محور الدلالة إلى محور المعنى.

على غرار الفونولوجيا التي عرفت كيف تقيم علاقة منطقية تربط

بين البنى الصوتية للغة ودلالاتها، تعكف نظرية المعنى على إقامة علاقة بين اللغة ـ التلقائية، غير الذهنية من ناحية، والمعنى من ناحية ثانية، والذي يتعذر على اللغة وحدها نقله.

د. سيليسكوفيتش(*)

(*) نشرت النسخة الأولى من هذا النص سنة 1979 في : *Parallèles*, no. 2, cahiers de traduction et d'interprétation de l'université de Genève.

الترجمية بين التأويلي واللساني

بين وصف لغة ما ـ الفرنسية، أو الألمانية، أو الصينية ـ وتحليل نية ذاتية مترجمة في كلام ـ ما هي الأسباب التي تحدو بـ (س) إلى قول هذا؟ ما هي الدوافع التي تدفع (ص) إلى قول ذلك؟ ـ ثمة فسحة لابدَّ من أن تردم. وتطالب بردمها الترجمية، فهي تنتسب إلى مبحث أنطولوجي لا يعتزم اختراق سرائر المؤلف، وهذا بحث ينتمي إلى ميدان الدراسة الأدبية، والتحليل النفسي للفرد إن لم يكن التحليل النفساني أو التأويل الفلسفي، كما لا يعتزم دراسة الأداة التي يستعملها الفرد ـ أي لغته ـ والتي هي من شغل الألسنية.

لا يمكن للترجمية أن تستند لا إلى الواحدة ولا إلى الأخرى، لأن الألسنية لا تدعي الذهاب إلى أبعد ما يمكن إدراكه بشكل محسوس من خارج التواصل بين الأفراد. ومن ناحية أخرى، لا يرى التحليل النفساني أو التأويل الفلسفي إلا ما هو خاص أو فردي وذاتي في عملية التواصل. أما الترجمية فتدعي إبراز ما يفهمه كل واحد من الكلام الموجه إليه أو من النص المرصود له، ويستخدم الموصول ـ «ما» ـ بوصفه معنى هذا الكلام أو هذه النصوص التي يجعل منها المترجم موضوعه، لا اللغة، ولا نوايا المؤلّف، ولكن ما يعنيه كلامه.

تهتم تيارات الألسنية الحالية الكبرى بدراسة اللغة بمعزل عن السياق. وبما أن الألسنية البنيوية قد تخلصت من النزعة التي كانت تغلب وجهة نظر علم النفس عندما اكتشفت بفضل الفونولوجيا طريق الموضوعية، فهي ترفض الانخراط فيها من جديد. أما الألسنية التوليدية فتبحث عن بنى ذهنية كونية، ولكنها تأمل بأن تجدها بواسطة قواعد النحو في بنى تحتية للغة. وأخيراً، تجري اللسانية النفسية نوعاً من «أنسنة» اللغات للبحث عن مظاهر نفسية في اللغات نفسها. وحتى في أحدث ما قدمته الألسنية ـ ولاسيما في تحليل الخطاب ولسانية النص ـ فهي لا تذهب أبعد من دراسة آلية عمل اللغات في نص ما.

أما بخصوص علم النفس التجريبي، إذا تركنا جانباً علم النفس المرضي الذي استحوذ منذ فرويد على اللغة وسيلةً للدخول في الوعي الباطن، فهو لا يهتم في معظم الأحيان إلا باكتساب ردود فعل لغوية، وبفهم كلمات أو جمل بمعزل عن السياق، مهملاً وظيفة التواصل الخاصة باللغة كي لا يرى في السلوكيات اللفظية سوى استعمال للغة.

وعليه، ثمة فسحة لابدَّ من ردمها بالنظر إلى علم الترجمة الذي يتناول معالجة النصوص المعرفية وفهمها، وعملية قولها، ملحقاً هكذا اللغة واستعمالها في الآليات الذهنية للإنسان.

يدّعي الترجمي أنه يمكنه التأويل والتحلي بالموضوعية في آن، لا يجد في ذاكرته النسخة المطابقة للكلمات التي يتلقاها فحسب، بل يعرف أن فهم نص ما يستدعي أشياء أخرى غير معرفته للغته، ويدعي وصف آليات الفهم بوصف آليات الترجمة. ومن أجل ذلك، فهو يستند إلى مراقبة عملية الترجمة في لحظة إنجازها من طرف المترجمين.

أود أن أعرض هنا بإيجاز التصور الذي حدا بنا إلى تأسيس الترجمة ليس وفق رصف الألفاظ المكوّنة للمرسلة إنما وفق تأويل مضمون النصوص، أي وفق إدراك المعنى وإعادة التعبير عنه، والذي أدّى بنا إلى أن نبتعد عن النظريات الألسنية في الترجمة التي تحلل المسائل المطروحة باستبدال لغة بأخرى. يتعلق الأمر بتحرير الترجمة من حيث المبحث الإبستمولوجي وبوصفها عملية تقوم بنقل المعنى من لغة إلى أخرى، من علوم المعجمية، والنحو، والأسلوبية من ناحية، والتعليق على النص، والتأويل من ناحية أخرى.

سأعرّف المعنى بحصره بالنسبة إلى مدلولات اللغة التي يتجاوزها من ناحية، ومن ناحية أخرى، بالنسبة إلى ما يتضمنه، ويتجاوزه بدوره.

عندما نعلم أن «المعرفة الأساسية ليست أبداً نتيجة مجرد انطباع تتركه الأشياء في الحواس، إنما تعزى دوماً إلى استيعاب فعال للفاعل» (بياجيه)، يمكننا أن نقيم دون جهد تماثلاً بين إدراك العالم الذي يحيط بنا وفهم نص ما. نحن نعلم، بحكم تجربة تكررت ألف مرة، أن البقعة الحمراء التي نراها في الحديقة هي زهرة خبيزة (كركديه في مصر) تفتحت في الصباح ذاته، وأنه في يوم آخر، في مكان آخر من الحديقة، سنرى تحت انطباع حواسي مشابه أنبوب ري يبزغ من «الأحمر». عفوياً، ومن دون علم منا، سنأخذ بالاعتبار، كي «نرى» الخبيزة أو الأنبوب، ليس فقط المفهوم المباشر المرتبط بالإدراك، بمعنى اللون، بل ذكرى أننا رأينا في العشية زر الزهرة على وشك التفتح، الأنبوب المنقول من مكان إلى آخر، موقع الزهرة على مرتفع من الدغل وموقع الأنبوب على الأرض، وكذلك ألف إشارة إدراكية وتذكريّة منصهرة في انطباع الأشعة الضوئية على شبكية العين.

والأمر نفسه يحدث لدى فهم نص ما. نحن لا ننتزع المعنى بمزاوجة بسيطة بين حروف هي التجلي الملموس له والمفاهيم التي تعزوها اللغة إليها. لا، ولا نفهم خطاباً بإسناد مدلولات اللغة وحدها إلى السلسلة الصوتية. وكي نشرح هذا الاكتشاف الذي تؤكده تجربة كل مترجم، يجب التحقق من تشابه العمليات التي يدرك الإنسان بواسطتها القول اللغوي ويفهم ما يدور حوله. هذا ويتميّز الإنسان من غيره من الحيوانات باللغة ـ ولكن سيكون من العبث عزل ظاهرة اللغة عن التطور العام لقواه العقلية، فهو لا يمكنه فهم مدركاته الحسية في مجموعها سوى وفق الآليات المعرفية نفسها السائدة في اللغة والعكس بالعكس.

وفي السياق، أي في الحالة التي تهمنا هنا، في سياق نص ما، نحن لا نتناول الكلمة على مستوى دلالتها المباشرة مثلما لا نرى لوناً أحمر فقط أمام خبيزة. بل نستعمل تلقائياً كل نوع من الإشارات الإدراكية والتذكرية، وتنشأ الأولى من الحقل البصري للعين الذي يحيط بمقطع كامل من النص الذي نحن بصدد قراءته، وتحضر الأخرى بفضل الذكريات التي فقدت شكلها اللفظي، ولكنها تؤثر في الكلمات التي تحت أعيننا تأثيراً تصورياً.

لنأخذ كمثال موضح عنوان مقال خلصنا على التو من قراءته في الجريدة الفرنسية **لوماتان** (*Le Matin*)، المؤرخة في 13 تموز/ يوليو 1979 : **مصر تردّ دعوة واشنطن**

لأضع من يقرأني هنا في الظروف التي كانت تحوط بقارئ **لوماتان** بتاريخ 13 تموز/ يوليو 1979، يجب التذكير بما يعرفه هذا القارئ في ذلك اليوم من أحداث عالمية سردتها جريدته سابقاً: زيارة السادات المذهلة لإسرائيل قبل عام، والمساومات التي لا تعد ولا تحصى من أجل إقامة السلام في الشرق الأوسط. لم تزل

اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر، وإسرائيل، والولايات المتحدة الأميركية حاضرة في ذاكرته، وقد علم مؤخراً من الجرائد أن تفويض قوات التدخل التابعة للأمم المتحدة في سيناء سيقارب على الانتهاء، وأن الولايات المتحدة الأميركية كانت قد اقترحت على الحكومتين الإسرائيلية والمصرية عقد اجتماع يهدف إلى تحاشي كل تعقيد في سيناء بعد رحيل القبعات الزرق.

هذه هي الذكريات التي يفهم القارئ عنوان الجريدة عبرها، وإذا ما سألناه حولها، أمكنه تحديد معنى كل كلمة: مصر لا تتوافق هنا إلا بشكل جد جزئي مع تعريف القاموس: «دولة ممتدة في أقصى الشمال ـ الشرقي من القارة الأفريقية، . . . إلخ.» والحالة هذه، لهذه الكلمة معنى: رئيس جمهورية مصر (السادات)، الحكومة المصرية، . . . إلخ. ترد معناها ترفض. لا تُظهر الكلمة على مستوى النص الغموض الذي يمكن اكتشافه على مستوى اللغة: 1 ـ «رفض ما يعرض علينا»، 2 ـ «إعطاء اسم أو ضمير . . . إلخ، حركات الإعراب الخاصة به. . .». للدعوة هنا معنى: دعوة إلى اجتماع ثلاثي حول سيناء. واشنطن: تنطبق الملاحظة السابقة بخصوص مصر.

ولكن لا يظهر معنى «مصر ترد دعوة واشنطن» للقارئ نتيجة بناء حجر على حجر، عنصراً دلالياً بعد عنصر دلالي، إن مجموعة الإشارات السديدة المحسوسة معاً هي التي تغدو إدراكاً للمعنى، ولا يمكن لنا تحديد معنى كل كلمة من هذه الكلمات كما تبدو في الحال إلا استقرائياً.

نرى، في الكلام، كم أن العقل الإنساني يأتي ليكمل القول اللغوي، بما أنه يحمل إليه ذكريات ومعارف غير لغوية. حقاً، يمكن تحليل لغة من خارج الإنسان، فنحلل عندئذٍ حاصل استعمالات

سابقة لا تعد ولا تحصى صنعت من هذه اللغة، ولكن تحتاج دراسة استعمال اللغة أن تؤخذ آليات الإنسان الذهنية بالاعتبار، أي في هذه الحالة، المدى البصري أو السمعي الذي بفضله نستبطن أولاً المعنى الكامل لجملة ما في سياق، وفقط بعد ذلك يكون باستطاعتنا أن نحدد معنى كل كلمة من الكلمات التي تشكلها. بالطريقة ذاتها، ندرك في الحال الخبيزة أو الأنبوب، ويمكننا في ما بعد تحليل الإشارات التي تجعلنا نرى الواحدة أو الآخر.

تدافع النظرية التأويلية في الترجمة، والقائمة على استعمال الإنسان اللغة، عن وحدات فهم (سمّتها ماريان لودورير وحدات معنى)، وتتحقق من أن الفهم لا يصدر عن تحليل معطى لفظي سكوني، ولكنه يتقدم على شاكلة وثبات، من توليف إلى آخر، طوال الخطاب الذي يدور مخترقاً مدى الذاكرة السمعية أو الفضاء البصري عبر العين. وينتج هذا التوليف بين دلالية قول ما ومعارف خارجة عنه حالات إدراكية تتوافق ومعنى التبادل اللفظي.

وبالنتيجة، فإن وحدات الترجمة ليست الكلمة مأخوذة بشكل منفرد، ولا الجملة محددة نحوياً كمسند ومسند إليه، إنما وحدة المعنى، أي جزء الخطاب الذي يجعل تقدمه السامع في لحظة معينة أو قارئ القول إدراك المقصد المشار إليه بواسطة الصيغة اللغوية.

تبيّن دراسة الترجمة الفورية أن المعنى لا يتشكل إلا في اللحظة التي يجعل المضمر فيها ظاهر القول مفهوماً. ويعمل هذا التدخل زناداً، لكنه زناد لا ينطلق دوماً، ولا لدى الكل، في الحلقة ذاتها من سلسلة الكلمات. ثمّة تفاعل وفق علاقة تناسبية عكسية، بين كمية الإشارات اللغوية الظاهرة والمعارف الحاضرة لدى القارئ. وهكذا، فإن سكرتيرة الخبير بشؤون الشرق الأوسط التي تستلم الخبر الآتي على الطابعة البرقية لوزارة الإعلام: «مصر ترد دعوة واشنطن» ترى

تشكل وحدة المعنى منذ أولى الكلمات: «مصر ترد...»، وللقارئ الذي يكون قد تابع أخبار الشرق الأوسط، «مصر ترد دعوة...» تكفي، ومما لا شك فيه أن الفرنسي المتوسط يحتاج إلى الجملة بحذافيرها، وبعد عدة سنوات لن يجد القارئ فيها أي معنى، فلم تعد الكلمات تعني إلا ذاتها.

كل من يقرأ نصاً أو من يسمع كلاماً موجهاً إليه يفهم مضمونه ليس تبعاً لكفاءته اللغوية فحسب، بل، ـ وبشكل إلزامي ـ ، تبعاً للمعارف التي تستحضرها الصيغة اللغوية لديه، مع اعتبار ما تعنيه هي في حد ذاتها. إن استيعاب نص ما أو ـ إن كنا نفضل ـ قراءته قراءةً ذكية، هو في الوقت ذاته إدراك اللغوي وغير اللغوي ضمن عملية طبيعية، مألوفة هي عملية التواصل الإنساني.

يظهر تحليل هذه العملية المبتذلة للغاية أن اللغة تعمل في حركة ذهاب وإياب دائمة بين إتقان اللغة والمعرفة المخزونة في الذاكرة غير اللفظية وإذا ما أهملت دراستها طويلاً، فهذا لأنها ربما لم تكن تتطابق مع إرادة الباحثين العلمية في عزل الإنسان عن المادة الخاضعة للدراسة. وعليه، يصبح إجراء عالم الألسنية العلمي في تجسيده لدراسة اللغة غير علمي إذا ما طبق هذا الإجراء على اللغة المستعملة من أجل نقل المعاني. ليست اللغة، وبمعزل عن السياق، وبمعزل عن المناسبة، وبمعزل عن الحالة التواصلية، ليست اللغة في وضعها وقفاً على الفرد، لكن دراستها وحدها عندما تستخدم في وظيفة التواصل، عندما تخضع لإرادة إفهام الواحد وإرادة فهم الآخر، هي مذمومة بالقدر الذي يؤسس فيه لتعلم سَوق السيارة على عمل المحرك وحده!

ومع ذلك، هذا ما جهدت النظريات الألسنية في الترجمة بعمله: بإهمالها آليات المترجم الذهنية، لا ترى في النصوص غير

تطبيق للغة، وفي ترجماتها مسائل اختلاف بين اللغات. لقد طالت النظرة التنقيصية التي تركت بصماتها على الألسنية منذ بلومفيلد الترجمة أيضاً. ولن تستعيد الترجمة حظوتها بوصفها نظاماً علمياً إلا إذا أعادت التركيز على التفاعل بين الصيغ اللغوية ومضامين تذكرية خارجة عنها، وإلا إذا سلمنا بأنه لا يمكن لأي تحليل للإشارات ذاتها تزويدنا بمفتاح المعنى. إن تحليل اللون الأحمر لا يحيل وحده إلى الخبيزة والأنبوب، مثله مثل تحليل دعوة واشنطن لن يفضي إلى بلورة معنى اجتماع ثلاثي يهدف إلى بحث الوضع الراهن والأمن في سيناء. لا يمكن للغة أن تبوح بالمعنى إلا في تفاعلها مع الإنسان.

موضوعية المعنى

لا يتوافق المعنى مع المدلولات المرتبطة بالدلائل الألسنية تماماً، ولا يحتوي على كل ما نسعى إلى ربطه بها. ما يريد المؤلف التعبير عنه قصداً، هو معنى جملة ما، وهو ليس السبب الذي من أجله يتكلم، ولا هو العلل والنتائج لما يقوله، فالمعنى لا يختلط مع الدوافع أو النوايا. وقد ينتهك المترجم الذي يجعل من نفسه مفسراً، والترجمان الذي يجعل من نفسه مُؤَوّلاً، حدود مهامهما.

أين يتوقف استيعاب الدلائل الألسنية التي تنتج معنى ما؟ يتوقف عند إدراك ما تعنيه الدلائل عند حدوث كلام ما، و لا يبقى مرتبطاً بها بشكل دائم، ولا يذهب الاستيعاب إلى حد التأويل الذي يتجاوزه المبحث الأنطولوجي، من شأنه أن يطال الفرد. ثمة مثال أعطيته لطلبتي سيجعلنا نفهم، على ما أعتقد، الفرق بين المعنى والنتائج التي يمكن لكل واحد أن يخلص إليها من الحالة الإدراكية التي يكون عليها عند تلقي المحسوس اللغوي في الكلام:

في مؤتمر دولي يجمع بين بلدان الغرب وبلدان الشرق، استعمل ممثل ألمانيا الاتحادية في مداخلة له كلمة (Ostblockstaaten)

«دول الكتلة الشرقية»، وهي تسمية جرت عليها العادة في ألمانيا الغربية لتعيين البلدان الاشتراكية. رفع الهنغاري في الحال يده، لأنني أعلم مقدار ما تثير هذه الكلمة من غضب لدى ممثلي بلدان الشرق، توقعت أنه سيدلي بملاحظة حول هذا الموضوع. كان معنى إشارة اليد طلب مداخلة، أما الفكرة التي ولدتها عندي، والتي بدت صحيحة والحالة هذه، فكان ينطوي عليها المعنى، ولكنها لم تكن المعنى ذاته المرتبط بإشارة اليد المرفوعة، إذ لم يكن رفع اليد يعني سوى طلب تقييد اسم المندوب الهنغاري (المجري) على قائمة المتكلمين.

نفهم المرسلة اللغوية مثلما فهمت حركة اليد، يمكننا أن نحلل الأسباب، وأن نوازن النتائج، ولكننا قبل ذلك ندرك معناها. هذا الإدراك هو فوري تقريباً، وصائب تقريباً بحسب المعارف السابقة التي تنبثق عند الالتقاء بالقول، ولكن تحصل دوماً عملية انصهار بين المدرك والتذكري. إذ إن فهم معنى ما هو تجسيد طبيعي لنشاط الإنسان الذهني، ويمكننا الذهاب إلى حد القول إن عجزنا عن ضم شيء آخر غير مدلولات اللغة إلى السلسلة الصوتية، قد ينم عن تخلف أو اختلال عقلي. سأل طبيب أمراض نفسية من أصدقائي أحد مرضاه: («كيف تنام؟» فأجابه: «مثل كل الناس ممدداً وعيناي مغلقتان»...).

لنعد إلى «مصر ترد دعوة واشنطن». لقد رأينا الفرق بين المعنى والمدلول اللغوي، فلنر الفرق بين المعنى وما يتضمنه. يمكنني شرح المعنى الذي فهمته: ترفض الحكومة المصرية الاشتراك في مؤتمر ثلاثي حول سيناء اقترحه الرئيس كارتر، أو: لا نقاش حول سيناء حتى الساعة، تجيب مصر الأمريكان، أو يمكنني إعادة شرح العنوان الذي يعطيه الصحافي في بداية المقال: «أعلنت مصر أنه ما كان بإمكانها الرد إيجابياً على الدعوة الأمريكية بعقد مؤتمر ثلاثي».

يحفظ كل شرح من هذه الشروح للقول معناه. وعلى العكس، إذا ما قمت بتأويل للقول، إذا ما بحثت عن أسباب الموقف المصري، أمكنني أن أقول لنفسي إن سحب قوات الأمم المتحدة من سيناء يعتبر في مصلحة مصر، التي تأمل في الإفادة من الفراغ المستجد، وهي ليست بالتالي على عجلة من أمرها للبحث في الوضع، ويمكنني أن أقول أيضاً لنفسي إن مصر برفضها، تبدي قلقها أمام ضغوط واشنطن المتوالية عشية بدء المفاوضات حول الحكم الذاتي الفلسطيني. كل التأويلات مسموح بها، لكنها تذهب أبعد من المعنى، بينما تفسير المعنى لابدَّ من أن ينتج كما هو عهدنا به دوماً أي المعنى نفسه. غالباً ما يعتمد المترجم على المضمر ليقف على المعنى بشكل أفضل، لكن لا تعكس ترجمته إلا المعنى.

لقد سمح لي عنوان مقال في انسجامه مع واقع الحال وفي اقتضابه أن أصور العملية الطبيعية التي تحدث كل مرة نقرأ فيها مضموناً فكرياً نقلته مرسلة لغوية. إنها هذه العملية الطبيعية التي يطبّقها الإنسان المترجم على النص الذي يترجمه، يفهم معنى الأقوال، وعندما لا تكون الضغوط الاجتماعية والاقتصادية المفرطة قد شوهته، يعيده في صياغة مطابقة لعبقرية اللغة الهدف. سأكتفي هنا بتدوين بعض التعابير التي وجدها طلبتي في الترجمة الشفهية لترجمة بعض المصطلحات التي استعملتها مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher)، عندما كانت رئيسة للمعارضة، في خطاب موجه إلى (مؤتمر اتحاد الطلاب المحافظين) في جامعة شيفيلد:

(Federation of Conservative Students Conference Sheffield):

The future of the country, of course, involves your future. The next twenty-five years are the *crucial years* for you - the years in which you will *go out into the world, establish yourselves in your chosen careers*, marry and *set up new homes*, take *decisions about your children's education*, and *become figures of some Importance and influence* in your local communities.

années décisives	crucial years	سنوات حاسمة
go out into the world	entrer dans la vie	الدخول في الحياة
in your chosen careers establish your-selves	vous aurez commencé à faire carrière	تكون قد نجحت في حياتك المهنية
set up new homes	fonder un foyer	تأسيس بيت
l'orientation scolaire de vos enfants	take decisions about your children's education	التوجيه المدرسي لأبنائك
vous compterez parmi les notables	become figures of some Importance and influence	ستعتبر من بين علية القوم

ليس المقصود هنا تقديم هذه الترجمات الكتابية أمثلة نموذجية لا نقصان فيها، ومع ذلك، فهي تبدي بوضوح كافٍ أن المعنى لا يتشكل من اللغة فقط، وأنه عندما نتكلم أو نكتب، لا ننقل كلمات وجملاً ولكن أفكاراً تنم عنها، وعندما نترجم، لا نترجم اللغة، بل نعبّر في اللغة الأخرى عن المضامين الفكرية للمرسلة اللغوية الأصلية.

للمعنى أهمية أساسية في الترجمة، لأنه يحدد نفسه كشيء من الجدير نقله من ثوب لغوي إلى آخر. والمعنى فكرة أكثر اتساعاً تصورياً من الجزء الذي يتجلى في ظاهر القول.

إن مفهوم المجاز المرسل الذي درسته ماريان لودورير ذو أهمية للترجمة، لأن المعنى الذي لم يعد مضموناً فيه بل مشاراً إليه بظاهر القول الأكثر إقتضاباً يمكن إعادة التعبير عنه في لغة أخرى ومن خلال سمة أخرى للفكرة ذاتها، ولم يعد لظاهر الأقوال في اللغتين

أن يتطابق مادام مجمل الأفكار التي يحيل إليها واحداً. ترى الترجمة احتمالات التعبير لديها قد تضاعفت عندما تخلصت من قيود اللغة الأصل، وهذا ما وضحه «جان دوليل» ببراعة. يتفوق المعنى على دلالات اللغة لدرجة أن هذه الدلالات، بعيداً عن ربطها على الدوام بأصوات السلسلة الصوتية، تمضي في الكلام غالباً من دون أن نحس بها، وقد أثبتت ذلك «كارلا ديجان لو فيال».

لقد أثبتت الترجمية المنطلقة من مهارة المترجمين أن المعنى المرتبط طبيعياً وعفوياً بالتجليات المحسوسة للكلام الفردي يرتبط بهذه التجليات بالطريقة نفسها عند كل الذين يتوجه هذا الكلام إليهم، وإن كان المعنى مجرداً، فإنه مع ذلك موضوعي، وإنه، على الرغم من كونه فردياً ومستحدثاً، فهو أونطولوجي مع ذلك، لأنه يتم استيعابه بالطريقة نفسها من الجميع.

د. سيليسكوفيتش(*)

(*) نشرت صيغة أولى من هذا النص في: *Meta*, vol. 26, no. 3 (1981).

الثبت التعريفي

إدراك/ تـلـمـس الـمـعـنـى (Perception/ Appréhension du sens): مرحلة من مراحل الترجمة تأتي بعد قراءة النص الأصلي وتسبق إعادة التعبير في اللغة الهدف. تلمس المعنى يتطلب إعتاق المضمون من الشكل اللغوي.

استوعب/ فهم (Interpréter): نستخدم هذا المصطلح بمعنى فهم ما يقوله مؤلف، ونقل مقصده في صيغة تجعله مفهوماً لشخص ينتمي إلى حضارة أخرى.

لا نستخدم هذا المصطلح وفق دلالته الفرنسية السلبية المحتملة بمعنى التحوير والتشويه.

استيعاب/ فهم (Interprétation): نستخدم هذه الكلمة في معانٍ تختلف بحسب السياق، فنستعملها بمعنى «فهم» نص أو خطاب وبمعنى «ترجمة شفهية» (ترجمة فورية) على السواء.

اشتراك لفظي/ تعدد المعاني (Polysémie): حالة الدلالة التي تشمل دلالات عديدة يميّزها بوضوح من عاش ومارس هذه اللغة في بلدها الأصلي (الساكن الأصلي)، كالقول مثلاً في الإنجليزية:

(Country) التي تشمل مفهوم (pays/ campagne) بالفرنسية (بلد/ ريف)

ندرج في فئة «المشترك اللفظي» كلمات لا يدرك مختلف دلالاتها الساكن الأصلي إدراكاً واضحاً ولكنها تظهر في الترجمة. كالقول بالألمانية : (wenn) بمعنى إما (si) أو (quand) بالفرنسية (لو أو متى) أو (pourquoi) بمعنى (warum/wozu) بالألمانية (لماذا).

إعادة التعبير (Réexpression/ Reformulation): هي المرحلة الأخيرة من العملية الترجمية وتقوم على إعادة إلباس المعنى المستوعب ثوباً لفظياً في اللغة المصدر.

انفعالي عاطفي/ معرفي (Affectif/ Cognitif): يرى جان بياجيه أن الحياة العاطفية والحياة المعرفية وثيقتا الصلة ببعضهما وإن كانتا متميزتين. هما وثيقتا الصلة ببعضهما لأن التفاعل مع العالم الخارجي يفترض القدرة على التنظيم وإبراز المزايا، بيد أنهما متمايزتان بوصفهما وجهي السلوك الإنساني اللذين يتعذر اختزالهما الواحد في الآخر، وعليه لا يمكننا ممارسة ملكة الاستدلال، حتى في مجال الرياضيات البحتة، من دون الإحساس ببعض المشاعر، وبالعكس، لا وجود للعواطف والانفعال من دون حد «أدنى» من الفهم والتمييز...

هذا وتجدر الإشارة إلى أن العناصر المدركة والذهنية التي نجدها في وجوه التعبير الانفعالي ذات أهمية بالنسبة إلى الحياة المعرفية كأي رد فعل إدراكي أو ذكي. وما اصطلحنا على تسميتهما «مشاعر» و«ذكاء» باعتبارهما ملكتين متعارضتين، هما ببساطة السلوكات الخاصة بالأفراد وتلك المتعلقة بالأفكار (نسبة إلى التفكير أو الذهن) أو الأشياء: وفي كل من هذه السلوكات، تتدخل أوجه الفعل العاطفية والمعرفية، وهي دوماً متناسقة متكاملة، وبالتالي لا تشكل ملكات مستقلة بتاتاً.

تحصيل المعنى/ الانعتاق من اللفظ (Déverbalisation): وهي مرحلة في عملية الترجمة تقع بين فهم النص وإعادة التعبير عنه في

لغة أخرى وتقوم على الانعتاق من الدلائل اللغوية المتلازم مع استخلاص معنى معرفي وعاطفي.

ترجمة (Traduction): يتضمن هذا اللفظ مفاهيم تختلف تمام الاختلاف وفق طبيعة العملية التي نتصدى لها.

ترجمة تتمحور حول الفهم والاستيعاب (Traduction interprétative): تنقل خطاباً أو نصاً. وهي كما تم وصفه في هذا الكتاب، تتعلق بنقل معانٍ متماثلة من لغة إلى أخرى مع التقيد بتعادل الأشكال. في هذا النوع من الترجمة، يدرك المترجمون والتراجمة معنى خطاب أو نص (مرحلة تحصيل المعنى) ثم يتفاعلون مع المعنى كما لو كان الأمر يتعلق بمقصدهم الخاص، ويقومون بصياغته في خطاب جديد وفي لغة مختلفة (مرحلة إعادة التعبير). الترجمة هذه ليست ما اصطلحنا على تسميته بالترجمة الحرة التي تتسم بعدد كبير من أوجه النقصان والزيادة وبإعادة ترتيب الأفكار.

ترجمة كلمة كلمة (Traduction mot à mot): تستخدم أساساً في الترجمة بين لغتين لإبراز بنى لغة الانطلاق.

ترجمة لغوية (Traduction linguistique): التي نطلق عليها أيضاً تسمية المرامزة تسعى إلى إقامة تقابلات من لغة إلى أخرى. وهي مبدئياً لا تأخذ بالاعتبار إلا الدلالات التي كرست مسبقاً في لغة الانطلاق والقواعد النحوية في لغة الوصول. لا يمكن تحقيق هذا النوع من الترجمة إلا إذا اعتبرنا اللغات شفرات يمكن استبدال وحداتها الواحدة محل الأخرى.

في الواقع، وبالنسبة إلى النصوص، قد يعرقل نقل الدلالات أصول لغة الهدف. وتطرأ بعض المكملات المعرفيّة بصفة تلقائية ما أن يتبيّن أن النقل الدقيق للدلالات غير مصيب بالنسبة إلى لغة الوصول.

ندرج كذلك في كلمة «ترجمة» عمليات لا تستهدف النصوص بل تسعى إلى شرح لغة الانطلاق: **الترجمة الحرفية** (La Traduction Littérale) على سبيل المثال التي قد تنقل كلمة بحذافيرها عبر ترجمة مبرراتها. ونورد أمثلة على ذلك بالألمانية والفرنسية:

(Tischbein): (jambe de table) (pied de table)

ويقال في الألمانية حرفياً: رجل الطاولة وقدم الطاولة بالفرنسيّة أي قاعدتها بالعربية. كما يمكن إلى الترجمة الحرفية أن تنقل دلالة كل مكوّن من مكونات التعبير المسكوك أو الجامد، كالقول مثلاً:

Eulen nach Athen bringen

وتعني حرفياً بالفرنسية: (Apporter des chouettes à Athènes) (جلب أبواماً إلى أثينا) بينما يعبّر عن معناها بالفرنسية: Porter de l'eau à la rivière (جلب الماء إلى النهر) (بيع الماء في حارة السقائين).

تعادل (Equivalence): تتعادل النصوص أو الخطابات أو أجزاء من الخطاب أو من النص حين تتماثل من حيث المعنى فتؤدي الوظيفة نفسها وذلك بغض النظر عن تباينها من حيث البنى النحوية أو الخيارات المفرداتية.

تقابل (Correspondance): التقابل هو العلاقة القائمة بين دلالات لغات مختلفة. مثال نستقيه من جان دوليل بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية:

Literature = Littérature, documentation = documents, publications

يمكن استخلاص فائدة ما من التقابل في تعليم اللغات مثلما هو الحال في الألسنية المقارنة، كما أنه مفيد في تأليف القواميس ثنائيّة اللغة أو متعدّدة اللغات.

أما في ترجمة النصوص فالتقابلات بين الأرقام والتسميات والمصطلحات الفنيّة تعطى قبل الترجمة.

أما بقية التقابلات التي تكشف عنها الدراسة المقارنة بين نص أصلي وترجمته فهي تنتج من التعادلات في المعنى وهي محطة ما بعد الترجمة.

تماثل (Symétrie): لا يبحث المترجم عن تماثل على مستوى الكلمات والتعابير وإنما على مستوى الأثر الذي يحدثه النص لدى المتلقي، النص المترجم مكوّن إذاً من مقابلات ومعادلات تؤدي في النهاية إلى إعطاء انطباع مماثل للانطباع الذي أعطاه النص الأصلي.

تمنع عن الترجمة (Intraduisibilité): ترفض نظرية المعنى في الترجمة فكرة أن ثمة كلمات أو تعابير أو نوعيات من النصوص التي لا يمكن ترجمتها، فمادام النص يعبّر عن معنى أمكن تحصيله في لغة ما يمكن أن يعاد التعبير عن المعنى ذاته في لغة أخرى.

خطاب (Discours): نفهم الخطاب على أنه خطاب شفهي أحياناً، وهو مرادف هنا للنص.

دلالات لغوية (Significations linguistiques): وفقاً لنظرية المعنى في الترجمة ينبغي الفصل بين الدلالات اللغوية ومعنى الكلام فالمترجم يهتم بمعنى الخطاب لا بمختلف الدلالات اللغوية الكامنة في الألفاظ المكونة لهذا الخطاب.

دلالة (Signification): في اللغة الفرنسية الكلمتان (Sens/ Signification) مترادفتان. في الترجمية، نحن نميّز بينهما (بالنسبة إلى المعنى انظر إلي ما ورد سابقاً).

الدلالة تنطبق على الكلمات والجمل المنفردة. تنتج دلالة الجمل من الدلالات المفرداتة والمعجمية. الدلالات المفرداتية تجد تعريفاً لها ووصفاً مسهباً في القواميس. وهي ترتبط باللغة وتمثل

«القدرة على التعبير» غير المرتبطة بمناسبة ما. وفي الجمل، يحددها السياق اللفظي ودلالتها الأولية على مستوى اللغة على السواء. أما في الخطاب، فيحدّدها إضافة إلى كل ذلك المجال المعرفي وطريقة الكاتب الخاصة في استعمالها.

الدلالات السديدة هي نتاج هذه التحديدات سالفة الذكر.

وحدها الدلالات السديدة هي التي تساهم في بلورة المعنى.

دلالة ضمنية (Connotation): وهي تدل على ما تحمله المفردة من قدرة على الإيحاء والانفعال على مستوى اللغة. أما على مستوى الخطاب فإن بعض المفردات تنبثق من استعمال الفرد فتتلوّن برونق عاطفي خاص قد تختلف عن سابقتها في اللغة.

إن درايات المترجم اللغوية تمده بالدلالات الضمنية اللغوية بينما المكملات المعرفية تجعله يفهم الانفعال الذي يضفيه المؤلف إلى بعض الألفاظ.

سياق (Contexte): درج استخدام كلمة (Contexte) الفرنسية بمعناها الإنجليزي (Context). ونعني به من هذا المنظور الظروف التي تحوط بالنص عن قريب (ظروف إصدار الخطاب) أو عن بعيد (المناسبة التاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية التي أبصر النص فيها النور). والحال هذه، يتعلق السياق بالمحيط غير اللغوي الذي يندرج فيه القول.

سياق لفظي (Contexte verbal (co-text in english)): نحاول هنا الاحتفاظ بالمعنى الفرنسي للكلمة ولكن، توخياً للوضوح، نضيف إليه صفة لفظي. السياق الذي نحن بصدده هو المحيط اللغوي لوحدة مفرداتية.

السياق اللفظي يقصي ظهور معظم الافتراضات الدلاليّة للمفردات. وهو بذلك يطابق الإدراك عبر المدى البصري أو السمعي.

سياق معرفي (Contexte cognitif): تزودنا قراءة نص بمعرفة تضاف إلى المعرفة المتوفرة في المخزون المعرفي. هذه المعرفة المتراكمة تنعتق من الألفاظ، ولكنها تظل حاضرة في الذاكرة على شكل غير لفظي وتساعد المترجم على فهم نصه.

إن المخزون التذكري المتشكل خلال عملية فهم النص يطابق الدرايات الدقيقة، وهي عادة قصيرة المدى، وتفسح المجال بعد فترة ما إلى خليط هذه الدرايات بغيرها.

ظاهر ومضمر (انظر أيضاً المجاز المرسل) /Explicite) (Implicite: لا تظهر اللغات سوى جزء من المفاهيم التي تدل عليها، كما لا يُظهر الخطاب أو النص إلا جزءاً من الأفكار التي يعبّران عنها.

الكلمة التي تدل على واقع ملموس أو مجرد لا تعبر إلا عن سمة من سماتها. كالقول مثلاً: (tire-bouchon = Korkenzieher) بريمة.

في الفرنسية، نحن ننزع شيئاً وظيفته سد القنينة ومادته تظل مضمرة، بينما في الألمانية، نحن نشد (ziehen) الفلين (Korken) الذي من وظائفه سد القنينة. تدل الكلمتان على الشيء نفسه، ولكن الدلالات الظاهرة لا تتطابق.

أما الكتّاب فلا يظهرون سوى جزء من مقصدهم، وتتضمن النصوص والخطابات جانباً كبيراً من المضمر الذي يتطابق مع المعرفة المشتركة بين المتكلمين، فهؤلاء يستقون منها مكملاتهم المعرفية.

وللتعبير عن المعنى نفسه في مختلف اللغات قد تظهر لغة المضمر وتغيبه أخرى.

علم الدلالة (Sémantique): عادة ما تعني دراسة الدلالات اللغوية (المفرداتية والنحوية) على مستوى الأقوال. ومن هذا المنطلق، لا تهتم الترجمية مباشرة بعلم الدلالة.

فاعل متلقي (Sujet récepteur): ليس التلقي أيضاً عملية سلبية ينتظر فيها المستمع أو القارئ أن تنجلي المعاني من نفسها لدى سماع النص أو قراءته، فالمتلقي يقوم أيضاً بدور فعال لفهم المعنى المنقول له.

فاعل مدرك (Sujet percevant): إن الإدراك ليس عملية تتم من تلقاء نفسها عند الترجمة وإنما للقارئ المترجم دور فعال إذ يستحضر مجموع معارفه اللغوية وغير اللغوية، من أجل إعتاق المعنى من ثوبه اللفظي.

فهم (Compréhension): هو التوصل إلى مقصد الكاتب أو المتكلم، ويتسنى ذلك عند تحصيل المعنى من الشكل اللفظي الذي عبّر من خلاله الكاتب أو المتكلم عن أفكاره. العملية تتطلب استحضار شتى المعارف اللغوية وغير اللغوية من خلال تعبئة كل أنواع الذاكرة أي الذاكرة قصيرة المدى، المرتبطة بالسياق اللفظي والمعرفي للنص، ومتوسطة المدى المرتبطة بتكوين مخزون معرفي، وبعيدة المدى المرتبطة بتراكم المعارف اللغوية وغير اللغوية.

لبس (Ambiguité (s)): يقال عن جملة إنها «ملتبسة» عندما لا يكفي السياق اللفظي لفرض دلالة واحدة على الألفاظ من بين دلالات أخرى محتملة، فعلى سبيل المثال:

«The secretary says she is sick»: Le (ou la) secrétaire dit qu'elle est (la secrétaire ou quelqu'un d'autre?) est malade

ترجمة الجملة الإنجليزية: السكرتير (أم السكرتيرة؟) تقول إنها مريضة (من يا ترى؟ هي أم غيرها؟)

اللبس ظاهرة ترد كثيراً في الترجمة الآلية.

لا وجود للبس في الخطاب أو النص حين يتمتع القارئ أو المستمع بالمكملات المعرفية السديدة. في بعض الأحيان، يكون اللبس مقصوداً من طرف الكاتب فيصبح عندئذ جزءاً من مقصده ونتقيد به في الترجمة.

لغة (Langue): للغة تعريفات لا حصر لها ولا داعي لإضافة تعريف آخر. في الترجمية، الترجمة على مستوى اللغة هي الاهتمام بالكلمات والمبررات والجمل، بغض النظر عن المكملات المعرفية. (انظر أيضاً الترجمة اللغوية).

مجاز مرسل (Synecdoque): وهو مصطلح اقترضناه من البلاغة. ويدل على الصورة البيانية التي تعبّر عن الجزء وتريد به الكل.

يتجلى المجاز المرسل في اللغة حين لا تظهر مبررات الكلمات سوى جزء من المفهوم المشار إليه، فعلى سبيل المثال كلمة (tiroir) «درج - جرار» بالفرنسية تدل على الشيء المجرور، في حين أن كلمة (Schublade) بالألمانية تعني «الشيء الذي تم دفعه».

ويتجلى المجاز المرسل أيضاً في الخطاب، ففي مثال بالإنجليزية مقتطف من كتاب (*Cannery Row*)

The ties were pulled down a little /
Ils avaient défait leurs cravates

في هذه الصورة، حيث ربطة العنق يتم فكها أو جرها نحو الأسفل، تدل الترجمة الفرنسية على السبب بينما تدل الإنجليزية على النتيجة.

مخزون معرفي/ زاد معرفي (Bagage cognitif) : هو مجموع الدرايات التصورية والانفعالية التي تكوّن معرفة الإنسان المستديمة والتي يكتسبها من خلال:

1. واقعه المعيش (المعرفة المكتسبة عن طريق التجربة)

2 .اللغة (ما يتعلمه من خلال القراءة والتعليم والمحادثة والتلفزة، . . . إلخ).

3 .تفكيره الخاص. تنطبق التعابير الإنجليزية مثل:

(World Knowledge) = (connaissance du monde) «معرفة العالم» و(Encyclopedic Knowledge) = (connaissance encyclopédique) «معرفة موسوعية» على مخزوننا المعرفي، وتنطبق عبارة (Background Knowledge) أي «المعرفة المترسخة لدينا» (التي نجندها بصفة طارئة لفهم وحدة من النص) على مخزوننا المعرفي السديد (bagage cognitif pertinent).

مدى **(Empan)**: حقل الإدراك المطابق في الخطاب الشفهي لمدة لا تتجاوز بضع ثوان لتقدّم السلسلة الصوتية وفي الخطاب المحرّر، تطابق 7 أو 8 كلمات ندركها بصرياً وعلى الفور تقريباً.

تتشكل وحدات المعنى في هذا المدى وتنصهر تدريجياً في معان أكثر اتساعاً.

يقتضي الإدراك عبر المديين البصري والسمعي معرفة اللغة معرفة لا غبار عليها. إذا كانت معرفة اللغة غير كاملة، بحيث لا تسمح بالقيام بقراءة سلسة كلمات فيتوقف القارئ عند كل كلمة،

يتعرقل عندئذٍ أثر الإدراك عبر المديين السالفَي الذكر، فيتساءل القارئ عن معنى الدلالات مما يحدث لبساً واشتراكاً لفظياً.

على الصعيد الشفهي، يقع الفهم على مستوى فك رموز الرنات اللغوية ولا ينبثق المعنى إلا بشكل مجتزأ للغاية.

مرامزة (Transcodage): تسمية أخرى للترجمة اللغوية وهي عملية تقضي بإقامة تقابل بين لغتين على صعيدي المعجم والتركيب.

مرسلة (Message): هي ما يحتوي عليه الكلام من معنى ينبغي على القارئ ـ المترجم استيعابه ونقله للمتلقي.

معادلات (Equivalences): هي الكلمات والتعابير التي تعادل في اللغة الهدف المعنى المنعتق من كلمات اللغة المصدر. لا يمكن تحديد المعادلات كلها سلفاً كما هي الحال مع المقابلات.

معرفة سديدة (Savoir pertinent): هي المعرفة التي تلعب دوراً فاعلاً لتحصيل المعنى، إذ ليس من الضروري استحضار كل المعارف المتوفرة لدى الإنسان في شتى المجالات عند ترجمة نص ينتمي لمجال محدد، وإنما ينبغي استحضار المعارف التي من شأنها أن تساعد على تجلي مقصد الكاتب.

معرفة مشتركة (Connaissance partagée): مجموع من المعارف، لغوية كانت أو غير لغوية، يتقاسمها أطراف العملية التواصلية.

معرفي (انظر أيضاً **عاطفي، انفعالي**) **(Cognitif)**: معرفي هي نسبة إلى «معرفة» كصفة وإلى «المعرفي» كاسم.

والمعرفي هو في آن معاً عاطفي، انفعالي، ولذا نكتفي غالباً باستخدام مصطلح معرفي للدلالة على المعرفي العاطفي. نستخدم في المعنى ذاته الزوج تصوري انفعالي.

معنى (Sens): الكلمة المفتاح في النظرية المعتمدة على الفهم والاستيعاب. بالنسبة إلى المترجم، المعنى هو حصيلة التقاء الدلالات اللغوية بالمكملات المعرفية السديدة لمقطع من النص أو من خطاب.

ينتج المعنى من انعتاق السلسلة الصوتية (أو الخطية) من الألفاظ عند لحظة انصهار المعارف اللغوية في المكملات المعرفيّة. والمعنى ينسجم مع حالة ذهنية وهو في آن معرفي وانفعالي.

مقابلات (Correspondances): هي الكلمات التي يتم التعبير بها في اللغة الهدف عن معنى مماثل للمعنى الذي تعبر عنه الكلمات في اللغة المصدر، وثمة مقابلات مقررة سلفاً نجد الكثير منها في القواميس ثنائية اللغة.

مقصد (Vouloir dire): حالة ذهنية ما قبل اللفظية تؤدي بالضرورة إلى إصدار كلمات. إنه بالنسبة إلى المتكلم الكاتب ما سيتحول إلى معنى بالنسبة إلى السامع القارئ.

وخلافاً للفكر، يمكن إدراك المقصد بصفة موضوعية من خلال الدلالات اللغوية السديدة المقترنة بالمكملات المعرفيّة.

مقصد الكاتب أو المتكلم هو ما يقصد توصيله للمتلقي من معنى وليس نيته من وراء كتابة نصه أو إلقاء خطابه، إذ ليس مطلوباً من المترجم أن ينقل نوايا من يترجم لهم، وإنما ما يقصدون التعبير عنه.

مكمّلات معرفية (Compléments cognitifs): هي العناصر السديدة المنتمية إلى المخزون المعرفي والسياق المعرفي، التصورية والانفعالية التي تقترن بالدلالات اللغوية للخطاب والنص لتولد المعنى. إنها تعادل المعرفة اللغوية في أهميتها لفهم السلسلة الصوتية أو الخطية.

مكون تصوري ومكون انفعالي (Composant conceptuel et composant affectif): ينطوي المعنى على مكوّن معتمد على مفاهيم مختلفة يتم استيعابها ذهنياً، كما ينطوي على مكوّن معتمد على جانب يتم استيعابه بشكل حسي. على الترجمة أن تنقل هذين المكوّنين لإحداث تأثير لدى المتلقي يماثل التأثير الذي أحدثه الأصل في اللغة المصدر.

نص (Texte): وهو حصيلة التفاعل بين مترجم والوجود الفعلي للسلسلة الخطية أو السمعية. وبوصفه موضوع فهم نشط، يتجاوز إطار اللغة والكلام بوصفهما موضوعي معرفة ساكنين.

نظرية المعنى/ نظرية تأويلية للترجمة (Théorie du sens - Théorie interprétative de la traduction): هي نظرية تعتمد على فهم مقصد المؤلف ومحاولة إيصال هذا المعنى إلى المتلقي في اللغة الهدف. ليست اللغة وحدها إذاً هي محور الترجمة وفقاً لهذه النظرية، بل ما تحويه الأشكال اللغوية من معنى ظاهر وضمني. التأويل هنا لا يعني التحوير وإنما هو محاولة لتحصيل معنى قد يكون كامناً وراء الأشكال اللغوية.

وثائق تحضيرية (Documentation): لإدراك المعنى الذي يعبر عنه النص الأصلي، يقوم المترجم بأبحاث موثقة في اللغة المصدر واللغة الهدف للإلمام بشتى المعارف اللازمة لإيصال المعنى ذاته للمتلقي في اللغة الهدف. ينتج عن هذا البحث مجموعة من الوثائق التحضيرية التي ينبغي أن يحافظ عليها المترجم.

وحدة المعنى (Unité de sens): حالة ذهنية تنتج عن التفاعل المتآلف للمعارف اللغوية وغير اللغوية على مدى سمعي أو بصري يمكن الوقوف عليها في الترجمة الفورية. كما أنها موجودة عند القراءة على الرغم من أن تمييزها أصعب، بسبب ثبات التدوين

وإمكانية التوقف عند كلمة أو جملة. وتتداخل وحدات المعنى وتنصهر لتشكل «المعنى».

وحدة معنوية صغرى/ جزيء أدنى للمعنى (Sémantème): تتكون النصوص من وحدات للمعنى، ويمكن أن نطبق الفكرة ذاتها على الكلمات والتعابير التي يتكون منها النص، إذ تحوي الكلمة وحدات معنوية صغرى تتضافر لتكوين معنى الكلمة. وبما أن اللغات المختلفة لا تعبر عن المعنى ذاته باللجوء إلى آليات الإضمار والإظهار نفسها يستخلص أن ثمة إعادة توزيع الوحدات المعنوية الصغرى تتم عند الترجمة.

ثبت المصطلحات

Maîtriser les connaissances linguistiques	إتقان المعارف اللغوية
Effet de style	أثر أسلوبي
Trace mnésique	أثر تذكري
Trace non verbale	أثر غير لفظي
Trace cognitive	أثر معرفي
Univocité du sens	أحادية المعنى
Création du sens	إحداث المعنى
Choix lexical	اختيار الكلمات
Performance	أداء
Saisir le sens	إدراك/ تلمس المعنى
Saisir les idées	إدراك الأفكار
Perception visuelle	إدراك بصري
Perception mentale	إدراك ذهني
Perception linguistique et non linguistique	إدراك لغوي وغير لغوي
Perception du sens/ Appréhension	إدراك معنى
Saisir le vouloir dire	إدراك المقصد
Anticipation des mots de la langue	استباق كلمات اللغة
Anticipation du sens	استباق المعنى
Faire appel de manière consciente	استحضار عن عمد

Métaphore	استعارة
Utilisation instinctive de la langue	استعمال حدسي للغة
Stylistique	أسلوبية
Stylistique comparée	أسلوبية مقارنة
Hyperonyme	اسم شامل
Générique	اسم الكل
Cadre interprétatif	إطار تأويلي
Reformulation/ Réexpression	إعادة التعبير
Réorganisation grammaticale	إعادة تنظيم نحوي
Redistribution des sémantèmes	إعادة توزيع الوحدات المعنوية الصغرى
Elaboration cognitive	إعداد معرفي
Opérer une équivalence	إقامة معادلة
Acquisition d'une langue	اكتساب اللغة
Perception des informations	التماس المعلومات
Linguistique	ألسنية
Linguistique structuraliste	ألسنية بنيوية
Linguistique transformationnelle	ألسنية تحويلية
Linguistique générative	ألسنية توليدية
Linguistique psychologique	ألسنية نفسية
Mécanismes	آليات
Mécanismes psychologiques	آليات سيكولوجية
Mécanismes de la parole	آليات الكلام
Mécanismes linguistiques	الآليات اللغوية
Mécanismes (mentaux) du traducteur	آليات المترجم الذهنية
Mécanismes cognitifs	آليات معرفية
Mécanisme d'interprétation du discours	آلية استيعاب الخطاب
Mécanisme de fonctionnement de la traduction	آلية عمل الترجمة
Mécanisme du fonctionnement de la parole/ du langage	آلية عمل الكلام
Mécanisme du fonctionnement de la langue	آلية عمل اللغة

Fidélité	أمانة
Incomplétude	انتقاص/ بتر
Glissement phonétique	انزلاق صوتي
Humaniser les langues	«أنسنة» اللغات
Humaniser la théorie de la traduction	أنسنة نظرية الترجمة
Fusion du perçu et du mnésique	انصهار بين المدرك والتذكري
Déverbaliser/ Se libérer des significations	انعتــاق من الدلائل تحصيل المعنى
Rythme normal de la parole	إيقاع الكلام الطبيعي
Psittacisme	ببغائية
Construction du message	بناء المرسلة
Construire une connaissance temporaire	بناء معرفة مؤقتة
Organisation/ Construction grammaticale	بناء نحوي
Infrastructures linguistiques	بنى تحتية لغوية
Structure phonétique	بنى صوتية
Effet, impact notionnel	تأثير تصوري
Interpréter un texte	تأويل نص
Extraire le sens de la forme verbale	تجريد المعنى من كسوة الألفاظ
Manifestation inconsciente	تجلي لاواعي
Déverbalisation	تحصيل معنى وحدات الترجمة
Mobiliser les idées consciemment	تجنيد الأفكار عن وعي
Alignement	تراصف
Articulations du discours	تراكيب الخطاب
Syntagmes/ structures syntagmatiques	تراكيب نظمية
Interprète	ترجمان
Traduction automatique	ترجمة آلية
Traduction humaine	ترجمة بشرية
Traduction écrite	ترجمة تحريرية

Traduction consécutive	ترجمة تعاقبية
Traduction littérale	ترجمة حرفية
Traduction orale	ترجمة شفهية
Interprétation (Opération)	ترجمة فورية (عملية)
Traduction dévoilant le sens	ترجمة كاشفة للمعنى
Traduction linguistique	ترجمة لغوية
Traduction spécialisée	ترجمة متخصصة
Traduction acceptable	ترجمة مستساغة
Traduction fonctionnelle	ترجمة وظيفية
Traductologie	ترجمية
Construction du sens	تركيب المعنى
Correction	تصويب
Equivalence	تعادل
Equivalence approximative	تعادل تقريبي
Exprimer spontanément le sens	تعبير عفوي عن المعنى
Expression verbale	تعبير لفظي
Opacification	تعتيم
Polysémie	تعدد المعاني/ اشتراك لفظي
Reconnaissance des mots	تعرف على الكلمات
Apprentissage d'une langue	تعلم اللغة
Didactique des langues	تعليم اللغات
Echange verbal	تفاعل لفظي
Expliquer/ expliciter	تفسير
Correspondance	تقابل
Correspondance automatique	تقابل آلي
Contraction et dilatation du discours	تكثف وتمدد الخطاب
Adaptation	تكييف
Evanescence de l'expression originale	تلاشي التعبير الأصلي
Jeu de mots	تلاعب بالألفاظ

Réception du discours	تلقف/ تلقي الخطاب
Identité	تماثل
Identité ou équivalence des effets	تماثل أو تعادل التأثيرات
Prosodique	النغمية
Identité sémantique	تماثل دلالي
Faire passer / Transmettre le sens	تمرير المعنى
Intraduisibilité	تمنع عن الترجمة
Communication	تواصل
Communication unilingue	تواصل أحادي اللغة
Composition	توليف
Agencement des mots	توليف اللفظ
Communauté linguistique	جماعة لغوية
Stimulus sonore	حافز سمعي
Etat de perception/ Situation de perception	حالة إدراكية
Situation de communication	حالة تواصلية
Etat mental passager	حالة ذهنية عابرة
Instinct de la langue	حدس عميق للّغة
Sens de la langue	حس لغوي
Discours	خطاب
Discours original	خطاب أصلي
Discours traduit	خطاب الترجمة/ خطاب مترجم
Discours oral	خطاب شفهي
Faux sens	خطل
Motivation du dire	دافع القول
Signifiant	دال
Significations linguistiques	دلالات لغوية
Signification / Sens	دلالة/ معنى
Signification de la phrase	دلالة الجملة
Signification pertinente	دلالة سديدة

Signification implicite	دلالة ضمنية
Signification non pertinente	دلالة غير سديدة
Signification linguistique	دلالة لغوية
Signification linguistique des énoncés	دلالة لغوية للأقوال
Signification des mots	دلالة لفظية
Sémantisme de l'énoncé	دلالية القول
Mémoire	ذاكرة
Mémoire évocatrice	ذاكرة استحضارية
Mémoire sonore	ذاكرة سمعية
Mémoire non verbale de longue durée	ذاكرة غير لفظية بعيدة المدى
Mémoire directe/ Mémoire courte	ذاكرة مباشرة/ ذاكرة قصيرة المدى
Mémoire cognitive	ذاكرة معرفية
Mémoire à moyen terme	ذاكرة معرفية متوسطة الأجل
Connecteur logique	رابط منطقي
Réaction cognitive	رد فعل معرفي
Alignement des mots	رصف الألفاظ
Bagage cognitif	زاد معرفي/ مخزون معرفي
Débit de la parole	سرعة الكلام
Chaîne des mots	سلسلة الكلمات
Chaîne discursive	سلسلة خطابية
Chaîne phonique	سلسلة صوتية
Comportement linguistique	سلوك لغوي
Comportement verbal	سلوك لفظي
Sème caractéristique	سمات بارزة
Sème	سمة
Traits sémantiques de l'original	سمة الأصل الدلالية
Sème actualisé	سمة دلالية محققة
Sème pertinent	سمة سديدة
Trait formel	سمة شكلية

Sème dénominateur	سمة قاسمة
Sème prosodique	سمة نغمية
Sème phonique (phonétique) des signifiants	سمة نغمية أو الشكل الصوتي للدوال
Contexte	سياق
Contexte verbal	سياق لفظي
Contexte cognitif	سياق معرفي
Conscient	شعوري
Phonème	صوتم/ فونيم
Formule linguistique	صيغة لغوية
Adjonction cognitive	ضم معرفي
Caractéristique émotionnelle de l'original	طابع الأصل الانفعالي
Mode opératoire de la traduction	الطريقة الإجرائية للترجمة
Explicite	ظاهر القول
Phénomène de «la partie pour le tout»	ظاهرة «الجزء للكل»
Expression figée	عبارة جاهزة
Génie de la langue	عبقرية اللغة
Opérations actives	عمليات فعالة
Opération traduisante	عملية ترجمية
Opération de communication	عملية التواصل
Opération de communication unilingue/ Monolingue	عمليّة تواصلية/ أحادية اللغة
Opération mentale	عملية ذهنية
Eléments extratextuels	عناصر خارجة عن النص
Eléments extralinguistiques/ non linguistiques	عناصر غير لغوية
Elément sémantique	عنصر دلالي
Elément linguistique	عنصر لغوي
Elément cognitif	عنصر معرفي
Ambiguïté des phrases	غموض الجمل

Acteur/ Sujet	فاعل
Sujet parlant	فاعل متكلّم
Sujet percevant	فاعل مدرك
Distinguer le sens et les significations linguistiques	فصل المعنى والدلالات اللغوية
Espace visuel	فضاء بصري
Acte de communication	فعل تواصل
Acte de parole	فعل الكلام
Fait de langue	فعل لغوي
Déchiffrer/ Décoder les significations linguistiques	فك رموز الدلالات اللغوية
Idée non verbale	فكرة غير لفظية
Compréhension	فهم
Compréhension immédiate	فهم فوري
Phonologie	فونولوجيا
Dictionnaire bilingue	قاموس مزدوج اللغة
Intention	قصدية
Règles grammaticales - règles de la langue	قواعد اللغة
Règles prosodiques	قواعد النغم
Enoncé	قول
Enoncé linguistique	قول لغوي
Dicton	قول مأثور
compétence	كفاءة
Compétence linguistique	كفاءة لغوية
Métonymie	كناية
Non conscient/ inconscient	لاشعوري، لا تصوري
Linguistique du texte	لسانيّة النص
Langue	لغة
Langue outil	لغة الأداة

Langue mère/ langue maternelle	لغة الأم
Langue spontanée	لغة تلقائية، غير ذهنية
Langue active et en action	لغة فاعلة ومتفاعلة
Langue universelle	لغة كونية
Langue de départ/ Langue source	لغة المصدر
Langue d'arrivée/ Langue cible	لغة الهدف/ الوصول
Motivation des mots	مبرّر الكلمات/ الألفاظ
Motivation	مبرّر اللفظ
Interlocuteur/ Locuteur	متحاور
Récepteur	متلق
Synecdoque	مجاز مرسل
Ensemble cognitif	مجموعات معرفية
Interlocuteur	محاور
Composante, Contenu notionnel(le) et émotionnel(le)	محتوى تصوري وانفعالي
Contresens	مخالفة
Stock mnésique lexical et grammatical ou idéique	مخزون تذكري معجمي ونحوي أو فكري
Bagage cognitif non linguistique - extralinguistique	مخزون معرفي غير لغوي
Signifié	مدلول
Signification univoque	مدلول أحادي المعنى
Empan visuel ou sonore	مدى بصري أو سمعي
Empan mnésique direct	مدى الذاكرة المباشرة
Transcodage	مرامزة
Transcodage des significations	مرامزة الدلالات
Récepteur réel	مرسل إليه فعلي
Message	مرسلة
Auditeur	مستمع

Niveau de traduction requis	مستوى الترجمة المطلوب
Niveau sémantique	مستوى دلالي
Niveau de la compréhension	مستوى الفهم
Niveau de la langue	مستوى اللغة
Niveau du sens	مستوى «المعنى»
Niveau du texte ou du discours	مستوى النص أو الخطاب
Implicite	مضمر
Implicite/ non dit	المضمر/ اللامنطوق
Implicite notionnel	مضمر تصوري
Implicite cognitif	مضمر معرفي
Contenu	مضمون
Contenu sémantique	مضمون دلالي
Contenu implicite	مضمون مضمر
Equivalent	معادل
Connaissances linguistiques	المعارف اللغوية
Traitement cognitif des textes	معالجة معرفية للنصوص
Appréhender le texte original et le comprendre	معاينة النص الأصلي وفهمه
Connaissance	معرفة
Connaissance (évoquée) par la forme linguistique	معرفة تستحضرها الصيغة اللغوية
Connaissance instinctive	معرفة حدسية
Connaissance préexistante	معرفة سابقة الوجود
Connaissance pertinente	معرفة سديدة
Connaissance non linguistique/ extralinguistique	معرفة غير لغوية
Connaître la langue/ Connaissance linguistique	معرفة اللغة
Connaissance stockée dans la mémoire non verbale	معرفة مخزونة في الذاكرة غير اللفظية
Connaissance partagée	معرفة مشتركة

Connaissance temporaire	معرفة مؤقتة
Sens	معنى
Sens probable	معنى محتمل
Concept	مفهوم
Correspondant	مقابل
Correspondant linguistique préétabli	مقابل لغوي مقرر سلفاً
Correspondant préexistant entre	مقابل موجود مسبقاً بين
Deux langues	لغتين
Correspondant préétabli	مقابلة مقررة سلفاً
Approcher un texte/ Appréhender	مقاربة نص
Comparaison des langues	مقارنة بين اللغات
Comparaison linguistique	مقارنة لغوية
Lisibilité des textes	مقروئية النصوص
Vouloir dire	مقصد
Complément sémantique	مكمل دلالي
Complément cognitif	مكمل معرفي
Composante émotionnelle	مكوّن انفعالي
Composante notionnelle	مكون تصوري
Situation	مناسبة
Compétence/ Savoir faire des traducteurs	مهارة المترجمين
Objectivité du sens	موضوعية المعنى
Grammaire générative	نحو توليدي
Grammaire comparée/ Contrastive	نحو مقارن
Version	نسخة
Texte cible	نص الهدف
Système phonique	نظام صوتمي
Théorie interprétative de la traduction	النظرية التأويلية في الترجمة
Théorie du discours	نظرية الخطاب
Théorie du sens	نظرية المعنى

Composition formelle des unités de sens	نظم شكلي لوحدات المعنى
Composition de l'unité de sens	نظم وحدة المعنى
Transmission des significations	نقل الدلالات
Transmission des significations linguistiques	نقل دلالات اللغة
Transmission des informations	نقل المعلومات
Transmission du sens/ Faire passer le sens	نقل المعنى
Transmission du sens des messages	نقل معنى المرسلات
Développement cognitif	نمو معرفي
Modèle binaire de la traduction linguistique	نموذج ثنائي للترجمة اللغوية
Non sens	هُراء
Documents (dans le cadre de la recherche documentaire)	وثائق تحضيرية
Unités de traduction	وحدات الترجمة
Unités de compréhension/ de sens	وحدات فهم/ وحدات معنى
Unité minimale de compréhension	وحدة أدنى للفهم
Sémantème	وحدة دلالية صغرى
Unité de sens	وحدة المعنى
Unité grammaticale	وحدة نحوية
Clarté du discours	وضوح الخطاب
Fonction interprétative	وظيفة استيعابية
Fonction de communication	وظيفة التواصل
Fonction du récit	وظيفة «السرد»
Subconscient	وعي باطن

المراجع

1 ـ العربية

كتب

عزب، محمود. ملامح التنوير في مناهج التفسير. مصر: الهيئة العامّة للكتاب، 2006.

2 ـ الأجنبية

Books

Barbizet, Jacques. *Etudes sur la mémoire*. Paris: Expansion scientifique française, 1966.

———. ———. Paris: Expansion scientifique française, 1964.

Bell, Quentin and Virginia Woolf. *A Biography*. London: The Hogarth Press, 1973.

Bowen, David and Margareta Bowen (eds.). *Interpreting: Yesterday, Today, and Tomorrow*. [USA: American Translators Association Scholarly Monograph Series Seies, Suny], 1990.

Brower, Reuben Arthur. *On Translation*. Cambridge: Harvard University Press, 1959.

Cary, Edmond. *Comment faut-il traduire?*. [Lille]: Presses universitaires de Lille, 1985.

Darbelnet, Jean. *Le Français en contact avec l'anglais en amérique du nord.* Québec: Presses de l'université laval, 1976.

Delisle, Jean. *L'Analyse du discours comme méthode de traduction: Initiation à la traduction française de textes pragmatiques anglais: Théorie et pratique.* Préf. de Danica Seleskovitch. Ottawa: Editions de l'université d'Ottawa, 1980. (Cahiers de traductologie; 2)

——— (ed.). *L'Enseignement de l'interprétation et de la traduction: De la théorie à la pédagogie.* Ottawa: Ed. de l'Université d'Ottawa, 1981. (Cahiers de traductologie; 4)

——— et H. Lee Jahnke (eds.). *Enseignement de la traduction et traduction dans l'enseignement.* Ottawa: Presses de l'université d'Ottawa

Gardiner, Alan Henderson. *The Theory of Speech and Language.* Oxford: Clarendon Press, 1932.

Gerver, David and H. Wallace Sinaiko (eds.). *Language Interpretation and Communication.* New York: Plenum Press, 1978.

Hörmann, Hans. *Meinen und Verstehen: Grundzüge einer psychologischen Semantik.* Frankfurt am Main: Suhrkamp Verlag, 1976.

Humbold von, W. *Über die Kawi-sprache auf der insel Java, nebst einer einleitung uber die verschiedenheit des menschlichen sprachbaues und ihren einfluss auf die geistige entwickelung des menschengeschlechts.* Bonn: [n. pb.], 1820; 1967.

Jakobson, Roman. *Essais de linguistique générale.* Paris: Ed. de Minuit, 1963.

Jones, Ernest. *The Life and Work of Sigmund Freud.*

Jungk, Robert. *Der Jahrtausend Mensch.* Munich: G. Bertelsmann Verlag, 1973.

Kade, O. *Zur Rolle des Sachverständnisses beim Übersetzen.* Leipzig: Freundsprachen, 1971.

Kapp, Volker (ed.). *Übersetzer und Dolmetscher.* Heidelberg: Quelle & Meyer, [1974].

Ladmiral, Jean-René. *Traduire: Théorèmes pour la traduction.* [Paris]: Gallimard, 1994.

Lederer, Marianne. *La Traduction simultanée: Expérience et théorie.* Préface de Danica Seleskovitch. Paris: Lettres modernes, 1981.

——— (ed.). *Etudes traductologiques: En Hommage à Danica Seleskovitch.* Paris: Lettres modernes, 1990. (Cahiers Champollion; 4)

——— et Fortunato Israël. *La Liberté en traduction: Actes du colloque international tenu à l'ESIT les 7, 8 et 9 juin 1990.* Paris: Didier érudition, 1991 (Traductologie; 7)

Levelt, W. J. M. and G. B. Flores D'Arcais (eds.). *Studies in the Perception of Language.* New York: Wiley, 1978.

La Linguistique, guide alphabétique. Sous La Direction d'André Martinet. Paris: Denoël, 1969.

Marianne, Lederer. *La Traduction aujourd'hui: Le Modèle interprétative.* Paris: Hachette FLE, 1994.

Martinet, André. *Le Langage.* Paris: Gallimard, [1968].

Mounin, Georges. *Les Problèmes théoriques de la traduction.* Préface de Dominique Aury. Paros: Gallimard, 1963.

Nida, Eugène A. *Toward a Science of Translation.* Leiden: E. J. Brill, 1964.

Pergnier, Maurice. *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction.* 2ème éd. Lille: Presses universitaires de Lille, 1993. (Etude de la traduction, ISSN 1242-4625)

Piaget, Jean. *La Prise de conscience.* Paris: Presses universitaires de France, 1974.

———. *Psychologie de l'intelligence.* 4ème tirage. Paris: Armand collin, 1967.

Pottier, Bernard. *Sémantique générale.* Paris: Presses universitaires de France, 1992. (Linguistique nouvelle, ISSN 0292-4226)

Ricœur, Paul. *La Métaphore vive.* Paris: Ed. du Seuil, 1975. (L'Ordre philosophique)

Seleskovitch, Danica. *L'Interprète dans les conférences internationales, problèmes de langage et de communication.* Paris: Lettres modernes, 1968.

———. *Langage, langues et mémoire: Etude de la prise de notes en interprétation consecutive.* Paris: Lettres modernes, 1975.

——— and Marianne Lederer. *Pédagogie raisonnée de l'interprétation*. Paris: Didier érudition, 1989; 2001.

———. *A Systematic Approach to Teaching Interpretation*. Silver Spring, MD: Registry of Interpreters for the Deaf, 1995.

Salevsky, Heidemarie (hrsg.). *Wissenschaftliche Grundlagen der Sprachmittlung*. Berne: Peter Lang, 1992.

Spear, Norman E. *The Processing of Memories: Forgetting and Retention*. New York: John Wiley & Sons, 1978.

Vinay, Jean Paul and Jean Louis Darbeinet. *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. Paris: Didier, [1958]

Wandruszka, Mario. *Die Mehrsprachigkeit des Menschen*. München; Zürich: Piper, 1979.

Weinrich, Harald. *Sprache in Texten*. Stuttgart: Klett, 1976.

Periodicals

Barbizet, J. P. Duizabo and R. Flavigny. «Rôle des lobes frontaux dans le langage.» *Revue Neurologique*: [vol. 131], 1975.

Dejean le Féal, K. «Quelques aspects non linguistiques de l'interprétation et de la traduction.» *Etudes de linguistique appliquée*: no. 12, 1973.

Lederer, Marianne. «Traduire le culturel: La Problématique de l'explicitation.» *Palimpsestes*: no. 11, 1998.

Meta: vol. 26, no. 3, 1981.

Moskowitz, D. «Le Traducteur: Récepteur et destinataire du message.» *Etudes de linguistique appliquée*: no. 12, 1973.

Conferences

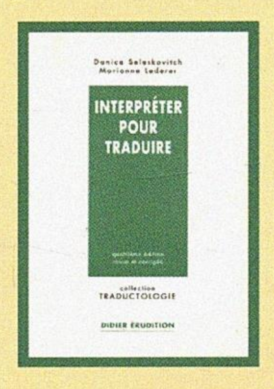
Borel-Maisonny, S. *Perspectives pédagogiques de l'éducation précoce et préscolaire des enfants déficients auditifs*. Document no. 3 publié sous les auspices de L'UNESCO par la fédération internationale des communautés d'enfants, 1968.

Nobel symposium (39; 1976; Stockholm). *Theory and Practice of Translation*. Edited by Lillebill Gräns, Gustav Korleñ, Bertil Malmberg. Bern: Verlag Peter Lang, 1978.

Proceedings of the XIIth World Congress of Fit in Belgrade.

الفهرس

التأويل سبيلاً إلى الترجمة



- أصول المعرفة العلمية
- ثقافة علمية معاصرة
- فلسفة
- علوم إنسانية واجتماعية
- تقنيات وعلوم تطبيقية
- آداب وفنون
- لسانيات ومعاجم



المنظمة العربية للترجمة

«التأويل سبيلاً إلى الترجمة» يعني فهم ما وراء الألفاظ ثم التعبير عن معنى منعتق من المادة اللغوية.

تستند المقالات المجمّعة في هذا الكتاب إلى مبدأ رئيسي يقضي بأن عملية الترجمة تظل هي نفسها، أياً كانت اللغات أو نوع النصوص، فالانتقال من نص ما إلى فكر منعتق من اللفظ ومنه إلى نص آخر هو عملية مستقلة في حد ذاتها عن اللغات، وهي لا تختلف عن عملية القول أو فهم الكلام في فعل التواصل الأحادي اللغة.

بيد أن ملاحظة هذه الظاهرة تكون أسهل عبر إعادة التعبير عن المقصد في لغة أخرى مما هي عليه في اللغة نفسها، وذلك عند تلقّي سلسلة الكلمات المتلاشية أو عند إدراك الوحدات الشكلية المترسخة في النص المكتوب.

- **ماريان لودورير**: أستاذة ومديرة سابقة للمدرسة العليا للتراجمة والمترجمين (ESIT). من مؤلفاتها:

La Traduction simultanée (1981), *La Traduction aujourd'hui* (1994), *Le Sens en traduction* (2006).

- **دانيكا سيليسكوفيتش**: أسست المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين في باريس. من مؤلفاتها:

L'Interprète dans les conférences internationales: Problèmes de langage et de communication (1983).

- **د. فايزة القاسم**: أستاذة في جامعة السوربون الجديدة ـ باريس 3 وفي المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين في باريس.

الثمن: 10 دولارات
أو ما يعادلها



ISBN 978-9953-0-1362-6
9 789953 013626